المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى
كلية الشريعة والدراسات الإسلامية
مركز الدراسات الإسلامية





التبيان في أقسام القرآن للإمام ابن القيم

دراسة وتحقيق

بحث مقدم لنيل درجة الماجستير

إعداد الطالب

حمزة بن محمد علي آل ياسين عسيري

إشراف فضيلة الأستاذ الدكتور

أمين بن محمد باشا

العام الدراسي

١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م

بسم الله الرحمن الرحيم

فصل

{ القسم في سورة الواقعة }

ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ(٧٥)وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ (٧٦)إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ(٧٧)فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ(٧٨)لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ(٧٩)تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ(٨٠) ﴾[١] . ذكر سبحانه هذا القسم عقيب ذكر القيامة الكبرى وأقسام الخلق فيها ، ثم ذكر الأدلة القاطعة على [٢]قدرته على المعاد بالنشأة الاولى ، واخراج النبات من الأرض ، وانزال الماء من السماء وخلق النار .

ثم ذكر بعد ذلك أحوال الناس في القيامة الصغرى عند مفارقة الروح للبدن ، وأقسم بمواقع النجوم ، على ثبوت القرآن/ . وإنه تنزيله وقد اختلف في النجوم التي أقسم بمواقعها فقيل : هي آيات القرآن ومواقعها نزولها شيئا بعد شئ ، هذا قول ابن عباس رضي الله عنهما في رواية عطاء[٣]، وقول سعيد[٤]بن جبير والكلبي[٥]ومقاتل[٦]وقتادة[٧]. [٧٨/أ]

وقيل : النجوم هي الكواكب ومواقعها مساقطها عند غروبها ، هذا قول أبي عبيدة[٨] وغيره .

---

[١] سورة الواقعة الآيات(٧٥ — ٨٠) .

[٢] في المطبوع : (وعلى) .

[٣] قول ابن عباس أخرجه الطبري من غير رواية عطاء جامع البيان (٢٧ / ٢٠٣) وورد ذكره أيضاً في معالم التنزيل (٨/ ٢٢) ، وفي زاد المسير (٨/ ١٥١) والجامع لأحكام القرآن (١٤٥/١٧) ، وعزاه في الدر المنثور (٨ / ٢٥) إلى عبد بن حميد وابن جرير ومحمد نصر وابن المنذر وبن أبي حاتم وابن مردويه .

[٤] سعيد بن جبير رواه عن ابن عباس وليس من قوله مستقلاً فيما بين يدي من المراجع أنظر روايته عند الطبري في جامع البيان (٢٧/ ٢٠٣) .

[٥] لم أعثر على قوله .

[٦] أنظر تفسير مقاتل (١٨٢ / ب) .

[٧] المروي عن قتادة أنها مساقط النجوم كما عند الطبري في تفسيره (٢٧ / ٢٠٤) وعبد الرزاق في تفسيره (٢ /٢٧٣). وأنظر أيضاً : الدر المنثور (٨/ ٢٥) . ، الجامع لأحكام القرآن (١٤٥/١٧).

[٨] أنظر : مجاز القرآن (٢ / ٢٥٢) .

وقيل : مواقعها أنتثارها[١] وانكدارها يوم القيامة وهذا قول الحسن[٢] .ومن حجَّة هذا القول: أنَّ لفظ مواقع تقتضيه ، فإنه مفاعل من الوقوع وهو السقوط ، فلكل نجم موقع ، وجمعها مواقع .

ومن حجة قول من قال : هي مساقطها عند الغروب ، أنَّ الربَّ تعالى يقسم بالنجوم وطلوعها وجريانها وغروبها إذ فيها وفي احوالها الثلاث آية وعبرة ودلالة كما تقدم في قوله تعالى : ﴿ **فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ(١٥)الْجَوَارِي الْكُنَّسِ(١٦))** ﴾[٣] وقال (تعالى) : ﴿ **وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى(١)** ﴾[٤] وقال (تعالى) : ﴿ **فَلَا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ** ﴾[٥] .

ويرجح هذا القول أيضاً أن النجوم حيث وقعت في القرآن فالمراد منها الكواكب ، كقوله تعالى : ﴿ **وَإِدْبَارَ النُّجُومِ**﴾[٦] ، وقوله (تعالى) : ﴿ **وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ**﴾[٧] وعلى هذا فتكون المناسبة بين ذكر النجوم في القسم ، وبين المقسم عليه وهو القرآن من وجوه :

أحدها : أن النجوم جعلها الله يهتدى بها في ظلمات البر والبحر ، وآيات القرآن يهتدى بها في ظلمات الجهل والغي ، فتلك هداية في الظلمات الحسّية ، وآيات القرآن هداية[٨] في الظلمات المعنوية ، فجمع بين الهدايتين مع ما في النجوم (من الزينة الظاهرة للعالم وفي انزال القرآن من الزينة الباطنة ، ومع ما في النجوم) [٩]من الرجوم للشياطين ، وفي آيات القرآن من رجوم شياطين الأنس والجن.

---

[١]في (ق) والمطبوع : (انتشارها) .

[٢]قول الحسن أخرجه الطبري في تفسيره بإسناده (٢٧ / ٢٠٤) وورد ذكره أيضاً في : البسيط (١ / ٤٠١) ، ومعالم التنزيل (٨ / ٢٢) وزاد المسير (٨/ ١٥١) والجامع لأحكام القرآن (١٤٥/١٧) .

[٣]سورة التكوير الآيتان (١٥-١٦) .

[٤]سورة النجم الآية (١) .

[٥]سورة المعارج الآية (٤٠)

[٦]سورة الطور الآية (٤٩) .

[٧]سورة الأعراف الآية (٥٤).

[٨]سقط من المطبوع .

[٩]سقط من المطبوع .

والنجوم آياته المشهودة العيانية[١] ، والقرآن آياته المتلوة السمعية ، مع ما في مواقعها عند الغروب من العبرة والدلالة على آياته/ القرآنية ومواقعها عند النزول . [٧٨/ب]

ومن قرأ (بموقع النجوم)[٢] على الافراد فدلالة الواحد المضاف إلى الجمع على التعـــدد ، والموقع اسم جنس ، والمصادر إذا اختلفت جمعت وإذا كان النوع واحد أفردت . قـــال (الله)[٣] تعالى :﴿ إِنَّ أَنكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ(١٩)﴾[٤] فجمع الأصوات لتعدد النوع ، وأفـــرد صوت الحمير لوحدته ، فإفراد موقع النجوم لوحدة المضاف إليه ، وتعدد المواقع لتعدده ، إذ لكل نجم موقع .



[١] في المطبوع : (المعاينة).

[٢] وهي قراءة حمزة والكسائي وخلف أنظر : إرشاد المبتدي ص (٥٨٢) .

[٣] سقط من (م) و (ق) والمطبوع .

[4] سورة لقمان الآية (١٩) .

فصل
{ بيان المقسم عليه }

والمقسم عليه[١] قوله (تعالى) : ﴿ إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ ﴾ ووقع الاعتراض بين القسم وجوابه بقوله : ﴿ وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴾ ، ووقع الاعتراض بين الصفة والموصوف في جملة هذا الاعتراض بقوله[٢]: ﴿ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴾ فجاء هذا الاعتراض في ضمن هذا الاعتراض ألطف شئ واحسنه موقعاً .

وأحسن ما يقع هذا الاعتراض إذ تضمن تأكيداً أو تنبيهاً أو احترازاً ،كقوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ(٤٢) ﴾[٣] فاعترض بين المبتدأ والخبر بقوله : ﴿ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ لما تضمنه ذلك من الاحتراز الواقع لتوهم متوهم إن الوعد إنما يستحقه من أتى بجميع الصالحات ، فرفع ذلك بقوله : ﴿ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ وهذا أحسن من قول من قال : إنه أخبر[٤] عن الذين آمنوا ثم اخبر عنهم بخبر آخر ، فهما خبران عن مخبر واحد ، فإن عدم التكليف فوق الوسع لايختص[٥] الذين آمنوا ، بل هو حكم شامل لجميع الخلق ، مع ما في هذا التقدير من إخلاء جملة الخبر عن الرابط ، وتقدير صفة محذوفة ، اى نفساً منهم، وتعطيل هذه الفائدة الجليلة، ومن الطف الاعتراض وأحسنه قوله تعالى : ﴿ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ(٥٧) ﴾[٦] فاعترض بقوله سبحانه بين الجعلين .

---

[١] في المطبوع : زيادة (ههنا) بعد (عليه) .
[٢] في (م) و (ق) والمطبوع : زيادة (تعالى) .
[٣] سورة الأعراف الآية (٤٢) .
[٤] في (م) و (ق) والمطبوع : (خبر) .
[٥] في المطبوع : (لا يخص) .
[٦] سورة النحل الآية (٥٧)

وفوائد الاعتراض تختلف بحسب قصد المتكلم ، وسياق الكلام من قصد الاعتناء والتقرير والتوكيد وتعظيم المقسم به والمخبر عنه ورفع توهم خلاف المراد، والجواب عن سؤال مقـدَّر ، وغير ذلك.

فمن الاعتراض / الذي يقصد به التقرير والتوكيد قول الشاعر : [٧٩/أ]

لو أن الباخلين وأنت منهم رأوك تعلموا [1]منك المطالا[2]

ومما يقصد به الجواب عن سؤال مقدرٍ قول الآخر:

فلا هجرة يبدو وفي اليأس راحة ولا وصلة تصفو لها فتكارمه [3]

فقوله : وفي اليأس راحة جواب لتقدير سؤال سائل ، وما يغني عنك هجرة ؟ فقال : وفي اليأس راحة ، اى المطلوب احد أمرين :

إما يأس مريح ، أو وصال صاف .

ومن الاعتراض الاحتراز قول الجعدى[4]:

ألازعمت بنوجعد يأتي وقد كذبوا كبير السن فاني[5]

ومنه قول نصيب[6]:

فكدت ولم اخلق من الطير إن بدا سنا بارق نحو الحجاز أطير

فقوله : ولم أخلق من الطير لرفع استفهام يتوجّه عليه على سبيل الإنكار لو قال : فكدت أطير ، فيقال له : وهل خلقت من الطير ؟

---

[1] في الأصل و (ب) : (وأول تعلم).

[2] لم أهتد إلى مصدره .

[3] في المطبوع : (و لاو صلة يصفوا لنا فنكارمه).

[4] الجعدي : هو قيس بن عبد الله بن عدس بن ربيعة الجعدي العامري أبو ليلى شاعر مغلق صحابي من المعمرين اشتهر في الجاهلية وسمى (النابغة) لأنه أقام ثلاثين سنة لا يقول الشعر ثم نبغ فقاله ، وكان ممن هجر الأوثان ، ونهى عن الخمر قبل ظهور الإسلام . توفي وقد جاوز المائة كف بصره حوالي سنة (٥٠هـ) انظر : الشعر والشعراء ص (١٨١-١٨٢) ، الأعلام (٥/٢٠٧).

[5] البيت من الوافر وهو للنابغة الجعدي . وانظر : ديوان شعره (ص : ١٦٢) وروايته فيه :

إلا زعمت بنو كعب بأني : ألا كذبوا – كبير السن فاني .

[6] نصيب : هو نصيب بن رباح ، أبو محجن مولى عبد العزيز بن مروان ، شاعر فحل ، مقدم في النسيب والمدائح ، له شهرة ذائعة وكان يعد مع جرير وكثير عزه ، وسئل عنه جرير فقال : أشعر أهل جلدته ، وتنسك في أواخر عمره توفي سنة (١٠٨هـ) وقيل : (١١١هـ) وقيل (١١٣هـ). الأعلام (٨/ ٣١-٣٢).

فاحترز بهذا الاعتراض وعندي ان هذا الاعتراض يفيد غير هذا ، وهو قوة شوقه ونزوعه إلى ارض الحجاز ، فاخبر أنه كاد يطير على أنه أبعد شئ من الطيران ، فإنه لم يخلق من الطير ، ولا عجب طيران من خُلق من الطير ، وإنما العجب طيران من لم يُخلق من الطير لشدَّة نزوعه وشوقه إلى جهة محبوبه ، فتأمّله .

ومن مواقع الاعتراض : الاعتراض بالدعاء كقول الشاعر:

قد كنت ابكي وأنت راضية ... حذار هذا الصدود والغضب
إن تم ذا الهجر يا ظلوم ولا ... تمَّ فمالي في العيش من أرب[1]

وكقول الأخر :

إن سليمى والله يكلؤها ... ضنت بشئ ما كان يرزؤها[2]

وكقول اخر :

إن الثمانين -وبلغتها- ... قد أحوجت سمعي إلى ترجمان[3]

ومنه الاعتراض بالقسم كقوله :

ذاك الذي -وابيك- يعرف ما لكاً ... والحق يدفع تُرهات الباطل[4]

ومن الاعتراض الاستعطاف ، كقوله :

فمن لي بالعين التي كنت مرة ... إلي بها نفسي فداؤك تنظر[5]/ [٧٩/ب]

فاعترض بقوله : نفسي فداؤك إستعطافاً ، فتأمَّل حسن الاعتراض وجزالته في قول الربِّ تبارك وتعالى : ﴿ وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ ﴾[6] ، فقوله : ﴿ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ﴾ اعترض بين الشرط وجوابه أفاد أموراً :

منها الجواب عن سؤال سائل ما حكمة هذا التبديل ؟ وما فائدته ؟ .

ومنها أن الذي بدل وأتى بغيره مترل محكم نزوله قبل الاخبار بقولهم .

---

[1] لم أهتد إلى مصدره .

[2] البيت من السريع وهو لإبراهيم بن هرمة كما في تفسير البحر المحيط (٦/ ٢٩٤) . وهو في اللسان بلا نسبة .

[3] البيت من السريع ، وهو لعوف بن محلم كما في الدرر (٤/ ٣١) . وطبقات الشعراء لابن المعتز (ص : ١٨٧).

[4] البيت من الكامل ، وهو لجرير في ديوانه (ص : ٥٨٠) وانظر : شرح شواهد المغني (٢/ ٨١٧) . ، وبلا نسبة في الخصائص (١/ ٣٣٦) .

[5] لم أهتد إلى مصدره .

[6] سورة النحل الآية (١٠١) .

ومنها أن مصدر الأمرين عن علمه تبارك وتعالى ، وأن كلاً منهما منزل فيجب التسليم والايمان بالأولوالثاني .

ومن الاعتراض الذي هو في أعلى درجات الحسن قوله تعالى : ﴿ **وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنْ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ** ﴾[١] فاعترض بذكر شأن حمله ووضعه بين الوصية والموصي به تؤكيداً لامر الوصية بالوالدة التي هذا شأنها وتذكيراً[٢] لولدها بحقها ، وما قاسته من حمله ووضعه مما لم يتكلفه الأب .

ومنه قوله تعالى : ﴿ **وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ(٧٢) فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا** ﴾[٣] فاعترض بقوله : ﴿ **وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ(٧٢)** ﴾ بين الجمل المعطوف بعضها على بعض ، إعلاماً بأن تدارؤهم وتدافعهم في شأن القتيل ليس نافعاً لهم في كتمانه ، فإن الله يظهره ولا بد .

ولا تستطل هذا الفصل وأمثاله ، فإنه يعطيك ميزاناً ، وينهج لك طريقاً يعينك على فهم الكتاب[٤]، والله المستعان .



---

[١] سورة لقما ن الآية (١٤) .

[٢] في الأصل والنسخ المخطوطة : (وتذكراً) وفي المطبوع : (وتذكيراً) هو الأنسب .

[٣] سورة البقرة الآيتان (٧٢- ٧٣) .

[٤] أنظر في بسط الكلام على الأعتراض : الخصائص لأبن جنى (١/ ٣٣٥- ٣٤١) . الصاحبي لأبن فارس ص (٤١٤- ٤١٥) .

فصل

{ وصف القرآن الكريم }

ثم قال (تعالى) : ﴿ إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ(٧٧) ﴾[١] فوصفه بما يقتضي حسنه ، وكثرة خيره ، ومنافعه وجلالته ، فإن الكريم هو البهي الكثير الخير ، العظيم النفع ، وهو من كل شئ أحسنه وأفضله .

والله سبحانه وصف نفسه بالكرم ، ووصفه به كلامه ، ووصف به عرشه ، ووصف به ما كثر خيره ، وحَسُن منظره ، من النبات وغيره ، ولذلك فَسَّر السلف الكريم بالحسن ،

قال الكلبي : (إنه لقرآن كريم) أي :حَسَن / كريم على الله[٢]. [٨٠/أ]

وقال مقاتل : كرمه الله وأعزه ، لأنه كلامه[٣] .

وقال الأزهري[٤]: الكريم اسم جامع لما يحمد ، والله كريم حميد الفعال .

(وإنه لقرآن كريم) ، يحمد لما فيه من الهدي والبيان والعلم والحكمة[٥].

وبالجملة فالكريم[٦] من شأنه أن يعطي الخير الكثير بسهولة ويسر ، وضده اللئيم الذي لايستخرج خيره النزر إلا بعسر وصعوبة . وكذلك الكريم في الناس واللئيم .



---

[١] سورة الواقعة الآية (٧٧) .

[٢] انظر : البسيط (١/ ٤٠١) .

[٣] انظر : تفسير مقاتل (١٨٢/ ب) ومعالم التنزيل (٨ / ٢٢) ولم ينسبه إلى مقاتل .

[٤] الأزهري : محمد بن أحمد بن الأزهر الأزهري : أبو منصور الهروي اللغوي أخذ عنه أبو عبيد صاحب الغريبين قال ابن الأنباري عن كتابه (تهذيب اللغة) : وهو أكبر كتاب صنف في اللغة وأحسنه ، وقال الذهبي : كان رأساً في الفقه واللغة ، ثبتاً ديناً مات سنة (٣٧٠هـ).

انظر طبقات الأدباء ص (٢٣٧) ، السير (١٦/ ٣١٥) .

[٥] انظر تهذيب اللغة (١٠/ ١٣٤) مادة (كرم) .

[٦] في (م) و (ق) والمطبوع : زيادة : (الذي) بعد (الكريم)

فصل

ثم قال تعالى : ﴿ فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ(٧٨) ﴾[١]

اختلف المفسرون في هذا ، فقيل : هو اللوح المحفوظ[٢].

والصحيح أنه الكتاب الذي بأيدي الملائكة[٣] ، وهو المذكور في قوله تعالى : ﴿ ﴿ لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ(٧٩) ﴾[٤] .

قال مالك[٥]: احسن ما سمعت أنها مثل التي في عبس ﴿ فِي صُحُفٍ مُكَرَّمَةٍ(١٣)مَرْفُوعَةٍ مُطَهَّرَةٍ(١٤)بِأَيْدِي سَفَرَةٍ(١٥) ﴾[٦] ويدل على أنه الكتاب الذي بأيدي الملائكة قوله : ﴿ لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ(٧٩) ﴾ فهذا يدل على أنه بأيديهم يمسونه وهذا هو الصحيح في معنى الاية.

ومن المفسرين من قال : إن المراد به أن المصحف[٧]لا يمسه إلا طاهر[٨].

والأول أرجح لوجوه :

أحدها : أن الآية سيقت تتريها للقرآن أن تترل به الشياطين ، وأن محله لايصل إليه فيمسه إلا المطهرون ، فيستحيل على أخابث خلق الله وأنجسهم أن يصلوا إليه أو يمسوه ، كما قال تعالى : ﴿ وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ(٢١٠)وَمَا يَنْبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ(٢١١) ﴾[٩] فنفى الفعل ،

---

[١]سورة الواقعة الآية (٧٨).

[٢]هو مروي عن ابن عباس كما في جامع البيان (٢٧/ ٢٠٥) ، البسيط (١/ ٤٠٢) معالم التتريل (٨/ ٢٢) ، زاد المسير (٨/ ١٥١) وغيرها.

[٣]وهو مروي عن ابن عباس أيضاً من روايه عطاء وباذان ، وسعيد بن جبير ، وأبي العالية والضحاك والكلبي وقتادة ومقاتل . انظر البسيط (١/ ٤٠٢) .

[٤]سورة الواقعة الآية (٧٩) .

[٥]مالك : هو مالك بن أنس بن مالك الأصبحي المدني ، أبو عبد الله ، إمام الهجرة قال الشافعي : مالك وابن عيينة القرينان ولولا مالك وابن عيينة لذهب علم الحجاز وقال عنه الذهبي : ولم يكن بالمدينة عالم من بعد التابعين يشبه مالكاً في العلم والفقه والجلالة والحفظ مات سنة (١٧٩ هـ) . انظر الحلية (٦/ ٣١٦) ، السير (٨/٤٨).

[٦]سورة عبس الآيات(١٣- ١٦) .

[٧]في (م) (القرآن) .

[٨]كما هو اختيار ابن جرير رحمه الله جامع البيان (٢٧/ ٢٠٦).

[٩]سورة الشعراء (٢١٠- ٢١١) .

وتأتيه منهم ، وقدرتهم عليه فما فعلوا ذلك و لا يليق بهم ، ولا يقدرون عليه ، فإن الفعل قد ينتفي عمن يحسن منه ، وقد يليق بمن لايقدر عليه ، فنفى عنهم الأمور الثلاثة .

وكذلك قوله تعالى في سورة عبس : ﴿ **فِي صُحُفٍ [مُكَرَّمَةٍ(١٣)مَرْفُوعَةٍ]**[١]**مُطَهَّرَةٍ(١٤)بِأَيْدِي سَفَرَةٍ(١٥)كِرَامٍ بَرَرَةٍ(١٦)** ﴾ فوصف محلَّه بهذه الصفات بياناً أن الشيطان لايمكنه أن يتنزل به ، وتقرير هذا المعنى أهم وأجل وأنفع من بيان كون المصحف لايمسه إلا طاهر.

الوجه الثاني : أن السورة مكية ، والاعتناء في / السور المكية إنما هو بأُصول الدين ، من [٨٠/ب] تقرير التوحيد والمعاد والنبوة . وأماتقرير الاحكام والشرائع فمظنة السور المدنية .

الثالث : أن القرآن لم يكن في مصحف عند نزول هذه الاية ، ولا في حياة رسول الله ﷺ وإنما جمع في المصحف في خلافة أبي بكر ، وهذا وإن جاز أن يكون باعتبار ما يأتي فالظاهر أنه إخبار بالواقع حال الأخبار . يوضّحه :

الوجه الرابع : وهو قوله : ﴿**فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ**﴾ والمكنون المصون المستور عن الأعين الذي لا تناله أيدي البشر ، كما قال تعالى : ﴿ **كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ(٤٩)** ﴾[٢] ، وهكذا قال السلف . قال الكلبي : مكنون من الشياطين[٣].

وقال مقاتل : مستور[٤].

وقال مجاهد : لايصيبه تراب ولا غبار [٥].

وقال أبو اسحاق : مصون في السماء . يوضّحه[٦]:

الوجه الخامس : أن وصفه بكونه مكنوناً نظير وصفه بكونه محفوظاً بقوله (عز وجل) : ﴿ **لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ** ﴾ كقوله : ﴿ **بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ** ﴾ يوضحه .

---

[١] سقط من الأصل .

[٢] سورة الصافات الآية (٤٩).

[٣] انظر معالم التنزيل (٨/ ٢٢) من غير نسبة إلى الكلبي .

[٤] انظر : تفسير مقاتل (١٨٢/ ب) ، زاد المسير (٨/ ١٥١).

[٥] قول مجاهد أخرجه الطبري في تفسيره (٢٧ / ٢٠٥). وذكره أيضاً الواحدي في البسيط (١/ ٤٠٢).

[٦] معاني القرآن وإعرابه (٥ / ١١٥) .

الوجه السادس : أن هذا أبلغ في الرد على المكذبين ، وابلغ في تعظيم القرآن من كـون المصحف لا يمسّه محدث .

الوجه السابع : قوله : ﴿ **لا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ** ﴾ بالرفع ، فهذا خبر لفظاً ومعنى ، ولو كان نهياً لكان مفتوحاً . ومن حمل الآية على النهي احتاج إلى صرف الخبر عن ظاهره إلى معنى النهي ، والأصل في الخبر والنهي حمل كل منهما على حقيقته . وليس ههنا موجب يوجب صرف الكلام عن الخبر إلى النهي .

الوجه الثامن : أنه قال : ﴿ **إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ** ﴾ و لم يقل : " إلا المتطهرون " ولو أراد بـه منع الحدث من مسه لقال : " إلا المتطهرون ، كما قال الله تعالى : ﴿ **إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ(٢٢٢)** ﴾[1] ، وفي الحديث : " **اللهم اجعلني من التوابين واجعلني من المتطهرين** "[2] ، فالمتطهر فاعل التطهير ، والمطهر الذي طهره غيره ، فالمتوضئ متطهر ، والملائكة مطهرون .

الوجه التاسع: أنه لو أُريد به المصحف الذي بأيدينا لم يكن في الاخبار عن كونه مكنوناً كبير فائدة / إذ مجرد كون الكلام مكتوباً في كتاب لا يستلزم ثبوته ، فكيف يمدح القرآن بكونه مكنوناً في كتاب ، وهذا أمر مشترك والآية إنما سيقت لبيان مدحه وتشريفه ، وما اختصَّ به من الخصائص التي تدل على أنه مترل من عند الله ، وأنّه محفوظ مصون لا يصل إليه شيطان بوجه ما ، ولا يمس محله إلا المطهرون وهم السفرة الكرام البررة . [٢/أ]

---

[1] سورة البقرة الآية (٢٢٢).

[2] هذه اللفظة جزء من حديث أخرجه الإمام الترمذي في (١) أبواب الطهارة (٤١) باب فيما يقال بعد الوضوء ح (٥٥) من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه. وقد أعله الترمذي بالاضطراب .

الوجه العاشر : ما رواه سعيد بن منصور[١] في سننه حدثنا أبو الأحوص[٢] عن عاصم[٣] الاحول[٤] عن أنس بن مالك[٥] في قوله (تعالى) : ﴿ **لا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ** ﴾ قال : المطهرون الملائكة[٦]، وهذا عند طائفة من أهل الحديث في حكم المرفوع . قال الحاكم[٧]: تفسير الصحابة عندنا في حكم المرفوع ، ومن لم يجعله مرفوعاً فلا ريب أنه عنده اصح من تفسير من بعد الصحابة ، والصحابة أعلم الأمة بتفسير القرآن ، ويجب الرجوع إلى تفسيرهم[٨] .

وقال حرب[٩] في مسائله :

---

[١] سعيد بن منصور : هو أبو عثمان سعيد بن منصور بن شعبة الخراساني المروزي إمام حافظ مشهور ، رحل في طلب العلم إلى البلاد روى عن مالك بن أنس ، والليث بن سعد وغيرهما ، حدث عنه : الإمام أحمد وأبو بكر الأثرم وغيرهما . من مؤلفاته : (السنن) توفي سنة (٢٢٧هـ). انظر طبقات ابن سعد (٥/ ٥٠٢) ، التاريخ الكبير (٣/ ٥١٦) .

[٢] أبو الأحوص : هو سلام بن سليم الحنفي الكوفي ، روى عن إبراهيم بن مهاجر وأبي إسحاق السبيعي وعاصم بن سليمان ، وروى عنه يحي بن آدم ووكيع وأبو نعيم وغيرهم قال عنه ابن حجر : ثقة متقن ، توفي سنة (١٩٩هـ). انظر : تهذيب التهذيب (٤/ ٢٨٢- ٢٨٣).

[٣] في الأصل (أبو الأحوص ابن عاصم الأحول) وهو تصحيف والتصحيح من البقية) .

[٤] عاصم الأحول : هو أبو عبد الرحمن عاصم بن سليمان الأحول البصري كان من حفاظ الحديث روى عن أبي قلابة و الشعبي وابن سيرين وغيرهم ، روى عنه جماعة منهم دواد أبي هند وشعبة وشريك وغيرهم ، واشتهر بالزهد والعبادة قال عنه ابن حجر : ثقة لم يتكلم فيه إلا القطان ، وكأنه بسبب دخوله في الولاية مات سنة (١٤٢ هـ) .

انظر : الجرح والتعديل (٦/ ٣٤٣) ، تهذيب التهذيب (٥/ ٤٢-٤٣).

[٥] أنس بن مالك : هو أنس بن مالك بن النضر ، الإمام المفتي ، المقري المحدث أبو حمزة الأنصاري الخزرجي البخاري المدني ، خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم اختلف في وفاته على عدة أحوال أصحها أنه مات سنة (٩٣هـ). أنظر : الطبقات الكبرى (٧/ ١٧-٢٦) ، السير (٣/ ٣٩٥- ٤٠٦).

[٦] الأثر أسناده صحيح .

[٧] الحاكم : هو محمد بن عبد الله الضبي النيسابوري ، أبو عبد الله الحافظ المعروف بالحاكم ، قال عنه الخطيب : كان من أهل الفضل والعلم و المعرفة والحفظ ، وله في علوم الحديث مصنفات عدة ، ومن مصنفاته : علوم الحديث ، المستدرك على الصحيحين فضائل الشافعي توفي سنة (٤٠٥هـ). انظر : تاريخ بغداد (٥/ ٤٧٣) . والسير (١٧/ ١٦٢).

[٨] لم أجده في كتابه علوم الحديث ، وقد نسبه إليه ابن الصلاح في علوم الحديث له انظر : علوم الحديث لأبن الصلاح مع التقييد والإيضاح ص (٥٢).

[٩] حرب : هو حرب بن إسماعيل الكرماني ، أبو محمد الفقيه ، تلميذ أحمد ، قال الخلال : رجل جليل له مسائل عن الإمام أحمد وأسحاق بن رهواية ، وقال الذهبي : ((مسائل حرب من أنفس كتب الحنابلة وهو كبير في مجلدين)) توفي سنة (٢٨٠هـ).

سمعت إسحاق[١] في قوله : ﴿ **لا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ** ﴾ قال : النسخة التي في السماء لا يمسها إلا المطهرون . قال :الملائكة .

وسمعت شيخ الإسلام يقرّر الاستدلال بالآية على ان المصحف لا يمسّه المحدث بوجه آخر . فقال : هذا من باب التنبيه والإشارة ، وإذا[٢] كانت الصحف التي في السماء لا يمسها إلا المطهرون فكذلك الصحف التي بأيدينا من القرآن لا ينبغي ان يمسها إلا طاهر ، والحديث مشتق من هذه الآية ، وهو قوله[٣] : "**لا تمس القرآن إلا وأنت طاهر**" رواه أهل السنن من حديث الزهري[٤] عن أبي بكر بن محمد عمرو بن حزم[٥] عن أبيه عن جده :

ان في الكتاب الذي كتبه النبي ﷺ إلى أهل اليمن في السنن . والفرائض والديات " **أن لا يمس القرآن إلا طاهر** " ، وقال أحمد[٦]: أرجو أن يكون صحيحاً وقال أيضاً لا أشك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كتبه .

---

[١] إسحاق : هو إسحاق بن إبراهيم بن مخلد ، أبو يعقوب المروزي ، المعروف بابن راهوية قال أحمد بن حنبل : لا أعلم ولا أعرف لإسحاق بالعراق نظيراً ، وقال النسائي ثقة مأمون وقال الذهبي : هو الإمام الكبير شيخ المشرق سيد الحفاظ . له عدة مصنفات أحدها : (المسند) توفي سنة (٢٣٨هـ) . انظر تاريخ بغداد (٦/ ٣٤٥) ، السير (١١/ ٣٥٨).

[٢] في (م) و (ق) والمطبوع : (إذا)

[٣] في (م) و (ق) والمطبوع : (وقوله).

[٤] الزهري : هو محمد بن مسلم بن عبيد الله بن شهاب ، أبو بكر القرشي ، الزهري الدني ، عاصر كبار الصحابة وروى عن بعضهم روى قريباً من ألفي حديث . قال عنه شيخ الإسلام : ((حفظ الزهري الإسلام نحواً من سبعين سنة)) توفي سنة (١٢٤هـ) انظر : حلية الأولياء (٣/ ٣٦٠). تذكرة الحفاظ (١/ ١٠٨).

[٥] هكذا في الأصل ، وفي (ب) : (أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم عن أبيه عن جده) وهو الصحيح وفي (م) و (ق) والمطبوع : (عن بكر بن محمد ..).

[٥] وأبو بكر : هو أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم بن زيد لوذان الأنصاري الخزرجي البخاري المدني ، أمير المدينة وقاضيها ، أحد الأئمة الأثبات ، روى عن أبيه وعن عباد بن تميم وغيرهما حدث عنه ابناه محمد وعبد الله ، والأوزاعي وآخرون توفي سنة (١٢٠. وقيل (١١٧هـ). انظر : السير (٥/ ٣١٣- ٣١٤) ، التهذيب (١٢/ ٣٨) .

[٦] الإمام أحمد : هو أحمد بن محمد بن حنبل ، أبو عبد الله الشيباني ، إمام أهل السنة والجماعة وأحد الأئمة الأربعة أصله من (مرو) وكان أبوه والي (سرخس) . نشأ منكباً على طلب العلم ، وسافر في سبيله كثيراً ، قامت فتنة القول بخلق القرآن في عهد المأمون

وقال أبو عمر[١]: هو كتاب مشهور عند أهل السنن معروف عند اهل العلم معرفة يستغني بشهرتها عن الإسناد ،لأنه أشبه التواتر في مجيئه ، لتلقي الناس له/ بالقبول والمعرفة . [٨١/ب]

ثم قال : هو كتاب معروف عد العلماء ، وما فيه فمتفق عليه إلا قليلاً[٢].

وقد رواه ابن حبان [٣] في صحيحه ، ومالك في موطئه[٤]، وفي المسألة أثار أخر مذكورة في غير هذا الموضع .



فتصدي لهذه الفتنة وامتحن بسببها محنة عظيمة ولكنه ثبت ونصر الله به الدين ، له مؤلفات عديدة منها : (المسند) والتفسير والناسخ والمنسوخ وغيرها توفي سنة (٢٤١هـ) وكانت جنازته مشهودة .

[١] أبو عمر ابن عبد البر : هو يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري الأندلسي القرطبي المالكي حافظ المغرب ، كان إماماً عالماً صاحب سنة واتباع قال عنه الذهبي : (كان في أصول الديانة على مذهب السلف لم يدخل في علم الكلام ..)) . من مؤلفاته وهي ضخمة : التمهيد – الاستذكار – الاستيعاب وغيرها توفي سنة (٤٦٣هـ). انظر : وفيات الأعيان (٧/ ٦٦) ، السير (١٨/ ١٥٣)

[٢] التمهيد (١٧/ ٣٣٨- ٣٣٩).

[٣] ابن حبان : هو محمد بن حبان بن أحمد بن حبان ، أبو حاتم التميمي البستي السجستاني ، الإمام العالم الفاضل الحافظ المتقن ونسبته التميمي نسب إلى تميم جد القبيلة المشهورة فهو عربي الأرومة ، أفغاني المولد ، تأخر في طلبه للعمل حيث لم يبدأ في الطلب إلا بعد أن نيف على العشرين ، ولكنه شمر عن ساعد الجد حتى أصبح إماماً وعلماً من العلماء المشهورين من شيوخه : ابن شيروية وابن قتيبة اللخمي ، وأبو محمد الفريابي وغيرهم ومن تلاميذه : أبو عبدالله الحاكم ، وابن منجة ، والدار قطني وغيرهم ، من مصنفاته : كتاب الثقات ، ومعرفة المجروحين من المحدثين وغيرهما . توفي سنة (٣٥٤هـ) . انظر : الكامل في التاريخ (٥٦٦/٨) ، (السير (٩٢/١٦-١٠٤) .

[٤] أخرجه مالك في الموطأ في كتاب الصلاة ، باب الأمر بالوضوء لمن مس القرآن ح (٤٦٩) ، وذكره أبو داود في كتابه المراسيل في (٢٢) باب جامع الصلاة ح (٩٢-٩٣-٩٤) ، وأخرجه الدارمي في سننه في (١٢) كتاب الطلاق (٣) باب لا طلاق قبل النكاح ح (٢٢٦٦) . وعبد الرزاق في مصنفه في كتاب الحيض باب مس المصحف والدراهم التي فيها القرآن ، وابن حبان في صحيحه (٦٠) كتاب التاريخ (٧) باب كتب النبي صلى الله عليه وسلم ح (٦٥٥٩) وإبن أبي داود في المصاحف في باب هل يمس المصحف من ليس على وضوء ح (٧٣٩) ، والبيهقي في سننه في كتاب الطهارة ، باب نهي المحدث عن مس المصحف (١/ ٨٧) ، الحاكم في المستدرك (٣٤) كتاب معرفة الصحابة ، باب يد السائل أسفل الأيدي ح (٦١٠٥) ، والبغوي في شرح السنة في كتاب الطهارة ، باب المحدث لا يمس المصحف ح (٢٧٥).

فصل

{ طهارة القلوب شرط لتدبر القرآن }

ودلت الأية بإشارتها وإيمائها على أنه لا يدرك معانيه ولا يفهمه إلا القلــوب الطــاهرة ، وحرام على القلب المتلوث بنجاسة البدع والمخالفات أن ينال معانيه ، وان يفهمه كما ينبغــي . قال البخاري[١] في صحيحه في هذه الأية : لا يجد طعمه إلا من أمن به[٢].

وهذا أيضا من اشارة الاية وتنبيهها ، وهو انه لا يلتذّ به وبقراءته وفهمه وتدبره إلا مــن شهد أنه كلام الله ، تكلّم به حقاً ، وأنزله على رسوله وحياً ، ولا ينال معانيه إلا من لم يكن في قلبه حرج منه بوجه من الوجوه .

ومن[٣] لم يؤمن بأنه حق من عند الله ففي قلبه منه أعظم حرج ، ومن لم يــؤمن بــأن الله سبحانه تكلّم به حقاً [٤]، وليس مخلوقاً من جملة مخلوقاته ففي قلبه منه حرج ، . ومن قال : أنّ[٥] له باطناً يخالف ظاهره ، وأن له تأويلاً يخالف ما يفهم منه ففي قلبه منه حرج ، [ومن قال : أن له تأويلاً لا نفهمه ولا نعلمه وإنما نتلوه متعبدين بألفاظه ففي قلبه حرج منه] [٥] .

ومن سلط عليه أراء الآرائيين ، وهذيان المتكلمين ، وسفسطة المتسفسطين ، وخيــالات المتصوفين ، ففي قلبه منه حرج .

ومن جعله تابعا لحلته ومذهبه وقول من قلده دينه يترله على أقواله ، ويتكلف حمله عليها ففي قلبه منه حرج ، ومن لم يُحكّمه ظاهراً وباطناً في اصول الدين وفروعه ، ويســلم وينقــاد

---

[١] البخاري : هو محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري أبو عبد الله الحافظ ، رحل في طلب الحديث فزار خراسان والعــراق ومصر والشام وسمع من نحو ألف شيخ من مؤلفاته (الجامع الصحيح) ، والتاريخ الكبير وغيرهما ، توفي سنة ٢٥٦هـ . انظــر : تــاريخ بغداد (٢/ ٤ – ٣٤) وفيات الأعيان (٤/ ١٨٨- ١٩١).

[٢] صحيح البخاري (٩٧) كتاب التوحيد (٤٧) باب قول الله تعالى : (قل فأتوا بالتوراة فاتلوها).

[٣] في غير الأصل : (فمن).

[٤] في المطبوع : (وحياً) .

[٥] سقط من الأصل .

لحكمه أين كان ففي قلبه منه حرج . ومن لم يأتمر بأوامره ، ويترجر عن زواجره ، ويصدّق جميع أخباره ، ويحكّم أمره ونهيه وخبره ، ويردّ له كل أمر ونهي وخبر خالفه ففي قلبه منه حرج .

وكل هؤلاء لا تمس قلوبهم معانيه ، ولايفهمونه كما ينبغي أن يُفهم ، ولا يجدون من لذة حلاوته وطعمه ما وجده الصحابةو من تبعهم .

وأنت إذا تأمّلت قوله (تعالى) : ﴿ **لا يَمَسُّهُ / إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ** ﴾ وأعطيت الآية حقها من [٨٢/أ] دلالة اللفظ وإيمائه وإشارته وتنبيهه ، وقياس الشئ على نظيره ، واعتباره بمُشـــاكله ، وتأملـــت المشابهة التي عقدها الله سبحانه وربطها بين الظاهر والباطن فهمت هذه المعاني كلها من الآيـــة ، وبالله التوفيق .



فصل

ثم أكّد ذلك وقرره وأطده بقوله (عزَّ وجل) : ﴿ تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ وهذا[1] كما أنّه لازم لكونه قرآنا كريما في كتاب مكنون فهو ملزوم له فهو دليل عليه ومدلول له .
وأفاد كونه تتريلاً من رب العالمين مطلوبين عظيمين هما أجلّ[2] مطالب الدين :

أحدهما : أنه المتكلّم به ، وأنه منه نزل ومنه بدأ ، وهو الذي تكلّم به . ومن هنا قال السلف : منه بدأ ونظيره قوله (تعالى) : ﴿ وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي ﴾[3] وقوله(تعالى) : ﴿ قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ ﴾[4] .

والثاني : علو الله سبحانه فوق خلقه ، فإن الترول والتتريل الذي تعقله العقول، وتعرفه الفطر هو وصول الشئ من أعلى إلى اسفل . والربُّ تعالى إنما يُخاطب عباده بما تعرفه فطرهم وتشهد به عقولهم .

وذكر التتريل مضافاً إلى ربوبيته للعالمين المستلزمه لملكه لهم ، وتصرفه فيهم ، وحكمه عليهم واحسانه وإنعامه عليهم ، وأن من هذا شأنه مع الخلق كيف يليق به مع ربوبيته التامّة أن يتركهم سدى ، ويدعهم هملاً ، ويخلقهم عبثاً لا يأمرهم ولا ينهاهم ، ولا يثيبهم ولا يعاقبهم ، فمن أقّر بأنه رب العالمين أقر بأن القرآن تتريله على رسوله ، واستدلّ بكونه رب العالمين على ثبوت رسالة رسوله[5] ﷺ[6] وصحة ما جاء به ، وهذا الاستدلال أقوى وأشرف من الاستدلال بالمعجزات والخوارق ، وإن كانت دلالتها أقرب إلى أذهان عموم الناس ، وتلك إنما تكون/ [٨٢/ب] لخواص العقلاء .

---

[1] سقط من المطبوع .
[2] في المطبوع : (هما من أجلّ)
[3] سورة السجدة الآية (١٣) .
[4] سورة النحل الآية (١٠٢) . وكلمة (بالحق) ساقطة من (م) و (ق) والمطبوع .
[5] في (ق) : (مرسوله) .
[6] سقط من (م) و (ق) والمطبوع .

وقد أشار سبحانه إلى الطريقين في غير موضع من كتابه كقوله (تعالى) : ﴿ **سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ**﴾[١] فهذا استدلال بالآيات المعاينة المخلوقة . ثم قال : ﴿ **أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ(٥٣)** ﴾[٢] . فهذا استدلال بكمال ربوبيته وكما أوصافه على صدق رسوله فيما جاء به ، وهذه الطريق أخصّ وأقوى وأكمل وأعلى ، والأول أعمٌّ وأشمل ، وقد تقدم بيانها عند قوله تعالى : ﴿ **وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ** ﴾ وأين الاستدلال بأوصاف الرب تعالى وكماله المقدس على ثبوت النبي وبعثه من الاستدلال عليه ببعض مخلوقاته ؟

وتأمَّل فرق ما بين الاستدلال من[٣] سيدة نساء العالمين خديجة بصفات الرب تعالى وصفات محمد ﷺ واستنتاجها من بين هذين الأمرين صحة نبوته ، وانه رسوله[٤]حقاً ، وأن من كانت هذه صفاته فصفات ربه وخالقه تأبى أن يخزيه ، وأنه لابد أن يؤيده ويعليه ويتمّ نعمته عليه[٥] .

وأنت إذا تأملت هذه الطريقة ، وهذا الاستدلال وجدت بينهما[٦]وبين طريقة المتكلمين من الفرق ما لا يخفى ، وإذا حصل للعبد الفقه في الأسماء والصفات انتفع به في باب معرفة الحق والباطل من الأقوال والطرائق والمذاهب والعقائد أعظم انتفاع وأتمّه . وقد بينا في كتابنا المعالم . بطلان التحليل وغيره من الحيل الربوبية[٧]بأسماء الرب وصفاته وأنه يستحيل على الحكيم أن يحرم الشئ ويتواعد[٨]على فعله بأعظم أنواع العقوبات ثم يبيح التوصل إليه بنفسه بأنواع التحيلات ،

---

[١] سورة فصلت الآية (٥٣).

[2] سورة فصلت الآية (٥٣) .

[٣] سقط من (م) و (ق) والمطبوع .

[٤] في غير الأصل : (وأنه رسول الله حقاً)

[٥] هذا الكلام لأم المؤمنين خديجة رضي الله عنها ، أخرجه البخاري في صحيحه (١) كتاب بدء الوحي (١) باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ح (٣) ، ومسلم في (١) كتاب الإيمان ، (٧٣) باب بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ح (١٦٠) من حديث عائشة رضي الله عنها .

[٦] في غير الأصل : (بينها) .

[٧] في غير الأصل : (الربوية) .

[٨] في غير الأصل و (ب) : (ويتوعد) .

فأين ذاك الوعيد الشديد ، وجواز التوصل إليه بالطريق البعيد ، إذ ليست حكمة الـرب تعـالى وكمال علمه وأسمائه وصفاته تنتقض بإحالة ذلك وامتناعه عليه .

فهذا استدلال بالفقه الأكبر في الأسماء والصفات على الفقه العملي/ [٨٣/أ] في باب الأمر والنهي ، وهذا باب حرام على الجهمي المعطل أن يلجه ، وجنّةٌ حرامٌ عليه ريحها ، وإن ريحها ليوجد من مسيرة خمسين ألف سنة ، والله العزيز الوهاب لا مانع لما أعطى ولا معطي لما منع ، وبه التوفيق .



فصل

ثم وبخهم سبحانه على وضعهم الاذّهان في[1]غير موضعه ، وأنهم يداهنون بما حقّه أن يُصدع به ويُفرّق به ويُعضّ عليه بالنواجذ ، وتثنى عليه الخناصر ، وتعقد[2]عليه القلوب والأفئدة ، ويحارب ويُسالم لأجله ، ولا يلتوي عنه يمنة ويسرة ، ولا يكون للقلب التفات إلى غيره ولا محاكمة إلا إليه ، ولا مخاصمة إلا به ولا اهتداء في طرق المطالب العالية إلا بنوره ، ولا شفاء إلا به ، فهو روح الوجود وحياة العالم ومدار السعادة وقائد الفلاح ، وطريق النجاة وسبيل الرشاد ، ونور البصائر ، فكيف تطلب المداهنة بما هذا شأنه ، ولم يترل للمداهنة ، وإنما نزل بالحق وللحق ، والمداهنة إنما تكون في باطل قوي لا يمكن إزالته ، أو في حق ضعيف لا يمكن إقامته ، فيحتاج المداهن إلى أن يترك بعض الحق ويلتزم بعض الباطل ، فأما الحق الذي قام به كل حق فكيف يداهن به ؟ .

ثم قال سبحانه : ﴿ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ(٨٢) ﴾[3] لما كان قوام كل واحد من البدن والقلب إنما هو بالرزق ، فرزق البدن الطعام والشراب ، ورزق القلب الإيمان والمعرفة بربه وفاطره ومحبته والشوق إليه ، والأنس بقربه والابتهاج بذكره ، وكان لا حياة له إلا بذلك ، كما أن البدن لا حياة له إلا بالطعام والشراب ، أنعم الله سبحانه على عباده بهذين النوعين من الرزق ، وجعل قيام ابدانهم وقلوبهم بهما ، ثم فاوت سبحانه بينهم في قسمة هذين الرزقين بحسب ما أقتضاه علمه وحكمته . فمنهم من وفر حظه/ من الرزقين ، ووسّع عليه فيهما ، ومنهم من قتّر [٨٣/ب] عليه من الرزقين ، ومنهم من وسّع عليه رزق البدن وقتّر عليه رزق القلب ، وبالعكس .

وهذا الرزق إنما يتمّ ويكمل بالشكر ، والشكر مادة زيادته ، وسبب حفظه وبقائه ، وترك الشكر سبب زواله وانقطاعه عن العبد ، فإن الله تعالى تأذّن أنه لا بد أن يزيد ا لشكور من نعمه[4] ، ولا بد أن يسلبها من لم يشكرها ، فلما وضعوا الكفر والتكذيب موضع الشكر والإيمان جعلوا رزقهم نفسه تكذيباً ، فإن التصديق والشكر لما كانا سبب زيادة الرزق ، وهما أي التصديق

---

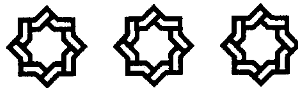
[1] الإذهان في الأصل مثل التدهين لكن جعل عبارة عن المداراة والملاينة ، وترك الجد ، انظر :مفردات القرآن ص (١٧٣- ٧٤)

[2] في غير المطبوع : (تعتقد) ولعل الصواب ما أثبت .

[3] سورة الوقعة الآية (٨٢) .

[4] كما قال تعالى : (وإذ تأذن ربكم لئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم إن عذابي لشديد) إبراهيم الآية (٧)

والشكر [1] رزق القلب حقيقة ، فهؤلاء جعلوا مكان هذا الرزق التكذيب والكفر ، فجعلوا رزقهم التكذيب ، وهذا المعنى هو الذي حام حوله من قال : التقدير وتجعلون شكر رزقكم أنكم تكذبون[2]، وقال آخرون: التقدير وتجعلون بدل شكر رزقكم أنكم تكذبون ، فحذف مضافين معاً [3]، وهؤلاء أطالوا اللفظ وقصروا بالمعنى ، ومن بعض معنى الاية قولهم : مطرنا بنوء كذا وكذا [4]، فهذا يصلح أن تدل عليه الاية ويراد بها ، وإلا فمعناها أوسع منه ،اعم وأعلى ، والله أعلم.



---

[1] سقط من غير الأصل .

[2] انظر : معاني القرآن وإعرابه (٥/ ١١٦) .

[3] انظر : تهذيب اللغة للأزهري (٨/ ٣٤٠) مادة (رزق)، والحجة لأبي علي الفارس (٦/ ٢٦٤) ، شرح الكافية الشافية لابن مالك (٢/ ٩٧١)

[4] كما هو مروى عن جماعة من المفسرين منهم ابن عباس رضي الله عنهما انظر : جامع البيان (٢٧-٢٠٨). ، معالم التنزيل (٨/ ٢٤) ، زاد المسير (٨/ ١٤٥) التفسير الكبير (٢٩/ ١٧٢) ، المحرر الوجيز (١٥/ ٣٨٩) الجامع لأحكام القرآن (١٤٨/١٧) وغيرها.

فصل

ثم ختم السورة بأحوالهم عند القيامة الصغرى ، كما ذكر في أولها أحـوالهم في القيامـة الكبرى ، وقسمهم إلى ثلاثة أقسام ، كما قسّمهم هناك إلى ثلاثة أقسام ، وذكر بين يدي هـذا التقسيم الاستدلال على صحته وثبوته بأهم مربوبون مدّبرون مملوكون فوقهم رب قاهر مالـك ، يتصرف فيهم بحسب مشيئته وإرادته . وقهرهم على ذلك بما لاسبيل لهم إلى دفعه ولا إنكـاره ، فقال (تعالى) : ﴿ فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتْ الْحُلْقُومَ(٨٣) ﴾[1] أي وصلت الروح إلى هذا الموضع بحيث فارقت و لم تفارق فهي في برزخ بين الموت والحياة ، كما أنها إذا فارقت صارت في بـرزخ بـين الدنيا/ والآخرة . وملائكة الربّ (تعالى)[2] أقرب إلى المحتضر من حاضريه من الأنس . [٨٤/أ]

ولكنهم لا يبصروهم ، فلولا تردونها إلى مكانها من البدن أيها الحاضرون إن كان الأمـر كما تزعمون أنكم غير مجزيين ولا مدينيين ولا مبعوثين[3] ليوم الحساب .

فإن قيل : أي ارتباط بين هذين الأمرين حتى يلازم بينهما ؟ قيل : هـذا مـن أحسـن الاستدلال وأبلغه ، فإنهم إما أن يّقروا بأنهم مملوكون مربوبون عبيد لمالك قادر متصرف فيهم قاهر آمر لهم ناهٍ ، أولا يقروا[4] بذلك فإن أقرّوا به لزمهم القيام بحقّه عليهم وشكره وتعظيمه وإجلاله ، وأن لا يجعلوا له نداً ولا شريكاً ، وهذا هو الذي جاءهم به رسله[5]، ونزل عليهم به كتابه ، وأن أنكروا ذلك وقالوا : أنهم ليسوا بعبيد ولا مملوكين ولا مربوبين ، وأن الأمر إليهم فهـلا يـردّون الاوراح إلى مقارّها إذا بلغت الحلقوم ؟

فإن المتصّرف في نفسه ، الحاكم على روحه لا يمتنع منه ذلك بخـلاف المحكـوم عليـه المتصّرف فيه غيره ، المدبّر له سواه ، الذي هو عبدٌ مملوك من جميع الجهات ، وهذا اسـتدلال لا محيد عنه ، ولا مدفع له ، ومن أعطاه حقه من التقرير والبيان انتفع به غاية النفع ، وانقاد لاجلـه

---

[1] سورة الواقعة الآية (٨٣) .

[2] في (م) و (ق) : (تبارك وتعالى).

[3] في غير الأصل : (ولا مستوعبين) وفي (ب) : ذكر (مبعوثين) في الهامش .

[4] في غير الأصل : (لا يقرون) .

[5] في غير الأصل والمطبوع : (رسوله) .

للعبودية ، وأذعن ولم يسعه غير التسليم للربوبية والإلهية ، والإقرار بالعبودية ، ولله ما أحسن جزالة هذه الالفاظ وفصاحتها وبلوغها أقصى مراتب البلاغة والفصاحة مع[١]الاختصار التام ، وندائها إلى معناها من أقرب مكان ، واشتمالها على التوبيخ والتقرير والإلزام ، ودلائل الربوبية والتوحيد ، والبعث وفصل النزاع في معرفة الروح ، وأنها تصعد وتنزل وتنتقل من مكان إلى مكان/ ، وما أحسن إعادة لولا ثانياً قبل ذكر الفعل الذي يقتضيه الأول، وجعل الحرفين بقتضيانه اقتضاء واحداً ، وذكر الشرط بين (لولا) الثانية وما تقتضيه من الفعل[٢]، ثم الموالاة بين الشرط [٨٤/ب] الأول والثاني مع الفصل بينهما بكلمة واحدة هي الرابطة بين لولا الأولى والثانية ، والشرط الأول والثاني .

وهذا تركيب يشحذ[٣] العقل والسمع لمعناه ولفظه ، فتضمنت الايتان تقريراً وتوبيخاً واستدلالا على أصول الإيمان من وجود الخالق سبحانه وكمال قدرته ، ونفوذ[٤] مشيئته ، وربوبيته ، وتصرفه في أرواح عباده ، حيث لا يقدرون على التصرف فيها بشئ ، وأن أرواحهم بيده يذهب بها إذا شاء ، ويردها إليهم إذا شاء ، ويخلي أبدانهم منها تارة ويجمع بينها وبينها تارة . وإثبات المعاد وصدق رسوله فيما أخبر به عنه ، وإثبات ملائكته ، وتقرير عبودية الخلق ، وأتى بهذا في صورة تحضيضين[٥]وتوبيخين وتقريرين وجوابين وشرطين وجزائين منتظمة احسن انتظام ، ومتداخلة أحسن التداخل ، متعلقاً بعضها ببعض .

وهذا كلام لايقدر البشر على مثل نظمه ومعناه .

قال الفراء : وأجيبت ﴿ **فَلَوْلا إِذَا بَلَغَتِ** ﴾ ، و﴿ **فَلَوْلا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ** ﴾ بجواب واحد وهو (**ترجعونها**) .

---

[١]في لمطبوع : (والاختصار) .

[٢]في المطبوع : (وذكر الشرطين بين لولا الأولى والثانية وما تقتضيه من الفعل).

[3]في غير الأصل : (يستحدّ) .

[٤]في (ب) : (وتفرد) .

[٥]في (م) و (ت) : تخصيصين .

قال : ومثله قوله تعالى : ﴿ قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ(٣٨) ﴾[١] أجيبا بجواب واحد وهما شرطان[٢].

وقال الجرجاني : قوله (تعالى) : " ترجعونها " جواب لقوله : " فلولا " المتقدمة والمتأخرة على تأويل فلولا إذا بلغت النفس الحلقوم تردُّونها إلى موضعها إن كنتم غير محاسبين ولا مجزيين كما تزعمون . يقول تعالى : إن كان الأمر كما تزعمون أنه لا بعث ولا حساب ولا جزاء ولا إله ولا/ يقوم بذلك فهلا تردّون نفس من يعِزّ عليكم إذا بلغت الحلقوم ، فإذ[٣] لم يمكنكم في ذلك [٨٥/أ] حيلة بوجه من الوجوه فهلاّ دلّكم ذلك أن الأمر إلى مليك قادر قاهر متصرف فيكم ، وهو الله الذي لا إله إلا هو .

وقال أبو اسحاق : معناه فهلاّ ترجعون الروح إن كنتم غير مملوكين مدبرين ، فهلا إن كان الأمر كما زعمتم فيما يقول قائلكم : لو أطاعونا ما قتلوا ، ولو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا . أي إن كنتم تقدرون أن تؤخروا أجلاً فهلا ترجعون الروح إذا بلغت الحلقوم ؟ وهل لا تدرؤون عن انفسكم الموت ؟[٤] .

قلت : وكأن هذا يلتفت إلى قوله تعالى : ﴿ قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا(٥٠)أَوْ خَلْقًا مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ ﴾[٥] أي إن كنتم كما تزعمون لاتبعثون بعد الموت خلقاً جديداً ، فكونوا خلقاً لا يفنى ولا يبلى ، إما من حجارة أو من حديد ، أو أكبر من ذلك .

ووجه الملازمة كما[٦]تقدم ذكره ، وهو إما أن تقروا بأن لكم رباً متصرفاً فيكم مالكا لكم تنفذ فيكم مشيئته وقدرته يميتكم إذا شاء ويحييكم إذا شاء . فكيف تنكرون قدرته على إعادتكم خلقاً جديداً بعد ما أماتكم ؟

---

[١] سورة البقرة الآية (٣٨) .

[٢] معاني القرآن للفراء (٣ / ١٣٠) وفيه بدل شرطان : (جزاءان).

[٣] في (م) و (ق) والمطبوع : (فإذا) .

[٤] معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٥/ ١١٧)

[٥] سورة الإسراء الآيتان (٥٠ – ٥١) .

[٦] في (م) و (ق) و (ب) والمطبوع : (ما)

وإما أن تنكروا أن يكون لكم رب قادر قاهر مالك نافذ المشيئة والقدرة فيكم ، فكونـــوا خلقاً لا يقبل الفناء والموت فإذا لم تستطيعوا أن تكونوا كذلك فما تنكرون من قدرة من جعلكم خلقاً يموت ويحيي أن يحييكم بعد ما أماتكم ، فهذا استدلال يعجزهم عن كونهم خلقاً لا يموت ، والذي في الواقعة استدلال يعجزهم عن رد الروح إلى مكانها إذا قاربت الموت ، وليس بعد هـــذا الاستدلال إلا الاذعان والانقياد أو الكفر والعناد .



فصل

فلما قام الدليل ووضح السبيل وتم البرهان على أنهم مملوكون مربوبون مجزيون محاسبون ذكر طبقاتهم / عند الحشر الأولوالقيامة الصغرى ، وهي ثلاثة : [٨٥/ب]

طبقة المقربين ، وطبقة أصحاب اليمين ، وطبقة المكذبين .

فجعل تحية **المقربين** عند الموافاة الروح والريحان والجنة ، وهذه الكرامات الثلاث[١] التي يعطونها بعد الموت نظير الثلاثة[٢] التي يعطونها يوم القيامة ، **فالرَّوحُ**: الفرح والسرور والابتهاج ولذة الروح ، فهي كلمة جامعة لنعيم الروح ولذّتها ، وذلك قوتها وغذاؤها ، والريحان الرزق ، وهو الأكل والشرب ، والجنة المسكن الجامع لذلك كله ، فيعطون هذه الثلاثة[٣] في البرزخ وفي المعاد الثاني .

ثم ذكر الطبقة الثانية ، وهي طبقة أصحاب اليمين ، ولما كانوا دون المقربين في المرتبة جعل تحيتهم عند القدوم عليه السلامة من الآفات والشرور ، التي تحصل للمكذبين الضالين ، فقال (تعالى) : ﴿ **وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ(٩٠)فَسَلَامٌ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ(٩١)** ﴾[٤] والسلام مصدر من سلم أي فلك[٥] السلامة والخطاب له نفسه ، أي يقال : لك السلامة ، كما يقال للقادم : لك الهناء ، ولك السلامة ، ولك البشرى ونحو ذلك من الالفاظ ، كما يقولون خير مقدم ، ونحو ذلك . فهذه تحيته عند اللقاء .

قال مقاتل : يسلم الله لهم أمرهم بتجاوزه عن سيئاتهم ، وتقبله[٦] حسناتهم[٧] .

---

[١] في (م) و (ق) والمطبوع : (الثلاثة) .

[٢] في المطبوع : (الثلاث) .

[٣] في المطبوع : (الثلاث) .

[٤] سورة الواقعة الآيتان (٩٠- ٩١).

[٥] في (ق) : (تلك).

[٦] في المطبوع : (ويتقبل).

[٧] انظر : تفسير مقاتل (١٨٣/ أ) البسيط (١/ ٤١٠) ، معالم التنزيل (٨/ ٢٦) .

وقال الكلبي : يسلم عليه أهل الجنة ، ويقولون : السلامة لك[١] [على هذا فقوله ﴿ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴾ أي : هذه التحية حاصلة لك من إخوانك أصحاب اليمين فإنه إذا قدم عليهم حيوه بهذه التحية وقالوا : السلامة لك][٢].

وفي الآية أقوال أخر فيها تكلف وتعسف فلا حاجة إلى ذكرها .

ثم ذكر الطبقة الثالثة ، وهي طبقة الضال في نفسه المكذب لأهل الحق ، وأنّ له عند الوفاة[٣] نزل الحميم ، وسكنى الجحيم .

ثم أكّد هذا الخبر[٤] بما جعله كأنه رأي العين لمن أمن بالله ورسوله ، فقال (عزَّ وجلَّ) :

﴿ **إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ(٩٥)** ﴾[٥] فرفع شأنه عن درجة الظن إلى العلم ، وعن درجة العلم إلى اليقين ، وعن درجة اليقين إلى/ حقه ثم أمره أن يتره أسمه تبارك وتعالى عما لايليق به ، [٨٦/أ] وتتريه الاسم متضمن لتتريه المسمى عما يقوله الكاذبون والجاحدون .



---

[١] انظر : البسيط (١/ ٤١٠) وذكره في معالم التتريل (٨/ ٢٦) من غير نسبة إليه .

[٢] سقط من الأصل . وانظر معاني القرآن للفراء (٣/ ١٣١) ، ومعاني الزجاج (٥/ ١١٨) . والبسيط (١/ ٤١٠) . ت / محوي .

[٣] في غير الأصل : (الموافاة).

[٤] في المطبوع : (الجزاء)

[٥] سورة الواقعة الآية (٩٥) .

فصل

{ القسم في سورة النجم }

ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى(١)مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى(٢)وَمَا يَنْطِقُ عَنْ الْهَوَى(٣) ﴾[١] أقسم سبحانه بالنجم عند هويه على تتريه رسوله وبراءته مما نسبه إليه اعداؤه من الضلال والغي. واختلف[٢]الناس في المراد بالنجم ، فقال الكلبي : عن ابن عباس ، أقسم بالقرآن إذا نزل نجوماً على رسوله أربع آيات وثلاث آيات[٣]والسورة ، وكان بين أوله وآخره عشرون سنة ، وكذلك روى عطاء عنه[٤]، وهو قول مقاتل[٥]والضحاك[٦]ومجاهد[٧]، واختاره الفراء[٨]، وعلى هذا فسمى القرآن نجماً لتفرقه في الترول ، والعرب تسمى التفرق تنجماً ، والمفرق منجماً ، ونجوم الكتابة أقساطها ، ويقول : جعلت ما لي (على فلان)[٩] نجوماً منجمة كل نجم كذا وكذا ، وأصل هذا أن العرب كانت تجعل مطالع منازل القمر ومساقطها مواقيت لحلول ديونها وآجالها ، فيقولون : إذا طلع النجم يريدون الثريا حل عليك الدين ، ومنه قول زهير[١٠] في دية جعلت نجوماً على العاقلة :

ينجمها قوم لقوم غرامة ... ولم يهرقوا بينهم ملأ محجم[١١]

---

[١]سورة النجم الآيات(١-٣) .

[٢]في (م) و (ق) والمطبوع : (منجماً) .

[٣]سقط من غير الأصل و (ق) .

[٤]انظر : البسيط (١/ ١٩٠) ومعالم التتريل (٧/ ٤٠٠) ، وزاد المسير (٨/ ٦٢) .

[5] تفسير مقاتل (١٧٣/أ) ، والبسيط (١/١٩٠) .

[6] انظر : البسيط (١/١٩٠) .

[7]أخرجه الطبري في تفسيره بإسناده (٢٧/٤٠) .

وورد ذكره أيضاً في : البسيط (١/١٩٠) ، زاد المسير (٨/٦٣) .

[8] معاني القرآن للفراء (٣/٩٤) .

[9]سقط من (ق) .

[10]زهير : هو زهير بن أبي سلمى ، ولد في ذبيان ونشأ بينهم وكانت حياته أثناء حرب داحس بين عبس وذبيان ، كان أحد الشعراء الثلاثة المقدمين على سائر شعراء الجاهلية وهم امرؤ القيس . وزهير ، والنابغة ، توفي قبل ظهور الإسلام بعام واحد .

انظر : الأعلام (٣/٨٧) ، الشعر والشعراء (٤٤) .

[11]البيت من الطويل وهو بيت من معلقته المشهورة والتي مطلعها :

ثم جعل كل تنجم تفريقاً وإن لم يكن مؤقتاً بطلوع نجم(١).

وقوله (تعالى) : ﴿ هَوَى ﴾ على هذا القول اى نزل من علو إلى سفل . قال أبو زيد(٢): هوت العقاب تهوي بفتح الهاء إذا انقضت على صيد أو غيره ، وكذلك قال ابن الأعرابي : وفرق بين الهوى (والهوى بفتح الهاء وضمها . وقال : الفتح في الرفع إلى أسفل ، والضم في الرفع إلى فوق ثم انشد : شاهداً)(٣)لقوله : والدلو في أصعادها (عجل الهوى(٤))(٥).

وقال الليث : العامة تقول الهوى بالضم في مصدر هوى يهوي ، وكذلك قال / [٨٦/ب] الأصمعي(٦) هوى يهوي هوياً بفتح الهاء إذا سقط إلى اسفل . قال : وكذلك الهوى في السير إذا مضى(١) .

أمن أم أوفى دمنة لم تكلم *** بحومانة الدراج فالمتثلم

انظر : ديوان زهير : ص (١٧) .

وورد ذكره في تهذيب اللغة (١١/١٢٩) ، اللسان (١٤/٦٠) مادة (نجم) .

(1)قال الشنقيطي رحمه الله في أضواء البيان :

" أظهر الأقوال عندي وأقربها للصواب ـــ في نظري ـــ أن المراد بالنجم إذا هوى هنا في هذه السورة وبمواقع النجوم في الواقعة هو نجوم القرآن التي نزل بها الملك نجماً فنجماً وذلك لأمرين :

أحدهما : أن هذا الذي أقسم الله عليه بالنجم إذا هوى أن النبي صلى الله عليه وسلم على حق وأنه ما ضل وما غوى وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى ، موافق في المعنى لما أقسم عليه بمواقع النجوم وهو قوله (إن القرآن كريم) .

والثاني : أن كون المقسم به المعبر عنه بالنجوم هو القرآن العظيم أنسب لقوله بعده (وإنه لقسم لو تعلمون عظيم) " .

أضواء البيان (٧/٧٠٠-٧٠١) .

(2)أبو زيد : هو سعيد بن أوس بن ثابت ، صاحب كتاب النوادر وغيرها . روى القراءة عن أبي عمرو بن العلاء ، له تصانيف كثيرة في اللغة ، توفي سنة (٢١٥)هـ وعمره (٩٤سنة) . انظر : شذرات الذهب ٢/٣٤ ، إشارة التعيين : (١٢٨) .

(3)سقط من المطبوع .

(4)سقط من (ب) .

(5) لم أجد له نسبة ، وانظر : الأضداد لقطرب من (١٢٠) وفيه (إتراعها) بدل إصعادها ، واللسان (١٥/١٦٧) مادة (هوى)

(6) الأصمعي : هو عبدالملك بن قريب بن عبدالملك ، أبو سعيد الأصمعي ، صاحب اللغة والنحو والغريب والأخبار والملح ، اثنى عليه الإمام أحمد رحمه الله في السنة ، من مصنفاته (غريب القرآن)وغيره . توفي سنة (٢١٥هـ) وقيل غير ذلك . انظر : تاريخ بغداد (١٠/٤١٠-٤٢٠) ، السير (١٠/١٧٥-١٨١) .

وها هنا أمر يجب التنبيه عليه ، غلط فيه أبو محمد ابن حزم[٢] أقبح غلط فذكر في أسماء الرب الهوي بفتح الهاء واحتج بما في الصحيح من حديث عائشة ان رسول الله ﷺ كان يقول في سجوده : " **سبحان ربي الأعلى** " الهوي[٣]، فظن أبو محمد ان الهوى صفة للرب ، وهذا من غلطه رحمه الله وإنما الهوي على وزن فعيل اسم لقطعة من الليل ، يقال : مضى هوي من الليل على وزن فعيل ، ومضى هزيع منه أي طرف وجانب ، فكان[٤] يقول : (سبحان ربي الأعلى) في قطعة من الليل وجانب منه . وقد صرحت بذلك في اللفظ الآخر ، فقالت : كان يقول (سبحان ربي الأعلى) الهوي من الليل .

عدنا إلى قوله ﴿ **وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى(١)** ﴾ وقال ابن عباس في رواية علي بن ابي طلحة[٥] وعطية يعني : الثريا إذا سقطت وغابت[٦] وهو الراوية الأخرى

---

(1) انظر : تهذيب اللغة (٦/٤٨٨) مادة (هوى) ، واللسان (١٥/ ١٦٧) مادة (هوى) والكلام السابق نقله ابن القيم عن الواحدي في البسيط (١/١٩٠-١٩١) ت/محوي .

(2) ابن حزم : هو علي بن أحمد بن سعيد بن حزم ، أبو محمد الأندلسي القرطبي ، العالم المتبحر ، الفقيه الظاهري حدث عن يحيى بن مسعود صاحب قاسم بن أصبغ ، ويونس ابن عبدالله القاضي ، وعبدالله بن ربيع التميمي وغيرهم ، وأخذ عنه ابنه الفضل ، والحميدي ووالد ابن العربي وغيرهم . من مؤلفاته : المحلى ، والفصل في الملل وغيرها . توفي سنة ٤٥٤هـ .

انظر : وفيات الأعيان (٣/٣٢٥-٣٣٠) ، نفح الطيب (٢/٧٧-٨٤) .

(3) لم أجده في الصحيح كما ذكر ابن القيم رحمه الله ، وقد ذكره غير واحد من حديث ربيعه بن كعب الأسلمي قال : كنت أبيت عند باب النبي صلى الله عليه وسلم فأعطيه وضوءه فأسمعه الهوي من الليل يقول : (سمع الله لمن حمده) ، وأسمعه الهوي من الليل يقول : (الحمد لله رب العالمين) .

أخرجه الترمذي في (٤٩) كتاب الدعوات (٢٧) باب منه ح (٣٤١٦) ، وابن ماجة في (٣٤) كتاب الدعاء ، (١٦) باب ما يدعو به إذا انتبه من الليل ح (٣٨٧٩) ، وأحمد في المسند (٤/٥٧-٥٨) وابن حبان في (٩) كتاب الصلاة ، (٢) فصل في قيام الليل ح (٢٥٩٤) ، والبيهقي في كتاب الصلاة ، باب الترغيب في الإكثار من الصلاة (٢/٤٨٦) والطبراني في المعجم الكبير (٥/٥٦) ح (٤٥٦٩) . وقال الترمذي عن الحديث : هذا حديث حسن صحيح .

(4) في المطبوع : (وكان) .

(5) علي بن أبي طلحة : هو علي بن أبي طلحة سالم مولى بني العباس ، أبو الحسن الهاشمي ، أرسل عن ابن عباس ولم يره ، روى عن مجاهد والقاسم وراشد بن سعد ، روى عنه : ثور بن يزيد ومعمر وسفيان مات سنة ١٤٣هـ . طبقات ابن سعد (٧/٤٥٨) ، الجرح والتعديل (٦/١٩١) .

(6) ورد ذكره في : البسيط (١/١٩٢) ، ومعالم التنزيل (٧/٣٩٩) ، وزاد المسير (٨/٦٢) والجامع لأحكام القرآن (١٧/ ٥٥) ، وابن كثير في تفسيره (٤/٢٤٦) وعزاه في الدر المنثور (٧/٦٤٠) إلى ابن المنذر .

عن مجاهد[١]، والعرب إذا اطلقت النجم تعني به الثريا . قال فباتت تعد النجم .

وقال أبو حمزة اليماني[٢]: يعني النجوم إذا انتثرت يوم القيامة[٣].

وقال ابن عباس في رواية عكرمة : يعني النجوم التى ترمى بها الشياطين إذا سقطت في اثارها عند استراق السمع[٤]، وهذا قول الحسن[٥]وهو أظهر الأقوال[٦].

ويكون سبحانه قد أقسم بهذه الأية الظاهرة المشاهدة التي نصبها الله سبحانه أية وحفظاً للوحي من استراق الشياطين له على ان ما أتى به رسوله حق وصدق ، لا سبيل للشيطان ولا طريق له إليه ، بل قد حرس بالنجم إذا هوى ، رصداً بين يدي الوحي وحرساً له .

وعلى هذا فالارتباط بين المقسم به والمقسم عليه في غاية الظهور ، وفي المقسم به دليل على المقسم عليه ، وليس بالبين تسمية القرآن عند نزوله بالنجم إذا هوى ، ولا تسمية / نزوله هوياً ، [٨٧/أ] ولا عهدنا في القرآن بذلك ، فيحمل هذا اللفظ عليه ، وليس بالبين أيضاً تخصيص هذا القسم بالثريا وحدها إذا غابت . وليس بالبين أيضاً القسم بالنجم[٧]عند انتثارها[٨]يوم القيامة ، بل هذا

---

(1) أخرجه عبدالرزاق في تفسيره (٢/٢٥٠) ، وابن جرير في تفسيره (٢٧/٤٠) ، وورد ذكره أيضاً في المراجع السابقة وعزاه في الدر المنثور (٧/٦٤٠) إلى عبدالرزاق وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم .

(2) في (ق) : الثمالي . وهو الصحيح كما في التفاسير المذكور فيها قوله .

وأبو حمزة هو : ثابت بن أبي صفية واسم أبيه دينار وقيل : سعيد ، أبو حمزة الثمالي الأزدي الكوفي مولى المهلب ، روى عن أنس بن مالك وسعيد بن جبير والشعبي ، روى عنه الثوري وشريك والنخعي وهو رافضي . مات سنة ١٤٨هـ .

انظر : كتاب المجروحين لابن حبان (١/١٩٣) ، الكاشف للذهبي (١/١٧١) .

(3) ورد ذكر قوله في البسيط (١/١٩٣) ، ومعالم التنزيل (٧/٤٠٠) .

(4) ورد ذكره في البسيط (١/١٩٣) ، والوسيط (٤/١٩٢) ، ومعالم التنزيل (٧/٣٩٩) ، وزاد المسير (٨/٦٢)

(5) ورد ذكره في البسيط (١/١٩٣) ، والنكت والعيون (٥/٣٨٩) ، والجامع لأحكام القرآن (١٧/٥٦) .

(6) رجح ابن جرير رحمه الله قول مجاهد حيث قال :

" والصواب من القول في ذلك عندي ما قاله مجاهد من أنه عنى بالنجم في هذا الموضع : الثريا ، وذلك أن العرب تدعوها النجم " جامع البيان (٢٧/٤١) .

(7) في غير الأصل و (ب) : (النجوم) .

(8) في المطبوع : (انتشارها) .

مما يقسم الرب عليه ، ويدل عليه بآياته ، فلا يجعله نفسه دليلاً لعدم ظهوره للمخاطبين ولا سيما منكروا البعث ، فإنه سبحانه إنما يستدل بما لايمكن جحده ولا المكابرة فيه . فأظهر الأقوال قول الحسن . والله أعلم .

وبين المقسم به والمقسم عليه من التناسب ما لا يخفى ، فإن النجوم التي ترمى بها[١] الشياطين آيات من آيات الله ، يحفظ بها دينه ووحيه وآياته المترلة على رسوله ، بما ظهر دينه وشرعه واسماؤه وصفاته ، وجعلت هذه النجوم المشاهدة خدماً وحرساً لهذه النجوم الهادية[٢]. ونفى سبحانه عن رسوله الضلال النفي المنافي للهدى والغي المنافي للرشاد ، ففي ضمن هذا الشهادة له .بأنه على الهدى والمرشد[٣]، فالهدى في علمه ، والرشد[٤] في علمه وهذان الأصلان هما غاية كمال العبد ، وبهما سعادته وفلاحه ، وبهما وصف النبي ﷺ خلفاءه ، فقال : " **عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي** "[٥] . فالراشد ضد الغاوي ، والمهدي ضد الضال ، وهو الذي زكت نفسه بالعلم النافع والعمل الصالح ، وهو صاحب الهدى ودين الحق . ولا يشتبه الراشد المهدي بالضال الغاوي إلا على أجهل خلق الله وأعماهم قلباً ، وأبعدهم عن حقيقة الإنسانية . ولله در القائل :

وما انتفاع أخي الدنيا بناظره ... إذا استوت عنده الانوار والظلم[٦]

---

(1) سقط من غير الأصل و (ب) .

(2) في المطبوع : (الهاوية) .

(3) في المطبوع : (الرشاد) .

(4) في المطبوع : (الرشاد) .

(5) أخرجه أبو داود في سننه (٣٥) كتاب السنة ، (٦) باب لزوم السنة ح (٤٥٩٩) ، والترمذي في جامعه في (٤٢) كتاب العلم ، (١٦) باب ما جاء في الأخذ بالسنة واجتناب البدع ح (٢٦٧٦) ، وابن ماجة في المقدمة (٦) باب اتباع سنة الخلفاء الراشدين المهديين ح (٤٢) ، وأحمد في المسند (١٢٦/٤) ، والدارمي في سننه في المقدمة (١٦) باب اتباع السنة ح (٩٥) ، وابن حبان في صحيحه في (١) المقدمة (٢) باب الاعتصام بالسنة ح (٥) ، والآجري في الشريعة في (١١) باب الحث على التمسك بكتاب الله تعالى وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وسنة أصحابه رضي الله عنهم ح (٨٦) ، والحاكم في المستدرك في (٢) كتاب العلم (١٤٤) عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين ح (٣٣٣) ، والبغوي في شرح السنة في كتاب الإيمان ، باب الاعتصام بالكتاب والسنة ح (١٠٢) ، كلهم من حديث العرباض بن سارية رضي الله عنه .

قال الألباني رحمه الله كما في تخريج المشكاة (٥٨/١) : وسنده صحيح ، وقال الترمذي : (حديث حسن صحيح) ، وصححه جماعة منهم الضياء المقدسي في : اتباع السنن واجتناب البدع .

(6) هذا البيت من البسيط وهو للمتنبي . انظر : ديوان المتنبي بشرح العكبري (٣٦٧/٣) .

فالناس أربعة أقسام : ضال في علمه ، غاو في قصده وعمله ، وهؤلاء شرار / الخلق وهم [٨٧/ب] مخالفوا الرسل .

الثاني : مهتد في علمه غاو في قصده وعمله ، وهؤلاء هم الأمة الغضبية ، ومن تشبه بهم ، وهو حال كل من عرف الحق ولم يعمل به .

الثالث : ضال في علمه ولكن قصده الخير وهو لا يشعر

الرابع : مهتد في علمه راشد في قصده ، وهم[١]ورثة الأنبياء وهم وإن كانوا الأقلين عدداً فهم الأكثرون عند الله قدراً وهم صفوة الله من عباده وحزبه من خلقه .

وتأمل كيف قال سبحانه : ﴿ **مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى(٢)** ﴾[٢] ولم يقل : ما ضل محمد تأكيداً لإقامة الحجة عليهم . بأنه صاحبهم ، وهم أعلم الخلق به وبحاله وأقواله وأعماله ، وأنهم لا يعرفونه بكذب ولا غي ولا ضلال . ولا ينقمون عليه أمراً واحداً قط ، وقد نبه على هذا المعنى بقوله : ﴿ **أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ** ﴾[٣] ، وبقوله : ﴿ **وما صاحبكم بمجنون** ﴾ .



---

[١] في (م) و (ق) والمطبوع : (هؤلاء) .
[٢] سورة النجم الآية (٢) .
[٣] سورة المؤمنون الآية (٦٩) .

فصل

{ قوله تعالى : " وما ينطق عن الهوى " }

ثم قال (تعالى)[(١)]: ﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنْ الْهَوَى(٣)إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى(٤) ﴾[(٢)] ينزه تعالى نطق رسوله أن يصدر عن هوى ، وبهذا الكمال هداه ورشده وقال (تعالى) : ﴿ **وَمَا يَنْطِقُ عَنْ الْهَوَى** ﴾ ولم يقل : وما ينطق بالهوى ، لان نفي نطقه عن الهوى أبلغ ، فإنه يتضمن أن نطقه لا يصدر عن هوى ، وإذا لم يصدر عن هوى فكيف ينطق به ، فتضمن نفي الأمرين : نفي الهوى عن مصدر النطق ، ونفيه عن النطق نفسه ، فنطقه بالحق ومصدره الهدى والرشاد لا الغي والضلال .

ثم قال : ﴿ **وَمَا يَنْطِقُ عَنْ الْهَوَى** ﴾ فأعاد الضمير على المصدر المفهوم من الفعل ، أي ما نطقه إلا وحي يوحى ، وهذا أحسن من قول من جعل الضمير عائداً إلى القرآن . فإنه يعم نطقه بالقرآن والسنة ، وإن كليهما وحي يوحى .

وقد احتج الشافعي لذلك فقال : لعل من حجة من قال بهذا قوله[(٣)] : ﴿ **وَأَنزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ** ﴾[(٤)] قال : ولعل من حجته أن يقول : " قال رسول الله ﷺ / [٨٨/أ] لأبي الزاني بامرأة الرجل الذي صالحه على الغنم والخادم : " **والذي نفسي بيده لاقضين بينكما بكتاب الله " ، الغنم والخادم رد عليك .. الحديث** "[(٥)] .

---

(1) في (م) ، (ق) والمطبوع : (سبحانه) .

(2) سورة النجم الآيتان (٣-٤) .

(3) في (ب) زيادة : (تعالى) .

(4) سورة النساء الآية (١١٣) .

(5) انظر : الأم للإمام الشافعي (١١١/٥) .

وفي الصحيحين أن يعلى بن أمية[1] كان يقول لعمر : ليتني أرى رسول الله ﷺ حين يتزل عليه الوحي .

فلما كان بالجعرانة سأله رجل فقال : كيف ترى في رجل أحرم بعمرة في جبة ، بعدما تضمخ بالخلوق فنظر إليه النبي ﷺ ساعة ثم سكت فجاءه الوحي ، فأشار عمر بيده إلى يعلى ، فجاء فأدخل رأسه فإذا النبي ﷺ محمر يغط ثم سري عنه فقال : " **أين السائل آنفاً** ؟ " فجئ به ، فقال : " **إن انزع عنك الجبة واغسل أثر الطيب ، واصنع في عمرتك ما تصنع في حجك** "[2].

وقال الشافعي[3]: أخبرنا مسلم[4] عن ابن جريج عن ابن طاووس[5] عن أبيه[1] أن عنده كتاباً نزل به الوحي (**وما فرض رسول الله صلى الله عليه وسلم من صدقة وعقول فإنما نزل به الوحي**)[2].

والحديث أخرجه البخاري في (٥٤) كتاب الشروط ، (٩) باب الشروط التي لا تحل في الحدود ح (٢٧٢٤)-٢٧٢٥) ، ومسلم في (٢٩) كتاب الحدود (٥) باب من اعترف على نفسه بالزنى ح (١٦٩٧-١٦٩٨) من حديث أبي هريرة وزيد بن خالد الجهني رضي الله عنهما .

[1] يعلى بن أمية : هو يعلى بن أمية بن أبي عبيدة التميمي المكي حليف قريش ، وهو ابن أخت عتبة بن غزوان أسلم يوم فتح مكة ، وشهد الطائف وتبوك ، ولي اليمن لعثمان بن عفان مات سنة (٤٧) هـ وقيل غير ذلك .

انظر : أسد الغابة (٥/٥٢٣) ، الإصابة (٦/٣٥٣). .

[2] أخرجه البخاري في (٢٥) كتاب الحج (١٧) باب غسل الخلوق ثلاث مرات من الثياب ح (١٥٣٦) ، ومسلم في (١٥) كتاب الحج (١) باب ما يباح المحرم بحج أو عمرة وما لا يباح ، وبيان تحريم الطيب عليه ح (١١٨٠-٨) من حديث يعلى بن أمية .

[3] الشافعي : هو محمد بن إدريس بن العباس ، أبو عبدالله القرشي المطلبي المكي ، أحد الأئمة الأعلام ، وإمام من الأئمة الأربعة ، بارع في الحفظ واللغة الفقه قال عنه أبو ثور : (ما رأيت مثل الشافعي ولا رأى هو مثل نفسه) ، نشأ بمكة وكتب العلم بها ، وبمدينة النبي صلى الله عليه وسلم ، وقدم بغداد مرتين ثم خرج إلى مصر فتزلها وحدث بها حتى توفي من مصنفاته : (الرسالة) و (الأم) و (اختلاف الحديث) وغيرها . توفي سنة (٢٠٤) .

انظر : تاريخ بغداد (٢/٥٦) السير (١٠/٥-٩٩) .

[4] مسلم : هو مسلم بن خالد بن فروة المخزومي مولاهم أبو خالد الزنجي المكي الفقيه روى عن زيد بن أسلم والزهري وابن جريج وغيرهم ، روىعنه ابن وهب ، والشافعي وابن الماجشون وغيرهم ، (فقيه صدوق كثير الأوهام) توفي سنة (١٧٩هـ) أو بعدها .

انظر : تهذيب التهذيب (١٠/١١٥-١١٧) ، تقريب التهذيب ص (٥٢٩).

[5] ابن طاووس : هو عبدالله بن طاووس بن كيسان أبو محمد اليماني ، الإمام المحدث الثقة سمع من أبين وأكثر عنه ومن عكرمة وعمرو بن شعيب وغيرهم ، حدث عنه ابن جريج ومعمر والثوري وغيرهم توفي سنة (١٣٢) هـ انظر : الجرح والتعديل (٥/٨٨-٨٩) ، السير (٦/١٠٣-١٠٤) .

وذكر الأوزاعي[٣] عن حسان بن عطية[٤] قال : كان جبريل يترل على رسول الله ﷺ بالسنة كما يترل بالقرآن يعلمه إياها[٥] وذكر الأوزاعي أيضاً عن أبي عبيد[٦] صاحب سليمان[٧] أخبرني القاسم بن (محمد) مخيمرة[٨] حدثني ابن نضلة[٩] قال : قيل لرسول الله ﷺ سعر لنا . قال : " **لا يسئلني الله عن سنة احدثتها فيكم لم يأمرني بها ولكن سلوا الله**[١٠]"[١].

---

[1] طاووس بن كيسان ، أبو عبدالرحمن الفارسي ثم اليمني الجندي الحافظ ، سمع من زيد بن ثابت وعائشة وابن عباس وغيرهم ، روى عنه عطاء ومجاهد وابن شهاب وابنه عبدالله وجماعة قال ابن معين وأبو زرعة : (طاووس ثقة) توفي سنة (١٠٦) هـ .
انظر : السير (٥/٣٨-٤٩) ، شذرات الذهب (١/١٣٣) .

[2] الأثر أخرجه الشافعي في مسنده ص (٢٦٤). وما بين المعقوفتين سقط من الأصل .

[3] الأوزاعي : هو عبدالرحمن بن عمرو بن يحمد ، أبو عمر الأوزاعي الإمام الكبير ولد في حياة الصحابة عام (٨٨) هـ ، امتنع عن القضاء مرات عديدة ، كان كثير الحديث والعلم والفقه بل كان حجة زمانه ، وكان مما نسب إليه أحد المذاهب الفقهية التي اندثرت ، مواقفه مع الأمراء مشهورة فكان لا يخشى في الله لومة لائم توفي سنة (١٥٧) هـ .
انظر : الطبقات الكبرى (٧/٤٨٨) ، حلية الأولياء (٦/١٣٥) .

[4] هو حسان بن عطية المحاربي مولاهم ، أبو بكر الدمشقي ، تابعي من أفاضل أهل زمانه روى عن أبي أمامة وابن المسيب وغيرهما ، روى عنه الأوزاعي وغيره بقي إلى حدود سنة (١٣٠) هـ .
الثقات لابن حبان (٦/٢٢٣) ، السير (٥/٤٦٦) .

[5] هذا الأثر أخرجه الدارمي في سننه في المقدمة ، (٤٩) باب السنة قاضية على كتاب الله رقم (٥٨٨) ، وابن بطة العكبري في الإبانة الكبرى (١/٣٤٥-٣٤٦) في باب ما أمر به من التمسك بالسنة والجماعة والأخذ بها ، وفضل من لزمها رقم (٢١٩-٢٢٠) ، واللالكائي السنة (١/٨٣-٨٤) في سياق ما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم في الحث على التمسك بالكتاب والسنة . . برقم (٩٩) والأثر صحيح الإسناد .

[6] أبو عبيد : هو المذحجي صاحب سليمان بن عبدالملك قيل : اسمه عبدالملك أو حيي أو حوي بن أبي عمرو ، ثقة من الخامسة توفي بعد المائة . التقريب ص (٦٥٦) .

[7] سليمان بن عبدالملك بن مروان الخليفة الأموي .

[8] القاسم بن مخيمرة هو : القاسم بن مخيمرة أبو عروة الهمداني الكوفي نزيل دمشق حدث عن عبدالله بن عمرو بن العاص وأبي سعيد الخدري وأبي أمامة الباهلي وغيرهم ، حدث عنه أبو إسحاق السبيعي وسلمة بن كهيل وسماك بن حرب وحسان بن عطية وغيرهم قال ابن سعد وكان ثقة ، وقال أبو حاتم ثقة صدوق كوفي توفي في خلافة عمر بن عبدالعزيز سنة (١٠٠هـ) أو (١٠١ هـ) .
انظر : الجرح والتعديل (٧/١٢٠) ، السير (٥/٢٠١-٢٠٤) .

[9] ابن نضلة : اختلف في اسمه : فقيل : علقمة بن نضلة ، وقيل : طلحة بن نضيلة أو نضلة ، وقد رجح الحافظ ابن حجر رحمه الله أن اسمه : طلحة بن نضيلة ، واختلف في صحبته أيضاً ولكن رجح ابن حجر أيضاً أنه له صحبة حيث يقول في إثبت اسمه طلحة ، ومن رواية المفضل بن يونس أنه له صحبة ، هذا هو المعتمد وما علاه وهم . انظر : الإصابة (٣/٥٣٥) .

[10] في غير الأصل : زيادة (من فضله) .

وابن نضلة[٢] وهذايسمى طلحة .

وقد صح عنه أنه قال : " **ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه** "[٣] وهذا هو السنة بلا شك . وقد قال تعالى : ﴿ وَأَنزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ ﴾[٤] وهما القرآن والسنة .

وبالله التوفيق .



---

[1] أخرجه ابن قانع في معجم الصحابة في (٨١٩) ترجمه علقمة بن نصلة (٢/ ٢٨٧) وذكر الحافظ ابن حجر : أن ابن السكن أخرجه أيضاً بسنده من طريق أيوب بن خالد ، وذكر أيضاً أن الطبراني أخرجه في المعجم الكبير من طريق المفضل بن يونس عن الأوزاعي به ، ولم أجده في الكبير فلعله في الجزء الساقط . الإصابة (٣/ ٥٣٥) . وقال في المجمع : رواه الطبراني في الكبير وفيه بكر بن سهل لادمياطي ضعفه النسائي ووثقه غيره . وبقية رجاله ثقات . مجمع الزوائد (٤/ ١٠٠) .

[2] في المطبوع : (فضيلة) .

[3] أخرجه أبو داود في سننه : (٣٥) كتاب السنة ، (٦) باب في لزوم السنة ح (٤٥٩٤) ، وأحمد في مسنده (٤/ ١٣١) ، والبيهقي في سننه في كتاب الضحايا ، باب ما جاء في أكل لحوم الحمر الأهلية ، وكذا في دلائل النبوة في جماع أبواب أخبار النبي صلى الله عليه وسلم بالكوائن بعده باب ما جاء في إخباره بشبعان على أريكته يحتال في رد سنته بالحوالة على ما في القرآن (٦/ ٥٤٩) ، والطبراني في المعجم الكبير ح (٦٦٩-٦٧٠) (٢٠/ ٢٨٣) وابن حبان في صحيحه في (١) المقدمة (٢) باب الاعتصام بالسنة ح (١٢) من حديث المقدام بن معد يكرب رضي الله عنه .
وصحح إسناده الألباني كما في تخريج المشكاة (١/ ٥٨) .

[4] سورة النساء الآية (١١٣) .

فصل

{ صفات معلم الوحي }

ثم أخبر تعالى عن وصف من علمه الوحي والقرآن بما يعلم أنه مضاد لاوصاف الشيطان معلم الضلال والغواية ، فقال : ﴿ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى(٥) ﴾[1] وهذا نظير قوله (تعالى) : ﴿ ذِي / قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ ﴾ وذكرنا هناك السر في وصفه بالقوة وقوله (تعالى) (ذو مرة) أي جميل المنظر حسن السورة ذو جلالة . ليس شيطاناً أقبح خلق الله واشوههم صورة بل هو من أجمل الخلق وأقواهم وأعظمهم أمانة ومكانة عند الله (عز وجل) وهذا تعديل لسند الوحي والنبوة وتزكية له ، كما تقدم نظيره في سورة التكوير ، فوصفه بالعلم والقوة وجمال المنظر وجلالته وهذه كانت أوصاف الرسول البشري والملكي ، فكان رسول الله ﷺ أشجع الناس ، وأعلمهم وأجملهم ، وأجلهم[٢]. [٨٨/ب]

والشياطين وتلامذهم بالضد من ذلك كله ، فهم أقبح الخلق صورة ومعنى ، وأجهل الخلق واضعفهم هماً ونفوساً .

ثم ذكر استواء هذا المعلم بالأفق الأعلى ، ودنوه وتدليه وقربه من رسول الله ﷺ وايحائه إليه ما أوحى . فصور سبحانه لأهل الايمان صورة الحال من نزول جبريل من عنده إلى أن استوى بالأفق ثم دنى فتدلى ، وقرب من رسوله فأوحى إليه ما أمره الله بإيحائه حتى كأنهم يشاهدون صورة الحال ويعاينونه هابطاً من السماء إلى أن صار بالأفق الأعلى مستويا عليه ثم نزل وقرب من محمد ﷺ وخاطبه بما أمره الله به قائلاً : ربك يقول لك كذا وكذا .

---

[1] سورة النجم الآية (٥) .

[2] كما في الحديث : (كان النبي صلى الله عليه وسلم أحسن الناس ، وأجود الناس ، وأشجع الناس . . .) الحديث أخرجه البخاري في عدة مواضع من صحيحه منها : (٥١) كتاب الهبة (٣٣) باب من استعار من الناس الفرس ح (٢٦٢٧) وغيره .

وأخبر سبحانه عن مسافة هذا القرب بأنه قدر قوسين أو أدنى من ذلك ، وليس هذا على وجه الشك بل تحقيق لقدر المسافة ، وأنها لا تزيد على قوسين البتة . كما قال تعالى ﴿ **وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ(١٤٧)** ﴾[1] تحقيقاً لهذا العدد وأنهم لا ينقصون عن مائة ألف رجل واحداً / . [٨٩/أ]

ونظيره قوله (تعالى) : ﴿ **ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً** ﴾[2] ، أي لا تنقص قسوتها عن قسوة الحجارة ، بل إن لم تزد على قسوة الحجارة لم تكن دونها .

وهذا المعنى أحسن وألطف وأدق من قول من جعل " أو " في هذه المواضع بمعنى " بل " ، ومن قول من جعلها للشك بالنسبة إلى الرأي ، وقول من جعلها بمعنى الواو فتأمله .



---

(1) سورة الصافات الآية (١٤٧) .

(2) سورة البقرة الآية (٧٤) .

فصل

{ رؤية الرسول ﷺ لجبريل }

ثم أخبر تعالى عن تصديق فؤاده لما رأته عيناه ، وأن القلب صدق العين ، وليس كمن رأى شيئاً على خلاف ما هو به فكذب فؤاده بصره ، بل ما رآه ببصره صدقه الفؤاد وعلم أنه كذلك . وفيها قراءتان :

أحدهما : بتخفيف كذب والثانية : بتشديدها[١] .يقال : كذبته عينه وكذبه قلبه ، وكذبه جسده ، إذا أخلف ما ظنه وحدسه . قال الشاعر :

كذبتك عينك أم رأيت بواسطٍ غلس الظلام من الرباب خيالاً[٢]

أي أرتك ما لا حقيقة له ، فنفى هذا عن رسول الله ﷺ وأخبره ان فؤاده لم يكذب ما رآه و(ما) إما أن تكون مصدريه فيكون المعنى : أي ما كذب فؤاده رؤيته ، وإما أن تكون موصولة فيكون المعنى ما كذب الفؤاد الذي رآه بعينه[٣].

وعلى التقديرين فهو إخبار عن تطابق رؤية القلب لرؤية البصر ، وتوافقهما ، وتصديق كل منهما لصاحبه وهذا ظاهر جداً في قراءة التشديد . وقد استشكلها طائفة منهم المبرد وقال : في هذه القراءة بعد . قال : لأنه رأى[٤]إذا رأى بقلبه فقد علمه أيضاً بقلبه ، وإذا وقع العلم فلا كذب معه فإنه إذا كان الشئ في القلب معلوماً فكيف يكون معه تكذيب ؟ .

قلت : / وجواب هذا من وجهين . [٨٩/ب]

---

(1) وهي قراءة أبي جعفر وهشام . انظر : إرشاد المبتدئ للقلانسي (٥٧٢) ، والتذكرة لأبي الحسن (٥٦٨/٢) ، والإقناع لابن الباذش (٧٧٥/٢) .

(2) البيت من الكامل وهو للأخطل النصراني .

انظر : ديوان الأخطل (١٠٥/١) .

وذكره أيضاً في الكتاب (١٧٤/٣) ، الخزانة (٩/٦) ، والمقتضب (٢٩٥/٣) .

(3) انظر : الدر المصون (٨٨/١٠) .

(4) سقط من غير الأصل و (ب) .

أحدهما : أن الرجل قد يتخيل الشئ على خلاف ما هو به فيكذبه قلبه إذ يريه صورة المعلوم على خلاف ما هو[1] عليه ، كما تكذب عينه ، فيقال : كذبه قلبه ، وكذبه ظنه ، وكذبته عينه . فنفى سبحانه ذلك عن رسوله وأخبر إنما رآه الفؤاد فهو كما رآه ، كمن رأى الشئ على حقيقة ما هو به فإنه يصح أن يقال : لم تكذبه عينه .

الثاني : أن يكون الضمير في (رأي) عائد إلى الرأي لا إلى الفؤاد ، ويكون المعنى : ما كذب الفؤاد ما رآه البصر . وهذا بحمد الله لا إشكال فيه . والمعنى : ما كذب الفؤاد[2]بل صدقه وعلى القراءتين فالمعنى ما أوهمه الفؤاد أنه رأى و لم ير ولا اهم بصره .

ثم أنكر سبحانه عليهم مكابرقم وجحدهم له على ما رآه .كما ينكر على الجاهل مكابرته للعالم وممارته له على ما علمه . وفيهما قرآتان : " أفتمارونه " ، " وأفتمرونه "[3] . وهذه المادة أصلها من الجحد والدفع ، تقول : مريت الرجل حقه أي[4]: جحدته ، كما قال الشاعر :

لان هجرت أخا صدق ومكرمة   لقد مريت أخاً ما كان يمريكا[5]

ومنه المماراة وهي المجادلة والمكابرة . ولهذه عدي هذا الفعل (بعلى) وهي على بابها ، وليست بمعنى عن كما قاله المبرد ، بل الفعل متضمن معنى المكابرة ، وهذا في قراءة الألف أظهر .

ورجح أبو عبيد[6]قراءة من قرأ أفتمرونه . قال : وذلك أن المشركين إنما كان[7]شأنهم الجحود لما كان يأتيهم من الوحي ، وهذا كان أكثر من المماراة منهم ، يعني : أن من قرأ أفتمارونه فمعناه أفتجادلونه ؟ ومن قرأ (أفتمرونه) فمعناه أفتجحدونه وجحودهم لما جاء به كان هو شأنهم ، وكان أكثر من مجادلتهم له ، وخالفه أبو علي وغيره .

---

(1) في غير الأصل : (هي) .

(2) في غير الأصل و (ب) : (ما رآه البصر) .

(3) قرأ حمزة والكسائي وخلف ويعقوب (أفتمرونه) مفتوحة التاء بغير ألف ، وقرأ الباقون : (أفتمارونه) بألف . انظر : إرشاد المبتدي ص (   ) النشر (٣٧٩/٢) .

(4) في غير الأصل : (إذا) .

(5) ورد البيت غير منسوب عند جملة من المفسرين .
انظر الكشاف (٤٢٠/٤) ، الجامع لأحكام القرآن (٦٢/١٧) ، البحر المحيط (١٥٩/٨) الألوسي (٤٩/٢٧) .

(6) في المطبوع : أبو عبيدة . الصحيح أنه أبو عبيد كما في البسيط (٢٠٨/١) والجامع لأحكام القرآن (١٧/ ٦٢) .

(7) سقط من المطبوع .

واختاروا قراءة أفتمارونه . قال أبو علي : من قرأ أفتمارونه فمعناه : أفتجادلونه جـــدالاً ترومون به دفعه عما علمه وشاهده[1]. ويقوي هذا الوجه قوله تعالى : ﴿ **يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَــقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ** ﴾[2] ومن قرأ افتمرونه كان المعنى أفتجحدونه ؟ قال : والمجادلة كأنها أشبه في هـــذا ، لان الجحود كان منهم في هذا وفي غيره .

وقد جادله المشركون في الإسراء[3] قلت : القوم جمعوا بين الجدال والدفع والانكـــار . فكان جدالهم جدال جحود ودفع لا جدال استرشاد وتبيين للحق ، وإثبات الألف يـــدل علـــى المجادلة والإتيان بعلى يدل على المكابرة ، فكانت قراءة الألف منتظمة للمعنيين جميعاً ، فهي أولى . وبالله التوفيق .

(1) الحجة للقراء السبعة (٦/٢٣٠) .
(2) سورة الأنفال الآية (٦) .
(3) الحجة (٦/٢٣٠) .

﴿ فصل ﴾

ثم أخبر سبحانه عن رؤيته لجبريل مرة أخرى عند سدرة المنتهى ، فالمرة الاولى كانت دون السماء بالأفق الأعلى ، والثانية كانت فوق السماء عند سدرة المنتهى . وقد صح عنه ﷺ أنه يعني جبريل عليه الصلاة والسلام رآه على صورته التي خلق عليها مرتين كما في الصحيحين عن زر بن حبيش[١]أنه سئل عن قوله تعالى : ﴿ **فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى** ﴾ قال : أخبرني ابن مسعود أن النبي ﷺ رأى جبريل له ستمائة جناح[٢].

وفي الصحيحين أيضاً عن عبد الله ابن مسعود (ما كذب الفؤاد ما رأى)[٣]قال : رأى جبريل في صورته له ستمائة جناح[٤]. وقال البخاري عنه : رأى رفرفاً أخضر سد الأفق[٥].

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة : ﴿ **وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى** ﴾ . قال : رأى جبريل عليه السلام[١].

---

(1) زر بن حبيش هو : زر بن حبيش بن حباشة بن أوس ، الكوفي ، أبو مريم الأسدي ، أدرك أيام الجاهلية وحدث عن جمع من كبار الصحابة ، كان من القراء ، وقد قرأ على ابن مسعود وعلي رضي الله عنهما . توفي سنة (٨١) هـ وقد تجاوز عمره المائة . انظر : الطبقات الكبرى (٦/١٠٤) حلية الأولياء (٤/١٨١) .

(2) أخرجه البخاري في (٥٩) كتاب بدء الخلق ، (٧) باب إذا قال أحدكم " آمين " والملائكة في السماء فوافقت إحداهما الأخرى غفر له ما تقدم من ذنبه ح (٣٢٣٢) ، ومسلم في (١) كتاب الإيمان ، (٧٦) باب في ذكر سدرة المنتهى ح (١٧٤) عن ابن مسعود رضي الله عنه .

(3) هنا بياض بالأصل ، والاستدراك من البقية .

(4) أخرجه البخاري في (٦٥) كتاب التفسير (٥٣) سورى النجم ح (٤٨٥٦) ومسلم في الموضع السابق في الحديث الذي قبله .

(5) والحديث أخرجه البخاري في (٥٦) كتاب التفسير (٥٣) سورة النجم ح (٤٨٥٨) .

في المطبوع : (يسد الأفق) .

وفي صحيحه أيضاً عن مسروق قال : كنت متكئاً عند عائشة فقالت : ثلاث من تكلم بواحدة منهن / فقد أعظم على الله الفرية . فقلت : ما هن ؟ قالت : من زعم أن محمداً رأى ربه [٩٠/ب] فقد أعظم على الله الفرية . قال : وكنت متكئاً فجلست فقلت : يا أم المؤمنين ، أنظريني ولا تعجليني ، ألم يقل الله عز وجل : ﴿ **وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ** ﴾ ﴿ **وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى** ﴾ ؟ فقالت : أنا أول هذه الأمة سأل عن ذلك رسول الله ﷺ فقال : إنما هو جبريل ، لم أره على صورته التي خلق عليها غير هاتين المرتين ، رأيته منهبطاً من السماء ساداً عظم خلقه ما بين السماء والأرض " . فقالت أو لم تسمع أن الله عزو وجل يقول : ﴿ **لَا تُدْرِكُهُ الأبصار وَهُوَ يُدْرِكُ الأبصار وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ(١٠٣)** ﴾[٢] : أو لم تسمع أن الله عز وجل يقول : ﴿ **وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ(٥١)** ﴾[٣] .

قالت : ومن زعم أن محمداً ﷺ [٤]كتم شيئاً من كتاب الله فقد أعظم على الله عز وجل الفرية .والله عز وجل يقول : ﴿ **يَاأَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ** ﴾[٥] . قالت : ومن زعم أنه يخبر بما يكون في غد فقد اعظم على الله الفرية . والله عز وجل يقول : ﴿ **قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأرض الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ** ﴾[٦] ولو كان محمداً كاتماً شيئاً مما أنزل عليه لكتم هذه الاية : ﴿ **وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ** ﴾[٧] .[١]

---

[1] أخرجه مسلم في (١) كتاب الإيمان (٧٧) باب معنى قول الله عز وجل : (ولقد رآه نزلة أخرى) ح (١٧٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

[2] سورة الأنعام الآية (١٠٣).

[3] سورة الشورى الآية (٥١) .

[4] سقط من (م) و (ق) والمطبوع .

[5] سورة المائدة الآية (٦٧)

[6] سورة النمل الآية (٦٥) .

[7] سورة الأحزاب الآية (٣٧) ،

وفي الصحيحين عن مسروق أيضاً قال : سألت عائشة رضي الله عنها : هل رأى محمد ربه ؟ فقالت : سبحان الله . لقد قف شعري مما قلت[٢].

وفيهما أيضاً قال : قلت لعائشة : فأين قوله عز وجل : ﴿ **ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى (٨) فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى** ﴾ قالت : إنما ذلك جبريل ، كان يأتيه في صورة الرجال وإنه أتاه في هذه المرة في صورته . التي هي صورته فسد الأفق[٣].

وفي صحيح مسلم أن أبا ذر[٤]سأله ﷺ هل رأيت ربك ؟ فقال : " **نور أني أراه** "[٥] .

[٩١/أ]

وفي صحيحه / من حديث أبي موسى الأشعري[٦]قال : قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بخمس كلمات فقال : " **إن الله لاينام ، ولا ينبغي له أن ينام ، يخفض القسط ويرفعه ، يرفع إليه عمل الليل قبل النهار ، وعمل النهار قبل الليل ، حجابه النور ، لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه** "[٧] . وهذا الحديث ساقه مسلم[٨]بعد حديث أبي ذر المتقدم عقيبه[١]وهو كالتفسير له .

---

(1) أخرجه مسلم في (١) كتاب الإيمان ، (٧٧) باب معنى قول الله (عز وجل) : ﴿ ولقد رآه نزلة إخرى ﴾ وهل رأى النبي صلى الله عليه وسلم ربه ليلة الإسراء ح (١٧٧) ، وأخرج البخاري بعضه في حديثين أحدهما في (٦٥) كتاب التفسير (٥) سورة المائدة ح (٤٦١٢) ، و (٥٣) سورة النجم ح (٤٨٥٥) .

(2) انظر الحديث الذي قبله .

(3) أخرجه البخاري في (٥٩) كتاب بدء الخلق ، (٧) باب إذا قال أحدكم (آمين) والملائكة في السماء فوافقت إحداهما الأخرى غفر له ما تقدم من ذنبه ح (٣٢٣٥) ، ومسلم في الموضع السابق برقم (١٧٧-٢٩٠) .

(4) أبو ذر : هو جندب بن جنادة الغفاري ، وقيل : جندب بن سكن ، كان من السابقين إلى الإسلام ، وكان أحد الزهاد ، قوالاً بالحق لا تأخذه في الله لومة لائم . توفي سنة (٣٢ هـ) .
انظر : حلية الأولياء (١/١٥٦-١٧٠) ، شذرات الذهب (١/٣٩) .

(5) أخرجه مسلم في (١) كتاب الإيمان ، (٧٧) باب معنى قول الله عز وجل : ﴿ ولقد رآه نزلة أخرى ﴾ . . . ح (١٧٨) .

(6) أبو موسى الأشعري هو : عبدالله بن قيس بن سليم : صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو موسى الأشعري التميمي ، الفقيه المقرئ ، وكان من أندى الناس صوتاً بقراءة القرآن : اختلف في تحديد وفاته ورجح الذهبي أنها سنة (٤٤) هـ .
انظر : السير (٢/٣٨٠-٤٠٢) الإصابة (٢/٣٥١-٣٥٢) .

(7) أخرجه مسلم بعد الحديث السابق في (٧٩) باب في قوله علهي السلام : (إن الله لا ينام) . . . ح (١٧٩) .

(8) مسلم : هو مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري ، أبو الحسين النيسابوري ، من أئمة المحدثين وحفاظهم من تصانيفه : (صحيح مسلم) والذي هو في الرتبة الثانية بعد صحيح البخاري ومن الكتب التي تلقتها الأمة بالقبول ، توفي سنة (٢٦١ هـ) .

ولا ينافي هذا قوله في الحديث الصحيح ، حديث الرؤية يوم القيامة : " **فيكشف الحجاب فينظرون إليه** "(٢) فإن النور الذي هو حجاب الرب تعالى يراد به الحجاب الأدنى إليه ، وهو لو كشفه لم يقم له شئ . كما قال ابن عباس في قوله (تعالى)(٣): ﴿ **لَا تُدْرِكُهُ الأبصار** ﴾(٤) قال : ذاك نوره الذي هو نوره إذا تجلى به لم يقم له شئ(٥).

وهذا الذي ذكره ابن عباس يقتضي أن قوله : ﴿ **لَا تُدْرِكُهُ الأبصار** ﴾على عمومه وإطلاقه في الدنيا والآخرة ، ولا يلزم من ذلك أن لا يرى ، بل يرى في الآخرة بالأبصار من غير إدراك ، وإذا كانت أبصارنا لا تقوم لإدراك الشمس على ماهي عليه ، وإن أراهما مع القرب الذي بين المخلوق والمخلوق ، فالتفاوت الذي بين أبصار الخلائق وذات الرب جل جلاله أعظم وأعظم ، ولهذا لما حصل للجبل أدنى شئ من تجلي الرب تساقى الجبل واندك لسبحات ذلك القدر من التجلي .

وفي الحديث الصحيح المرفوع " **جنتان من ذهب أنيتهما وحليتهما وما فيهما ، وجنتان من فضة أنيتهما وحليتهما وما فيهما وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن** "(٦) . فهذا يدل على أن رداء الكبرياء على وجهه تبارك وتعالى هو

انظر : تاريخ بغداد (١٣/١٠٠-١٠٤) ، السير (١٢/٥٥٧-٥٨٠) .

[٩١/ب]

(1) سقط من المطبوع .

(2) أخرجه مسلم في (١) كتاب الإيمان (٨٠) باب إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة ربهم سبحانه وتعالى ح (١٨١) من حديث صهيب رضي الله عنه .

(3) في (م) و (ق) والمطبوع : (عز وجل) .

(4) سورة الأنعام الآية (١٠٣) .

(5) أخرجه الترمذي في جامعه (٤٨) كتاب تفسير القرآن ، (٥٣) باب سورة النجم ح (٣٢٧٩) وفيه : قال : ويحك ذاك إذا تجلى بنوره الذي هو نوره ، وقال ،: اريه مرتين . قال أبو عيسى : هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه .

وأخرجه ابن أبي عاصم في السنة (٩٤) باب ما ذكر من رؤية النبي صلى الله عليه وسلم ربه تعالى ح (٤٣٧) وابن خزيمة في التوحيد في (٤٧) باب ذكر الأخبار المأثورة في إثبات رؤية النبي صلى الله عليه وسلم خالقه العزيز العليم . . ح (٢٧٣-٢٧٤) ، واللالكائي في شرح أصول الاعتقاد ، في سياق ما روي أن النبي صلى الله عليه وسلم رآه بقلبه ح (٩٢٠) كلهم من طريق الحكم بن أبان عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما .

قال الألباني رحمه الله تعالى : إسناده ضعيف ، ورجاله ثقات ، لكن الحكم ابن أبان فيه ضعف من قبل حفظه . السنة لابن أبي عاصم ص (١٩٠).

(6) أخرجه البخاري في (٦٥) كتاب التفسير (٥٥) سورة النجم ح (٤٨٧٨) ومسلم في (١) كتاب الإيمان (٨٠) باب إثبات رؤية المؤمنين ربهم في الآخرة ح (١٨٠) من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه .

المانع من رؤية الذات ، ولا يمنع من أصل الرؤية ، فإن الكبرياء والعظمة أمر لازم لذاته تعالى فإذا تجلى سبحانه لعباده يوم القيامة كشف[١] الحجاب بينهم وبينه فهو الحجاب المخلوق / وأما نور الذات الذي يحجب عن إدراكها فذاك صفة للذات لا تفارق ذات الرب جل جلاله ، ولو كشف ذلك الحجاب لأحرقت سبحات وجهه ما أدرك بصره من خلقه وتكفي هذه الإشارة في مثل هذا المقام للمصدق الموقن ، فأما المعطل الجهمي فكل هذا عنده باطل محال .

والمقصود أن المخبر عنه بالرؤية في سورة النجم هو جبريل . وأما قول ابن عباس : " رأى محمد ربه بفؤاده مرتين[٢]، فالظاهر أن مستنده هذه الاية ، وقد تبين أن المرئي فيهما جبريل ، فلا دلالة فيها على ما قاله ابن عباس .

وقد حكى عثمان بن سعيد الدارمي الإجماع على ما قالته عائشة فقال في نقضه على المريسي[٣] في الكلام على حديث ثوبان[٤] ومعاذ[٥] أن رسول الله ﷺ قال: " **رأيت ربي البارحة في أحسن صورة** "[٦] فحكى تأويل المريسي الباطل له ، ثم قال : (ويلك . أن تأويل هذا الحديث

---

[1] في غير الأصل : (وكشف) .

[2] قول ابن عباس هذا أخرجه مسلم في (١) كتاب الإيمان (٧٧) باب معنى قول الله عز وجل ﴿ ولقد رآه نزلة أخرى ﴾ . ح (١٧٦).

[3] المريسي : هو بشر بن غياث بن أبي كريمة العدوي مولاهم البغدادي المريسي أبو عبدالرحمن المتكلم المتبدع ، سمه الذهبي : (بشر الشر) له عدة كتب منها : كتاب الإرجاء ، والرد على الخوارج ، والاستطاعة . هلك سنة (٢١٨) هـ .

وقد رد عليه الدارمي في كتابه القيم : " رد الإمام الدارمي عثمان بن سعيد على بشر المريسي العنيد " .

انظر : تاريخ بغداد (٧/٥٦-٦٧) ، السير (١٠/١٩٩-٢٠٢) .

[4] ثوبان : هو ثوبان بن بجدد ، ويقال : ابن جحدرأبو عبدالله ، ويقال : أبو عبدالرحمن الهاشمي مولى النبي صلى الله عليه وسلم ، خيره النبي صلى الله عليه وسلم بين أن يلحق بأهله وبين البقاء عنده ، فاختار البقاء عنده ولم يزل معه حتى مات عليه الصلاة والسلام فخرج إلى الشام ونزل حمص وابتنى بها داراً ومات بها في إمارة عبدالله بن قرط سنة (٥٤هـ) . انظر : الطبقات الكبرى (١/٤٩٨) ، تهذيب التهذيب (٢/٢٨) .

[5] معاذ : هو معاذ بن جبل بن عمرو بن أوس الأنصاري ، الخزرجي . أبو عبدالرحمن : صاحبي جليل ، كان أحد الذين جمعوا القرآن في عهد النبي صلى الله عليه وسلم ، وهو الذي قال عنه النبي صلى الله عليه وسلم ايضاً : (وأعلمكم بالحلال والحرام معاذ) بعثه النبي صلى الله عليه وسلم بعد غزوة تبوك قاضياً ومرشداً لأهل اليمن توفي سنة (١٨هـ) .

انظر : طبقات ابن سعد (٣/٥٨٣-٥٩٠) . غاية النهاية (٢/٣٠١) .

[6] حديث ثوبان : أخرجه ابن أبي عاصم في السنة ح (٤٧٠) ، وابن خزيمة في التوحيد (٥٠) باب ذكر الأخبار المأثورة في رؤية النبي صلى الله عليه وسلم خالقه ح (٣٢١) ، والبزار كما في كشف الاستار ، في كتاب التعبير ، باب ما رآه النبي صلى الله عليه وسلم ح (٢١٢٨) ، والبغوي في شرح السنة في كتاب الصلاة باب التحريض على قيام الليل ح (٩٢٥) .

على غير ما ذهبت إليه لها[١] أن رسول الله ﷺ قال في حديث أبي ذر : " **إنه لم ير ربه** " وقال رسول الله ﷺ : " **لن تروا ربكم حتى تموتوا** "[٢] وقالت عائشة رضي الله عنها : من زعم أن محمداً رأى ربه فقد أعظم على الله الفرية " ، وأجمع المسلمون على ذلك مع قول الله (تعالى) : ﴿ **لَا تُدْرِكُهُ الأبصار** ﴾ يعنون أبصار الدنيا ، وإنما هذه الرؤية كانت في المنام [وفي المنام][٣] يمكن رؤية الله على كل حال كذلك .

روى[٤] معاذ بن جبل عن النبي ﷺ أنه قال : " **صليت ما شاء الله من الليل ثم وضعت جنبي فأتاني ربي في أحسن صورة** "[٥] فهذا تأويل هذا الحديث عند أهل العلم[٦] .

وقد ظن القاضي أبو يعلى[٧] أن الرواية[٨] اختلفت عن الإمام أحمد ، هل رأى رسول الله ﷺ ربه في ليلة الإسراء أم لا ؟ على ثلاث روايات :

أما حديث معاذ : أخرجه أحمد في مسنده (٥/٢٤٣) ، والترمذي في جامعه في (٤٨) كتاب تفسير القرآن (٣٩) باب (ومن سورة ص) ح (٣٢٣٥) ، وابن خزيمة في التوحيد ح (٣٢١) ، والحاكم في المستدرك (١٨) كتاب الدعاء ، باب أمر الرب تبارك وتعالى نبيه أن يقول : " اللهم إني أسألك الطيبات " . . ح (١٩٥٦) .

والحديث أيضاً مروي عن جمع من الصحابة منهم ابن عباس وابن عمر ، وجابر بن سمرة وغيرهم وقد صحح الحديث الإمام أحمد كما في التهذيب (٦/٥٥) ، والبخاري والترمذي كما في السنن (٥/٣٤٤) ، ومن المعاصرين الشيخ أحمد شاكر كما في تعليقه على المسند (٥/١٦٢) ، والشيخ الألباني في تخريجه للسند لابن أبي عاصم ص (٢٠٤) وما بعدها .

(1) سقط من غير الأصل و (ب ٩ وفي المطبوع : (أما) .

(2) أخرجه أحمد في المسند (٥/٣٢٤) ، وأبو داود في سننه في (٣٢) كتاب الملاحم ، (١٤) خروج الدجال ح (٤٣٢٠) ولم يذكر هذه اللفظة ، وعبدالله بن أحمد في السنة في ما ورد في ذكر الدجال وصفته ح (١٠٠٧) ، وأخرجه ابن أبي عاصم في السنة (٩٣) باب : ذكر قول النبي صلى الله عليه وسلم : (إنكم لن تروا ربكم حتى تموتوا) ح (٤٢٨) ، والبزار كما في كشف الأستار في كتاب الفتن ، باب ما جاء في الدجال ح (٣٣٨٩) من حديث عبادة بن الصامت ، وفي إسناده بقية بن الوليد ، صدوق كثير التدليس عن الضعفاء ، ولكنه صرح بالتحديث عند أحمد وابنه عبدالله ، وعند ابن أبي عاصم في السنة فانتفت شبهة التدليس بذلك ، وقد جود إسناده الألباني رحمه الله كما في تخريجه للسنة لابن أبي عاصم ص (١٨٦) ، وفي تخريجه للمكاة (٣/١٥١٤) ح (٥٤٨٥) .

(3) زيادة من نقض الدارمي (٢/٧٣٨) .

(4) في (م) و (ق) والمطبوع : (وروى) .

(5) تقدم تخريجه قريباً .

(6) نقض الدارمي على المريسي (٢/٧٣٧-٧٣٩) .

(7) القاضي أبو يعلى : هو محمد بن الحسين بن محمد البغدادي الحنبلي المشهور بالقاضي أبي يعلى من أئمة الحنابلة ، تفقه على أبي عبدالله بن حامد من كبار الحنابلة ، وقد تولى القضاء للقائم بأمر الله وبرع في مذهب الإمام أحمد حتى صار إماماً في المذهب من مصنفاته : مسائل الإيمان ، العدة في أصول الفقه ، الأحكام السلطانية وغيرها وتوفي سنة (٤٥٨) هـ .
طبقات الحنابلة (٢/١٩٣) ، السير (١٨/٨٩) .

(8) تحرفت في الأصل إلى (الرؤية) . وكلام القاضي هذا في الروايتين والوجهين وفي إبطال التأويلات .

إحداها : أنه رأى[1]. قال المروذي[2]: قلت لابي عبد الله : يقولون إن عائشة قالت : من زعم أن محمداً رأى ربه فقد أعظم على الله الفرية . فبأي شئ تدفع قول عائشة ؟ / فقال : بقول [٩٢/أ] النبي ﷺ : " **رأيت ربي** " قول النبي ﷺ أكبر من قولها .

قال : وذكر المروذي في موضع آخر أنه قال لأبي عبد الله ههنا رجل يقول : " إن الله يرى في الآخرة ، ولا أقول " إن محمداً رأى ربه في الدنيا . فغضب ، وقال : هذا أهل أن يجفا يسلم الخبر كما جاء . قال : فظاهر هذا أنه أثبت رؤية عين .

ونقل حنبل[3]قال : قلت لأبي عبد الله : النبي ﷺ رأى ربه ؟ قال : رؤيا حلم بقلبه . قال : فظاهر هذا نفي الرؤية .

وكذلك نقل الأثرم[4]وقد سأله عن حديث عبد الرحمن بن عايش[5]عن النبي ﷺ : " **رأيت ربي في أحسن صورة** " فقال : مضطرب ، إن معمراً[6]رواه عن أيوب[7]عن معبد[8]عن عبد

---

[1] في غير الأصل و (ب) : (رآه) .

[2] المروذي : هو أبو بكر أحمد بن محمد بن الحجاج المروذي ، صاحب الإمام أحمد وحدث عنه وروى عنه مسائل كثيرة ، والمروذي نسبه إلى مرو الروذ . قال عنه الذهبي : " كان إماماً في السنة شديد الاتباع له جلالة عجيبة في بغداد " توفي سنة (٢٧٥هـ) .
انظر : طبقات الحنابلة (٥٦/١) ، السير (١٧٣/١٣) .

[3] حنبل : هو أبو علي حنبل بن إسحاق بن حنبل الشيباني ، ابن عم الإمام أحمد وتلميذه ، سمع المسند من الإمام أحمد كاملاً ، وله مسائل كثيرة عنه ، وله عدة مصنفات منها : الفتن ، والمحنة ، وكتاب السنة ، توفي سنة (٢٧٣هـ) .
انظر : طبقات الحنابلة (١٤٣/١) ، شذرات الذهب (١٦٣/٢) .

[4] الأثرم : هو أحمد بن محمد بن هانئ أبو بكر الأثرم الطائي ، تلميذ الإمام أحمد وأحد رواة المذهب الحنبلي له كتاب السنن والسنة وغيرهما . توفي سنة (٢٧٣هـ) .
انظر : طبقات الحنابلة (٦٦/١) ، شذرات الذهب (١٤١/٢) .

[5] عبدالرحمن بن عائش الحضرمي ، أو السكسي ، مختلف في صحبته ، قال أبو حاتم : هو تابعي وأخطأ من قال له صحبة وقال الترمذي : لم يسمع من النبي صلى الله عليه وسلم . انظر : تهذيب التهذيب . (٢٠٤/٦) ، والإصابة (٤٠٥/٢) .

[6] معمر : هو معمر بن راشد الأزدي أبو عروة البصري ، سكن اليمن وهو شيخ عبدالرزاق الصنعاني قال أحمد : لا تضم أحداً إلى معمر إلا وجدته يقدمه في الطلب وقال النسائي : الثقة المأمون . مات سنة (١٥٣) هـ . انظر : السير (٥/٧).

[7] أيوب : هو أيوب بن أبي تميمة ، واسمه كيسان السختياني ، أبو بكر البصري رأى أنس بن مالك وروى عن ابن أبي مليكة وعطاء وعكرمة ، وری عنه حماد بن زيد ، ومعمر بن راشد وغيرهما وهو ثقة ثبت حجة من كبار الفقهاء والعباد توفي سنة (١٣١هـ) . انظر : طبقات ابن سعد (٢٤٦/٧) ، السير (١٥/٦) .

[8] (أبو معبد) هكذا في الأصل وهوتصحيف صوابه معبد كما في غيرالأصل ، وكما في الروايتين والوجهين ص ٦٦ .

الرحمن بن عايش عن النبي ﷺ [١] ورواه حماد[٢] عن قتادة عن عكرمة عن ابن عباس[٣]. ورواه يوسف بن عطية[٤] عن قتادة عن أنس[٥]. ورواه عبد الرحمن بن يزيد بن جابر[٦] عن خالد بن اللجلاج[٧] عن عبد الرحمن بن عايش عن رجل من أصحاب النبي ﷺ [٨]. ورواه يحيى بن أبي كثير[٩] فقال : عن ابن عباس[١٠] عن معاذ عن النبي ﷺ . وأصل الحديث واحد[١١].

قال الأثرم : فقلت لأبي عبد الله :فإلى أي شئ تذهب ؟ فقال : قال الأعمش[١٢] عن زياد بن الحصين[١٣] عن أبي العالية عن ابن عباس قال : رأى محمد ربه بقلبه[١].

---

[1] هكذا جاء السند في التبيان كما نقله عن أبي يعلى في الروايتين ، وعند أبي يعلى في كتابه إبطال التأويلات قال : (لأن معمراً روى عن أيوب عن أبي قلابة عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم) ولعله وهو الصواب والله أعلم .

[2] حماد : هو حماد بن مسلمة بن دينار البصري ، أبو سلمة بن أبي صخرة ، وهو ابن اخت حميد الطويل . روى عن ثابت البناني ، وحميد الطويل وغيرهما ، وروى عنه سفيان الثوري ومحمد بن إسحاق وهو ثقة عابد توفي سنة (٢٢٠هـ) .
انظر : الطبقات الكبرى (٧/٢٨٥) . السير (٧/٤٤٤) .

[3] أخرجه أحمد في مسنده (١/٢٨٥) ، وابن أبي عاصم في السنة (٩٤) باب ما ذكر من رؤية النبي صلى الله عليه وسلم ربه تعالى ح (٤٤٠) وصححه الألباني .

[4] يوسف بن عطية بن ثابت الصفار ، أبو سهل البصري . متروك توفي سنة (١٨٧هـ) التقريب ص (٣٨٨).

[5] ذكر هذه الرواية في الروايتين والوجهين ص (٦٦) ، وفي إبطال التأويلات (١/١٤٠) .

[6] عبدالرحمن بن يزيد بن جابر الأزدي الدمشقي ، قال ابن معين والعجلي وابن سعد : ثقة ، وقال أبو داود من ثقات الناس . مات سنة (٢٥٦ هـ) .

[7] خالد بن اللجلاج العامري أبو إبراهيم الحمصي وقيل الدمشقي صدوق فقيه من الثانية التقريب ص (٩٠) .

[8] أخرجه الإمام أحمد (٥/٣٧٨)، وعبدالله بن أحمد في السنة وابن خزيمة في التوحيد ح (٣١٨) .

[9] يحيى بن أبي كثير : هو الطائي مولاهم ابو نصر اليمامي ثقة ثبت ، لكنه يدلس ويرسل توفي سنة (١٣٢هـ) انظر : التقريب ص (٣٧٨) .

[10] هكذا في الأصل ، وفي غيره ابن عائش وهو هكذا في الروايتين والوجهين وابن عائش إنما رواه عن مالك بن يخامر عن معاذ كما خرج ذلك الإمام أحمد في مسنده (٥/٢٤٣) ، والترمذي في سننه في (٤٨) تفسير القرآن (٣٩) باب وقال : هذا حديث حسن صحيح .

[11] كما قال ذلك القاضي أبو يعلى كما في الروايتين والوجهين ص (٦٧) ، وفي إبطال التأويلات (١/١٤٠) .

[12] الأعمش: هو سليمان بن مهران الأسدي الكاهلي ثقة حافظ ورع ، لم تفته تكبيرة الإحرام سبعين سنة أدرك جماعة من الصحابة وعاصرهم منهم أنس بن مالك رضي الله عنه ، روى عن أبي صالح ذكوان ، وطلحة بن مصرف ، وعامر الشعبي وغيرهم ، روى عنه أبو إسحاق السبيعي وشعبة والسفيانان وغيرهم ، كان يدلس . انظر : تاريخ بغداد (٩/٣-١٣) ، تهذيب التهذيب (٤/٢٢٢-٢٢٦)

[13] زياد بن الحصين : هو زياد بن الحصين بن قيس الحنظلي اليربوعي ، ويقال الرياحي ، أبو جهمة البصري . روى عن أبيه وعن ابن عباس وابن عمر وأبي العالية وعنه الأعمش وعاصم الأحول وغيرهما (ثقة يرسل) قال أبو حاتم : أبو جهمة عن ابن عباس مرسل . ليس له في مسلم سوى هذا الحديث فقط . انظر : التهذيب (٣/٣١٤) ، التقريب ص (٢١٩).

ونقل الأثرم أن رجلاً قال لأحمد عن حسين الأشيب[٢] أنه قال : لم ير النبي ﷺ ربه تعالى فأنكره عليه إنسان وقال : نقول رآه ، ولا نقول بعينه ولا بقلبه كما جاء الحديث ، فاستحسن ذلك الأشيب .

فقال أبو عبد الله : حسن[٣] قال : وظاهر هذا إثبات رؤية لايعقل معناها هل كانت بعينه أم بقلبه[٤]؟ فهذه نصوص أحمد وقد جعلها القاضي مختلفة وجعل المسألة على ثلاث روايات ، ثم احتج للرواية الاولى بحديث أم / الطفيل[٥]، وحديث عبد الرحمن ابن عايش[٦] الحضرمي ، ولا [٩٢/ب] دلالة فيهما ، لانها رواية منام قطعاً ، واحتج لها بما لايرضى أحمد أن يحتج به ، وهو حديث لا يصح عن أبي عبيدة بن الجراح مرفوعاً " **لما كانت ليلة اسرى بي رأيت ربي في احسن صورة ، فقال : فيم يختصم الملأ الأعلى ؟** "[٧] وذكر الحديث ، وهذا غلط قطعاً ، فإن القصة إنما كانت بالمدينة كما قال معاذ بن جبل : احتبس عنا رسول الله ﷺ في صلاة الصبح حتى كدنا نتراء ا عين الشمس ثم خرج فصلى بنا، ثم قال : " **رأيت ربي البارحة في أحسن صورة فقال : يا محمد ، فيم**

---

[1] أخرجه مسلم في (١) كتاب الإيمان (٧٧) باب معنى قول الله عز وجل : ﴿ ولقد رآه نزلة أخرى ﴾ ح (١٧٦) ولفظه : قال : رآه بفؤاده مرتين .

[2] حسين الأشيب : هكذا في المخطط وصوابه (الحسن) وهو الحسن بن موسى الأشيب أبو علي البغداد قاضي طبرستان والموصل وحمص روى عن الحمادين وشعبة وسفيان وغيرهم روى عن أحمد وأبو خثمة وأبناء أبي شيبة وغيرهم ، انظر : التهذيب (٢٧٩/٢) .

[3] الروايتين والوجهين ص (٦٨) .

[4] انظر : الروايتين والوجهين ص (٦٤) –٦٨) ، إبطال التأويلات (١١٠/١-١١١ ، ١٤٠) .

[5] أم الطفيل : أم الطفيل : هي أم الطفيل بنت الطفيل بن عمرو الدوسي ،امرأة أبي بن كعب لها صحبة ورواية كانت تكنى بابنها الطفيل بن أبي بن كعب ، روىعنها عمارة بن عمير وابنها محمد بن أبي بن كعب . انظر : الاستيعاب (١٩٤٤/٤) ، والإصابة (٢٤٦/٨) .

وحديث أم الطفيل : أخرجه ابن أبي عاصم في السنة (٩٩) باب ح (٤٧١) ، واللالكائي في شرح أصول الاعتقاد في سياق ما روى أن النبي صلى الله عليه وسلم رآه بقلبه ح (٩٠٩) .

[6] ورد في الأصل والمخطوطات الأخرى والمطبوع : (عبدالرحمن بن عابس) وهو خطأ والتصويب من الروايتين والوجهين وممن ترجمة الرواي .

[7] الحديث أخرجه أبوبكر الخلال في سننه كما في إبطال التأويلات (١٠٣/١) ، وفي إسناده عبدالرحمن بن سابط وهو ثقة كثير الإرسال وفي سماعه من أبي ثعلبة الخشني نظر فقد قيل : إنه لم يسمع منه (التهذيب ١٨٠/٦) ، وكذلك أخرجه الخطيب البغدادي في تاريخه (١٥١/٨-١٥٢) في ترجمة حماد بن دليل المدائني من نفس الطريق السابق والحديث بهذا الإسناد ضعيف ، وقد ضعفه ابن القيم هنا .

يختصم الملأ الأعلى ؟ " وذكر الحديث هذا كان بالمدينة والإسراء كان بمكة ، وليس عن الإمام أحمد و لا عن النبي ﷺ نص أنه رآه بعينه يقظة ، وإنما حمل القاضي كلام أحمد ما لا يحتمله ، واحتج بما[1] فهم منه بما لا يدل عليه ، وكلام أحمد يصدق بعضه بعضاً ، والمسألة رواية واحدة عنه ، فإنه لم يقل بعينه ، وإنما قال رآه ، واتبع في ذلك قول ابن عباس : رأى محمد ربه . ولفظ الحديث : " **رأيت ربي** " وهو مطلق قد جاء بيانه في الحديث الاخر ، ولكن[2] رد أحمد قول عائشة ومعارضته .بقول النبي ﷺ إشعار بأنه أثبت الرؤية التي أنكرتها عائشة ، وهي لم تنكر رؤية المنام ، و لم تقل : إن من زعم أن محمدا رأى ربه في المنام فقد أعظم على الله الفرية .

وهذا يدل على أحد أمرين : إما أن يكون الإمام أحمد أنكر قول من أطلق نفي الرؤية ، إذ هو مخالفة للحديث ، وإما أن يكون رواية عنه بإثبات الرؤية . وقد صرح بأنه رآه رؤيا حلم بقلبه ، وهذا تقييد منه للرؤية . وأطلق أنه رآه . وأنكر قول من نفى مطلق الرؤية . واستحسن قول من قال : رآه ، ولا يقول : بعينه / ولا بقلبه . وهذه النصوص عنه متفقة لا مختلفة . وكيف يقول [٩٣/أ] أحمد : رآه بعيني رأسه يقظة و لم يجئ ذلك في حديث قط . فأحمد إنما اتبع ألفاظ الأحاديث كما جاءت ، وإنكاره قول من قال لم يره أصلاً لا يدل على إثبات رؤية اليقظة بعينيه . والله أعلم .



(1) في المطبوع : (لما) .

(2) في غير الأصل و (ب) : زيادة (في) .

فصل

وقوله تعالى : ﴿ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى(١٧) ﴾[1] قال ابن عباس : ما زاغ البصر يميناً ولا شمالاً ولا جاوز ما أمر به[2]. وعلى هذا المفسرون

فنفى عن نبيه التعرض[3]للرائي الذي لا أدب له بين يدي [الملوك] [4]والعظماء من التفاته يميناً وشمالاً ، ومجاوزة بصره لما بين يديه .

وأخبر عنه بكمال الأدب في ذلك المقام ، وفي تلك الحضرة ، إذ لم يلتفت جانباً ، و لم يمد بصره إلى غيرما أري من الآيات، وما هناك من العجائب بل قام مقام العبد الذي أوجب أدبه إطراقه وإقباله على ما أمر به[5]دون التفاته إلى غيره ، ودون تطلعه إلى ما لم يره مع ما في ذلك من ثبات الجأش ، وسكون القلب ، وطمأنينته ، وهذا غاية الكمال ، فزيغ البصر التفاته جانباً ، وطغيانه مده أمامه إلى حيث ينتهي .

فتره في هذه السورة علمه عن الضلال وقصده وعمله عن الغي ، ونطقه عن الهوى ، وفؤاده عن تكذيب بصره .وبصره عن الزيغ ، والطغيان . وهكذا يكون المدح .

تلك المكارم لا قعبان من لبن   شيبا بماء فعادا بعد أبوالا[6]



---

[1] سورة النجم الآية (١٧) .

[2] أخرج قوله الطبري في تفسيره بإسناده (٥٧/٢٧) .

وأورد أيضاً الواحدي في البسيط (٢١٤/١) والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن (٦٥/١٧) وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٦٥١/٧) إلى الفريابي وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والحاكم وصححه وابن مردويه .

وقد أخرجه الحاكم في المستدرك في (٢٨) كتاب التفسير ، تفسير سورة النجم ح (٣٨٠١) وقال : هذا حديث صحيح على شرط البخاري و لم يخرجاه ، وقال الذهبي : وهو صحيح على شرط مسلم .

[3] في غير الأصل و (ب) : (ما يعرض) .

[4] سقط من الأصل .

[5] في غير الأصل : (ما أريه) .

[6] البيت من البسيط وهو للحطيئة .

وفي المطبوع : تلك المكارم لا قعبان من لبن *** شيبت بماء فعادت بعد أبوالاً

فصل

[أنواع الاستطراد]

ولما ذكر (سبحانه) رؤيته لجبريل عند سدرة المنتهى استطرد منها ، وذكر أن جنة المأوى عندها ، وأنها يغشاها من أمره وخلقه ما يغشى .

وهذا من أحسن الاستطراد ، وهو أسلوب لطيف جداً في القرآن ، وهو نوعان / : [٩٣/ب]

أحدهما : أن يستطرد من الشئ إلى لازمه مثل هذا ،.

ومثل قوله (تعالى) : ﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأرض لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ(٩) ﴾[1]. ثم استطرد من جوابهم إلى قوله : ﴿ الَّذي جَعَلَ لَكُمْ الأرض مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ(١٠)وَالَّذي نَزَّلَ مِنْ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَنشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا كَذَلِكَ تُخْرَجُونَ(١١)وَالَّذي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ الْفُلْكِ وَالْأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ(١٢)لِتَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَانَ الَّذي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ(١٣)﴾[2]. وهذا ليس من جوابهم ، ولكن تقريراً له ، وإقامة للحجة عليهم .

ومثله قوله تعالى : ﴿ قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَامُوسَى(٤٩)قَالَ رَبُّنَا الَّذي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى(٥٠)قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَى(٥١)قَالَ عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى(٥٢) ﴾[3] فهذا جواب موسى ، ثم استطرد سبحانه منه إلى قوله : ﴿ الَّذي جَعَلَ لَكُمْ الأرض مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنزَلَ مِنْ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْ نَبَاتٍ شَتَّى(٥٣)كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ ﴾ إلى قوله : ﴿ تَارَةً أُخْرَى(٥٥)﴾[4].

ثم عاد إلى الكلام الذي استطرد منه .

---

[1] سورة الزخرف الآية (٩) .

[2] سورة الزخرف الآيات: (١٠-١٣) .

[3] سورة طه الآيات(٤٩-٥٢) .

[4] سورة طه الآيات(٥٣-٥٥) . وفي (م) و (ق) والمطبوع : إكمال الآيات إلى قوله (تارة أخرى) .

والنوع الثاني : أن يستطرد من الشخص إلى النوع ، كقوله (تعالى) : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ(١٢)ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ(١٣) ﴾[1] ، إلى آخره فالأول: آدم ، والثاني : بنوه .

ومثله قوله (تعالى) : ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِ فَلَمَّا أَثْقَلَتْ دَعَوَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحًا لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ(١٨٩)فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ(١٩٠) ﴾[2] . إلى آخر الآيات، فاستطرد من ذكر الأبوين إلى ذكر المشركين من أولادهما . والله أعلم .



[1] سورة المؤمنون الآيتان (١٢-١٣) .
[2] سورة الأعراف الآيتان (١٨٩-١٩٠) .

فصل

{ القسم في سورة الطور }

ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ وَالطُّورِ(١)وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ(٢)فِي رَقٍّ مَنْشُورٍ(٣)وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ(٤)وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ(٥)وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ(٦)إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ(٧)مَا لَهُ مِنْ دَافِعٍ(٨) ﴾[1] .تضمن هذا القسم خمسة أشياء : وهي مظاهر آياته وقدرته وحكمته الدالة على ربوبيته / ووحدانيته . [٩٤/أ]

فالطور هو الجبل الذي كلم الله عليه نبيه وكليمه موسى ابن عمران عند جمهور المفسرين من السلف والخلف ، وعرفه ههنا باللام ، وعرفه في موضع آخر بالإضافة فقال (تعالى) : ﴿ وَطُورِ سِينِينَ(٢) ﴾[2] وهذا الجبل مظهر بركة الدنيا والآخرة ، وهو الجبل الذي اختاره الله لتكليم موسى عليه[3].

فقال عبد الله بن أحمد[4] في كتاب الزهد لأبيه : حدثني محمد بن عبيد بن حساب[5] قال حدثنا جعفر بن سليمان[6] ثنا أبو عمران الجوني[7] عن نوف البكالي[8] قال : أوحى الله إلى الجبال

---

(1) سورة الطور الآيات من (١-٨) .

(2) سورة التين الآية (٢) .

(3) في (ق) : زيادة عليه السلام .

(4) عبدالله بن أحمد : هو عبدالله بن الإمام أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني ، أبو عبدالرحمن المروزي البغدادي روى عن أبيه شيئاً كثيراً قال الإمام أحمد لعباس الدوري : يا عباس إن أبا عبدالرحمن قد وعى علماً كثيراً ، وقال الخطيب : وكان ثقة ثبتاً فهماً من مصنفاته : السنة ، وله زيادات على كتب أبيه . توفي سنة (٢٩٠هـ) .
انظر : تاريخ بغداد (٣٧٥/٩) السير (٥١٦/١٣) .

(5) محمد بن عبيد بن حساب : هو محمد بن عبيد بن حساب الغبري البصري روى عن حماد بن زيد ، وجعفر بن سليمان الضبعي وإسماعيل بن علية وغيرهم ، روى عنه : أبو حاتم ، وبقي بن مخلد ، وعبدالله بن أحمد وغيرهم ، ثقة من العاشرة مات سنة (٢٣٨هـ) . انظر : التهذيب (٢٩٢/٩-٢٩٣) ، التقريب ص (٤٩٥) .

(6) جعفر بن سليمان هو : أبو سليمان جعفر بن سليمان الضبعي قال أحمد : لا بأس به ، وقال ابن معين وابن سعد : ثقة ، وقال ابن حجر : صدوق زاهد ، لكنه يتشيع ، توفي سنة (١٧٨هـ) .
انظر : تهذيب الكمال (٤٣/٥) ، التقريب ص (١٤٠) .

(7) أبو عمران الجوني : هو عبدالملك بن حبيب أبو عمران الجوني البصري ، رأى عمران بن حصين وروى عن جندب البجلي وأنس بن مالك وغيرهما ، حدث عنه شعبة وسهيل بن أبي حزم قال ابن حجر : ثقة . توفي سنة (١٢٨هـ) وقيل غير ذلك .
انظر : حلية الأولياء (٣٠٩/٢-٣١٨) ، التقريب ص (٣٦٢) .

(8) نوف البكالي : هو نوف بن فضالة الحميري البكالي ، الشامي ، من أهل دمشق ، وكان إماماً لهم ، وهو قاص مشهور . قال في التقريب : مستور . انظر : التهذيب (٤٩٠/١٠) ، التقريب : ص (٥٦٧) .

أني نازل على جبل منكم قال : فشمخت الجبال كلها إلا جبل الطور فإنه تواضع وقال : أرضى بما قسم الله لي فكان الأمر عليه[1] وجبل هذا شأنه حقيق أن يقسم الله به ، وإنه لسيد الجبال.

الثاني : الكتاب المسطور ، في الرق المنشور .

واختلف في هذا الكتاب : فقيل : هو اللوح المحفوظ[2]وهذا غلط فإنه ليس برق .

وقيل هو الكتاب الذي تضمن أعمال بني آدم قال مقاتل : تخرج إليهم أعمالهم يوم القيامة في رق منشور[3].

وهذا وإن كان أقوى وأصح من القول الأول واختاره جماعة من المفسرين ومنهم من لم يذكر غيره فالظاهر : أن المراد به الكتاب المترل من عند الله . أقسم الله به لعظمته وجلالته وما تضمنه من آيات ربوبيته وأدلة توحيده ، وهداية خلقه . ثم قيل : هو التوراة التي أنزلها الله على موسى[4]. وكأن صاحب هذا القول رأى اقتران هذا الكتاب بالطور فقال : هو التوراة و لكن التوراة إنما انزلت في ألواح لا في رق . إلا أن يقال : هي في رق في السماء وأنزلت في ألواح .

وقيل هو القرآن ولعل هذا أرجح الأقوال[5]لأنه سبحانه وصف القرآن بأنه : ﴿ **فِي صُحُفٍ مُكَرَّمَةٍ(١٣)مَرْفُوعَةٍ مُطَهَّرَةٍ(١٤)بِأَيْدِي سَفَرَةٍ(١٥)كِرَامٍ بَرَرَةٍ(١٦)قُتِلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ(١٧)** ﴾ فالصحف هي الرق ، وكونه بأيد السفرة هو كونه منشوراً ، وعلى هذا فيكون قد أقسم بسيد الجبال وسيد الكتب ويكون ذلك متضمناً للنبوتين / العظيمتين : نبوة موسى [٩٤/ب] ونبوة محمد ﷺ[6]وكثيراً ما يقرن بينهما وبين محلهما كما في سورة : " والتين والزيتون ".

ثم أقسم بسيد البيوت وهو البيت المعمور ، وفي وصفه للكتاب بأنه مسطور تحقيق لكونه مكتوباً مفروغاً منه ، وفي وصفه بأنه منشور إيذانا بالاعتناء به وأنه بأيدي الملائكة منشور غير

---

(1) هذا الأثر رواه عبدالله بن أحمد في زوائد الزهد ص (٦٦) ، ومن طريقه أبو نعيم في الحلية (٤٩/٦) ، وأخرجه أيضاً أبو الشيخ في العظمة في (٤٩) ذكر ساعات الليل والنهار . . برقم (١١٧٨) . وهذا الأثر من الأخبار الإسرائيلية .

2 مروي عن ابن عباس رضي الله عنهما كما في تفسير البسيط (١٥٥/١) ت/المحوي ، ومعالم التنزيل (٧/ ٣٨٥) .

(3) انظر : تفسير مقاتل (١٧١/أ/) وهو مروي أيضاً عن مجاهد والكلبي والزجاج ، انظر : جامع البيان (١٠/٢٧) ، معاني القرآن وإعرابه (٦١/٥) ، البسيط (١٥٤/١-١٥٥) .

(4) نسب هذا القول إلى الكلبي انظر : معالم التنزيل (٣٨٥/٧) ، الجامع لأحكام القرآن (٤٠/١٧) .

(5) قال الشنقيطي رحمه الله تعالى : (والأظهر أن الكتاب المسطور هو القرآن العظيم . .) . انظر : أضواء البيان (٦٨٣/٧)

(6) سقط من (م) و (ق) والمطبوع .

مهجور وأما البيت المعمور فالمشهور أنه الصراح[1] الذي في السماء الذي رفع للنبي ﷺ ليلة الإسراء يدخله كل يوم سبعون ألف ملك ثم لا يعودون إليه آخر ما عليهم[2] وهو بحيال البيت المعمور في الأرض .

وقيل . هو البيت الحرام[3]، ولا ريب أن كلا منهما بيتاً معموراً . فهذا معمور بالملائكة وعبادهم ، وهذا معمور بالطائفين والقائمين والركع السجود .

وعلى كلا القولين فكل منهما سيد البيوت .

ثم أقسم سبحانه بمخلوقين عظيمين من بعض مخلوقاته ، وهما مظهر آياته وعجائب صنعته وهما : السقف المرفوع وهو السماء فإنها من أعظم آياته قدراً وارتفاعاً وسعة وسمكاً ولوناً واشراقاً[4] وهي محل ملائكته وهي سقف العالم وبها انتظامه وهي محل النيرين اللذين هما قوام اليل والنهار ، والسنين والشهور والأيام ، والصيف والشتاء ، والربيع والخريف ، ومنها تترل البركات وإليها تصعد الأرواح وأعمالها وكلماتها الطيبة .

والثاني : البحر المسجور . وهو آية عظيمة من آياته ، وعجائبه لا يحصيها إلا الله .

واختلف في هذا البحر : هل هو ا لبحر الذي فوق السموات ؟ أو البحر الذي نشاهده ؟ على قولين :

فقالت طائفة : هو البحر الذي على العرش ، وبين أعلاه وأسفله مسيرة خمسمائة عام ، كما في الحديث الذي رواه أبو داود[5] من حديث سماك[6] عن عبد الله بن

---

[1] في المطبوع : (الضراح) .

[2] كما ورد ذلك في حديث مرفوع إلى النبي صلى الله عليه وسلم يرويه أنس ، أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره (١١/٢٧) ، والحاكم في المستدرك في (٢٨) التفسير ، تفسير سورة الطور ح (٣٧٩٤) وقال : حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه .

[3] انظر قول الحسن في : البسيط (١/١٥٦ت) ، الجامع لأحكام القرآن (١٧/ ٤١) ، فتح القدير (٥/ ١١٢) . وغيرها .

[4] في (م) و (ق) : (وإشراقاً) .

[5] أبو داود : هو سليمان بن الأشعث الأزدي السجستاني ، محدث البصرة رحل وجمع وصنف وبرع في هذا الشأن قال عنه الذهبي : (كان أبو داود مع إمامته في الحديث وفنونه من كبار الفقهاء فكتابه يدل على ذلك وهو من نجباء أصحاب الإمام أحمد) من مصنفاته كتاب السنن توفي سنة (٢٧٥ هـ) . انظر : طبقات الحنابلة (١/١٥٩-١٦٢) ، السير (١٣/٢٠٣-٢٢١) .

[6] سماك : هو سماك بن حرب بن أوس ، أبو المغيرة الكوفي . قال سماك : أدركت ثمانين من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ، قال أبو حاتم : صدوق ثقة ، وقال أحمد سماك أصح حديثاً من عبدالملك بن عمير ، وقال ابن معين : ثقة وروايته عن عكرمة كما يقول الحفاظ مضطربة . توفي سنة (١٢٣ هـ)

عميرة[١] عن الاحنف بن قيس[٢] أن ابن عباس بن عبد المطلب[٣] قال : " **كنت بالبطحاء في عصابة فيهم رسول الله ﷺ فمرت بهم سحابة / فنظر إليها فقال : ما تسمون هذه ؟ قالوا : السحاب ، قال : والمزن ، قالوا : والمزن قال : والعنان قالوا : والعنان ، قال : هل تدرون بعد ما بين السماء الأرض ؟ قالوا : لاندري ، قال : بعد ما بينهما إما واحدة أو اثنتان أو ثلاث وسبعون سنة ، ثم السماء فوقها كذلك حتى عد سبع سموات ثم فوق السابعة ، بحر بين أعلاه وأسفله مثل ما بين سماء إلى سماء ثم فوق ذلك ثمانية أوعال بين أظلافهم وركبهم مثل ما بين سماء إلى سماء ، ثم على ظهورهم العرش ما بين أسفله وأعلاه ما بين سماء إلى سماء ثم الله (تعالى) فوق ذلك** "[٤] . [٩٥/أ]

انظر : تهذيب الكمال (١١٥/١٢) التهذيب (٢٣٢/٤-٢٣٣) .

(1) عبدالله بن عميرة : تحرف في الأصول إلى مخيمرة والتصويب من سنن أبي داود وغيره وعبدالله بن عميرة هو : عبدالله بن عميرة وري عن الأحنف بن قيس عن العباس حديث الأوعال ، وروى عنه : سماك بن حرب قال البخاري : ولا يعلم له سماع من الأحنف ، وقال الذهبي فيه جهالة . وقال ابن حجر في التقريب : مقبول .

انظر : تهذيب الكمال (٣٨٥/١٥) ، التقريب ص(٣١٥) ، ميزان الاعتدال (٤٦٩/٢) .

(2) الأحنف بن قيس : هو الأحنف بن قيس بن معاوية التميمي ، أدرك زمان النبي صلى الله عليه وسلم ، وروى عن العباس بن عبدالمطلب قال ابن سعد : كان ثقة مأموناً قليل الحديث توفي سنة (٦٧هـ) .

انظر : تهذيب الكمال (٢٨٢/٢) ، التهذيب (١٩١/١) .

(3) العباس بن عبدالمطلب : العباس بن عبدالمطلب : هو العباس بن عبدالمطلب بن هاشم بن عبدمناف القرشي الهاشمي عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أبو الفضل ، ولد قبل الرسول عليه الصلاة والسلام بسنتين ، وكان إليه في الجاهلية السقاية والعمارة ، وحضر بيعة العقبة قبل أن يسلم وشهد بدراً مع المشركين وأسر فافتدى نفسه ورجع إلى مكة ويقال : إنه أسلم وكتم إسلامه ، ثم هاجر قبل فتح مكة بقليل وشهد الفتح وثبت يوم حنين مع النبي صلى الله عليه وسلم وكان يجله إجلال الولد لوالده ، وكان إذا مر بعمر في أيام خلافته ترجل عمر إجلالاً له توفي رضي الله عنه بالمدينة في رجب سنة (٣٢هـ) انظر : أسد الغابة (١٠٩/٣) ، الإصابة (٢٧١/٢) .

(4) أخرجه أبو داود في سننه في (٣٥) كتاب السنة ، (١٩) باب في الجهمية ح (٤٦٩٠) ، والترمذي في (٤٨) كتاب التفسير ، (٦٨) باب ومن سورة الحاقة ح ( ) ، وابن ماجة في المقدمة (١٣) باب فيما أنكرت الجهمية ح (١٩٣) ، وأحمد في مسنده (٢٠٧/١) ، والدارمي في رده على المريسي (٤٧٣/١) ، وابن أبي عاصم في السنة ح (٥٧٧ – ٥٧٨) ، وابن خزيمة في التوحيد (٢٧) باب ذكر استواء خالقنا العلي الأعلى ح (١٤٤) ، والأجرى في الشريعة (٥٠) باب ذكر السنن التي دلت العقلاء على أن الله عز وجل على عرشه . . ح (٦٦٣-٦٦٤) ، والحاكم في المستدرك في تفسير سورة طه ح (٣٤٨٠) وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، والبيهقي في الأسماء والصفات ، باب ما جاء في العرش والكرسي ح (٨٤٧) ، من حديث العباس بن عبدالمطلب .

والحديث ضعيف للعلل التالية :

وهذا لا يتناقض مع ما في جامع الترمذي[(١)]: " **أن بين كل سمائين مسيرة خمسمائة عام** "[(٢)] إذ المسافات تختلف مقاديرها باختلاف المقدر به ، فالخمسمائة مقدرة بسير الإبل ، والسبعون بسير البريد ، وهو يقطع بقدر ما تقطع به الإبل سبعة أضعاف[(٣)] وهذا القول في البحر أنه الذي تحت العرش محكي عن على بن أبي طالب[(٤)] رضي الله عنه .

والثاني : أنه بحر الأرض[(٥)].

واختلف في (المسجور) : فقيل : المملوء هذا قول جميع أهل اللغة

قال الفراء : المسجور في كلام العرب المملوء[(٦)] يقال : سجرت الاناء إذا ملاته ،قال لبيد :

فتوسطا عرض السرى وصدعا مسجورة متجاوراً قلامها[(٧)]

---

١) فيه عبدالله بن عميرة : كوفي مقبول عند المتابعة وقال الذهبي فيه جهالة .

٢) فيه انقطاع بين عبدالله والأحنف . قال البخاري : لا نعلم له سماعاً من الأحنف .

٣) فهي الوليد بن عبدالله بن أبي ثور الهمداني الكوفي ضعيف .

٤) سماك بن حرب صدوق تغير بآخره فكان ربما يلقن .

٥) يحيى بن العلاء كما في إسناد أحمد والحاكم : متروك ، متهم .

قال الذهبي في العلو (١/٥٠١-٥٠٢) : (تفرد به سماك بن حرب عن عبدالله ، وعبدالله فيه جهالة ، ويحيى بن العلا متروك الحديث ، وقد رواه إبراهيم بن طهمان عن سماك ، وإبراهيم ثقة والحديث له شاهد من حديث أبي هريرة عند الإمام أحمد في مسنده (٢/٣٧٠) ، والترمذي في (٤٨) كتاب التفسير (٥٧) باب ومن سورة الحديد ح (٣٢٩٨) ، وقال هذا حديث غريب من هذا الوجه ، وابن أبي عاصم في السنة ح (٥٧٨) ، والبيهقي في الأسماء والصفات ح (٨٤٩) ، وإسناده منقطع فإن الحسن لم يسمع من أبي هريرة ، فالحديث ضعيف من جميع الوجوه .

انظر : السلسلة الضعيفة ح (١٢٤٧) ، والسنة لابن أبي عاصم ح (٥٧٧-٥٧٨) ، والأسماء والصفات (٢/٢٨٥-٢٨٩)

(1) الترمذي : هو محمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك السلمي الترمذي الضرير ، الإمام الحافظ العلم ، ارتحل في سبيل العلم فسمع بخراسان والعراق والحرمين . من مصنفاته : الجامع ، والعلل وغيرهما . توفي سنة (٢٧٩هـ) .

انظر : وفيات الأعيان (٤/٢٧٨) ، السير (١٣/٢٧٠-٢٧٧) .

(2) كما في حديث أبي هريرة المتقدم ذكره في التعليق على الحديث السابق وفيه : " فإن فوق ذلك سمائين ما بينهما مسيرة خمسمائة سنة حتى عد سبع سنوات . . " الحديث رقم (٣٢٩٨) عند الترمذي .

(3) قال البيهقي : (ويحتمل أن يختلف ذلك باختلاف قوة السير وضعفه ، وخفته وثقله ، فيكون بسير القوي أقل ، وبسير الضعيف أكثر والله أعلم) الأسماء والصفات (٢/٢٨٨) .

(4) ذكره الواحدي في البسيط (١/١٥٨) ، البغوي في معالم التنزيل (٧/٣٨٦) ، والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن (١٧/٤٢) .

(5) كما جاء في الأثر : (إن الله تعالى يجعل البحار كلها ناراً فتجعل نار جهنم) ذكره الواحدي في البسيط (١/١٥٩) ، وابن الجوزي في زاد المسير (٨/٤٨) .

(6) معاني القرآن للفراء (٣/٩١) .

(7) البيت من الكامل وهو في ديوان لبيد ص (١٧٠) .

وقال المبرد : المسجور : المملوء عند العرب ، وانشد للنمر ابن تولب[١] :

إذا شاء طالع مسجورة(٢)

يريد عيناً مملوءة ماءاً وكذا قال ابن عباس : المسجور الممتلئ[٣].

وقال مجاهد : المسجور : الموقد[٤]،

وقال الليث : السجر : إيقادك في التنور ، تسجره سجراً [والسجور] [٥]اسم الحطب[٦].

وهذا قول الضحاك وكعب[٧]وعنهما قال : البحر يسجر فيزاد في جهنم[٨]وحكى هذا القول / [٩٥/ب] عن علي ابن ابي طالب رضي الله عنه قال : مسجور بالنار[٩].

قال الفراء[١٠]: وهذا يرجع إلى القول الأول لأنك تقول سجرت التنور إذا ملأته حطباً[١١].

وورد ذكره أيضاً في شرح المعلقات السبع للزوزني ص (٨٢) ، جمهرة أشعار العرب ص (٦٨) ، المحتسب (٢/ ٣٧١) ، وودر ذكره في تفسير البسيط (١/ ١٥٧) وعنه نقل ابن القيم .

(1) النمر بن تولب : هو من عكل وكان شاعراً جواداً، ويسمى الكيس لحسن شعره ، وهو جاهلي وأدرك الغسلام فأسلم ، وعاش إلى أن حرف واهتر . انظر : الشعر والشعراء ص (١٩٥) .

(2) البيت من المتقارب وهو في ديوانه ص (١٦٥) وتمامه : ترى حولها النبع والساسما .

وورد ذكره أيضاُ في : الخزانة (١١/ ٩٥) ، مجاز القرآن (٢/ ٢٣٠) ، تفسير غريب القرآن ص (٤٢٤) .

(3) انظر : البسيط (١/ ١٥٨) .

(4) انظر : تفسير مجاهد (٢/ ٦٢٤) ، البسيط (١/ ١٥٨) ، النكت والعيون (٥/ ٣٧٩) ، زاد المسير (٨/ ٤٨) ، الجامع لأحكام القرآن (١٧ /٤٢) ، وعزاه في الدر المنثور (٧/ ٦٣٠) إلى ابن جرير ، حيث أخرجه في تفسيره بإسناده (٢٧/ ١٩) .

(5) سقط من الأصل ، وفي المطبوع : (السجر).

(6) انظر : تهذيب اللغة (١٠/ ٥٧٥) مادة (سجر) .

(7) كعب : هو كعب بن ماتع الحميري ، يكنى بأبي إسحاق ، مشهور بكعب الأحبار كان على دين اليهود ثم نزل اليمن فأسلم ثم قدم المدينة في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، ثم خرج إلى الشام وسكن حمص حتى توفي بها سنة (٣٢) هـ .

(8) قول الضحاك ذكره الواحدي في البسيط (١/ ١٥٨-١٥٩) ، والبغوي في معالم التتريل (٧/ ٣٨٦) ، وتفسير الضحاك (٢/ ٧٩٧) أما قول كعب فذكره أيضاً الواحدي في البسيط (١/ ١٥٩) ، وعزاه في الدر المنثور (٧/ ٦٣٠) إلى أبي الشيخ في العظمة حيث أخرجه أبو الشيخ في العظمة في باب صفة البحر والحوت وعجائب ما فيهما ح (١٣/٩٢٨) .

(9) ذكر قوله الواحدي في البسيط (١/ ١٥٩) ، وكذا الفراء في معاني القرآن (٣/ ٩١) .

(10) هكذا ورد في الأصول أنه (الفراء) وفي البسيط (١/ ١٥٩) بدل الفراء وهو خطأ كما في التهذيب ١٠/ ٥٧٥-٥٧٦) مادة (سجر) .

وروى ذو الرمة الشاعر عن ابن عباس : أن المسجور اليابس الذي قد نضب ماؤه وذهب[٢]. وليس لذي الرمة رواية عن ابن عباس غير هذا الحرف[٣].

وهذا القول اختيار أبي العالية[٤]. قال أبو زيد : المسجور المملوء ، والمسجور الذي ليس فيه شئ وجعله من الأضداد[٥].

وقد روي عن ابن عباس : أن المسجور المحبوس ، ومنه ساجور الكلب وهو : القلادة من عود أو حديد تمسكه ، والمعنى على هذا : ليس أنه محبوس بقدرة الله أن يفيض على الأرض فيغرقها ، فإن ذلك مقتضى الطبيعة أن يكون الماء غامراً للأرض فوقها كما أن الهواء فوق الماء ، ولكن أمسكه الذي يمسك السماوات والأرض أن تزولا .

وفي هذا المعنى حديث ذكره الإمام أحمد مرفوعاً : " **ما من يوم إلا والبحر يستأذن ربه أن يغرق بني آدم** " [٦]

وهذا الموضع مما هدم أصول الملاحدة والدهرية ، فإنه ليس في الطبيعة ما يقتضي حبس الماء عن بعض جوانب الأرض مع كون كرة الماء عالية على [كرة] [٧]الأرض بالذات ، ولو فرض أن في الطبيعة ما يقتضي بروز بعض جوانبها لم يكن فيها مايقتضي تخصيص هذا الجانب بالبروز دون غيره .

وما ذكره الطبائعيون والمتفلسفة أن العناية الإلهية اقتضت ذلك لمصلحة العالم فنعم هو كما ذكروا ، ولكن عناية من يفعل بقدرته ومشيئته وهو بكل شئ عليم ، وعلى كل شئ قدير ، وهو أحكم الحاكمين غير معقولة . فالعناية الالهية تقتضي حياته وقدرته ومشيئته وعلمه وحكته ورحمته

---

(1) انظر ما قبله .

(2) انظر : البسيط (١٥٩/١) .

(3) هذا القول منسوب إلى ابن أبي داود كما في الجامع لأحكام القرآن (١٧/ ٤٢) .

(4) ورد قوله في البسيط (١٥٩/١) ، وزاد المسير (١٨/٨) ، ومعالم التنزيل (٣٨٦/٧) .

(5) انظر : تهذيب اللغة (٥٧٧/١٠) ، اللسان (٦ / ١٧٧) مادة (سجر) .

(6) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٤٣/١) من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه ولفظه : " ليس من ليلة إلا والبحر يشرف فيها ثلاث مرات على الأرض يستأذن الله في أن ينفضح عليهم ، فيكفه الله عز وجل " .

(7) زيادة من غير الأصل . (كرة) .

واحسانه إلى خلقه ، وقيام الافعال به ، فإثبات العناية الالهية مع نفي هذه الامور ممتنع وبالله التوفيق .

وأقوى الأقوال في المسجور أنه الموقد ، وهذا هو المعروف في اللغة من السجر ويدل / [٩٦/أ] عليه قوله تعالى : ﴿ **وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ(٦)** ﴾[1] قال علي ابن ابي طالب رضي الله عنه وابن عباس : أوقدت فصارت نارا[2] .

ومن قال : يبست وذهب ماؤها فلا يناقض كونها ناراً موقدة ، وكذا من قال : ملئت فإنها تملأ ناراً .

وإذا اعتبرت اسلوب القرآن ونظمه ومفرداته رأيت اللفظة تدل على ذلك كله ، فإن البحر محبوس بقدرة الله (عز وجل) ومملوء ماءاً ، ويذهب ماؤه يوم القيامة ، ويصير ناراً ، وكل من المفسرين أخذ معنى من هذه المعاني . والله أعلم .



---

(1) سورة التكوير الآية (٦) .

(2) الدر المنثور (٨/٤٢٩) .

فصل

{ المقسم عليه في سورة الطور }

وأقسم سبحانه بهذه الامور على المعاد والجزاء فقال (تعالى) : ﴿ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ(٧) ﴾[1] ، ولما كان الذي يقع قد يمكن دفعه أخبر سبحانه أنه لا دافع له وهذا يتناول أمرين : أحدهما : أنه لا دافع لوقوعه .

والثاني : أنه لا دافع له إذا وقع .

ثم ذكر سبحانه وقت وقوعه فقال : ﴿ يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا(٩)وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا(١٠) ﴾[2] والمور قد فسر بالحركة[3]، وفسر بالدوران[4]، وفسر بالتموج والاضطراب[5].

والتحقيق : أنه حركة في تموج وتكفؤ وذهاب ومجيء ، ولهذا فرق بين حركة السماء وحركة الجبال فقال : ﴿ وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا ﴾ وقال (تعالى) : ﴿ وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ ﴾[6] فالجبال تسير من مكان إلى مكان ، وأما السماء فإنها تتكفأ وتتموج وتذهب وتجئ .

قال الجوهري[7]: مار الشئ يمور موراً أي تحرك وجاء وذهب كما تكفأ النخلة العيدانة أي الطويلة ، ومنه قوله تعالى : ﴿ يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْراً﴾ قال الضحاك : تموج موجاً .

وقال أبو عبيدة[8]والأخفش : تكفأ ، وأنشد للأعشى :

كأن مشيتها من بيت جارتها　　　مور السحابة لا ريب ولا عجل[9]

---

(1) سورة الطور الآية (٧) .
(2) سورة الطور الآيتان (٩-١٠) .
(3) هذا القول مروي عن ابن عباس وقتادة . انظر : جامع البيان (٢١/٢٧) .
(4) مروي عن مجاهد . انظر : جامع البيان (٢١/٢٧) .
(5) مروي عن الضحاك . انظر : جامع البيان (٢١/٢٧) .
(6) سورة التكوير الآية (٣) .
(7) الجوهري هو : إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي ، أبو نصر ، لغوي أديب قرأ العربية على الفارسي وأبي سعيد السيرافي ، سافر إلى الحجاز وطوف بلاد ربيعة مضر ، وأجهد نفسه في الطلب ، ثم عاد إلى نيسابور وظل بها يؤلف ويدرس حتى توفي . من مصنفاته : (تاج اللغة وصحاح العربية) وغيره توفي سنة (٣٩٣ هـ) . انظر : معجم المؤلفين (٣٦٢/١) .
(8) انظر : مجاز القرآن (٢٣١/٢) .
(9) انظر : الصحاح للجوهري (٨٢٠/٢) . والبيت من البسيط وهو للأعشى في ديوانه ص (١٠٥) . وورد ذكره أيضاً في لسان العرب (١٨٦/٥) ، وتاج العروس (١٥٢/١٤) مادة (صور) وغيرهما .

ثم ذكر وعيد المكذبين بالمعاد والنبوة وذكر اعمالهم وعلومهم التي كانوا عليها ، وهي الخوض الذي هو كلام باطل ، واللعب الذي هو سعي ضائع فلا علم نافع ولا / عمل صالح ، بل [٩٦/ب] علومهم خوض بالباطل ، واعمالهم لعب ، ولو [١]كانت هذه العلوم والاعمال مستلزمة لدفع الحق بعنف وقهر أدخلوا جهنم وهم يدعون إليها دعا أي : يدفعون في أقفيتهم وأكتافهم دفعاً بعد دفع ، ، فإذا وقفوا عليها وعاينوها وقفوا وقيل لهم : ﴿ **هَذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ(١٤)** ﴾[٢] وتقولون : لاحقيقة لها ولا من أخبر بها صادق ثم يقال لهم : ﴿ **أَفَسِحْرٌ هَذَا** ﴾[٣] الآن كما كنتم تقولون للحق الذي جاءتكم به الرسل أنه سحر وأنهم سحرة ، فهذا الآن سحر لا حقيقة له كما قلتم أم على أبصاركم غشاوة فلا تبصرونها كما كان عليها غشاوة في الدنيا فلا تبصر الحق ؟ !

أفعميت أبصاركم اليوم عن رؤية هذا الحق كما عميت في الدنيا ؟

ثم سلب عنهم نفع الصبر [٤] الذي كانوا في الدنيا إذا دهمتهم الشدائد وأحاطت بهم لجأوا إليه وتعللوا بانقضاء البلية[٥]بانقضاء أمدها فقيل لهم : يومئذ : اصبروا أو لا تصبروا كلاهما سواء عليكم لا يجدي عليكم الصبر ولا الجزع ، فلا الصبر يخفف عنكم حمل هذا العذاب ، ولا الجزع يعطف عليكم قلوب الخزنة ، ولا يستنزل لكم الرحمة .

ثم اعلموا بأن[٦] الرب ــ تعالى ــ لم يظلمكم[٧] بذلك ، وإنما[٨] نفس أعمالكم صارت عذاباً فلم يجدوا من اقترانهم به بدا ، بل صارت عذاباً لازماً لهم كما كانت إرادتهم وعقائدهم الباطلة وأعمالهم القبيحة لازمة لهم ، ولزوم العذاب لاهله في النار بحسب لزوم تلك الإرادات الفاسدة والعقائد الباطلة وما يترتب عليها من الاعمال لهم في الدنيا فإن زال ذلك اللزوم في وقت

---

(1) هكذا في الأصل و المطبوع ، وفي البقية : (ولما) .

(2) سورة الطور الآية (١٤) .

(3) سورة الطور الآية (١٥) .

(4) تحرفت في الأصل إلى (البصر) .

(5) في الأصل و (ب) : (بانقضاء الثلاثة) وهو تحريف والتصويب من البقية .

(6) في (ق) والمطبوع : (أن) .

(7) في (ق) : (يظلمهم) .

(8) في غير الأصل : (زيادة (هو) .

ما تضده وبالتوبة النصوح زوالاً كلياً لم يعذبوا عليه في الاخرة لان أثره قد زال عــن[1] قلــوبهم والسنتهم وجوارحهم ولم يبق له أثر يترتب عليه ، فالتائب من الذنب كمن لا ذنب لــه والمــادة [٩٧/أ] الفاسدة إذا زالت من البدن بالكلية لم يبق هناك / ألم ينشأ عنها ، وإن لم تــزل تلــك الإرادات والأعمال ولكن عارضها معارض أقوى منها كان التأثير للمعارض وغلب الاقوى الاضعف ، وإن تساوى الامران تدافعا وقاوم كل منهما الاخر ، وكان محل صاحبه جبال الاعراف بين الجنة والنار ، فهذا حكمه الله وحكمته في خلقه وأمره ونهيه وعقابه ولا يظلم ربك أحداً .



---

[1] في غير الأصل : (زال من قلوبهم) .

فصل

ثم ذكر سبحانه أرباب العلوم النافعة وألاعمال الصالحة ، والاعتقادات الصحيحة وهم المتقون .

فذكر مساكنهم وهي الجنان وحالهم في المساكن وهو النعيم ، وذكر نعيم قلوبهم وراحتهم بكونهم ﴿ **فَاكِهِينَ بِمَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ** ﴾[1] والفاكه[2]: المعجب بالشئ المسرور المغتبط به ، وفعله فكه بالكسر يفكه فهو فكه وفاكه إذا كان طيب النفس [والفاكه : البالي ، ومنه الفاكهة[3] وهي المرح الذي ينشأ عن طيب النفس][4]، وتفكهت بالشئ إذا تنعمت[5] به ومنه الفاكهة التي تتمتع بها ومنه قوله تعالى : ﴿ **فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ(٦٥)** ﴾[6] قيل : معناه يندمون . وهذا تفسير بلازم المعنى ، وإنما الحقيقة تزيلون عنكم التفكه ، وإذا زال التفكه خلفه ضده يقال : تحنث إذا زال الحنث عنه ، تحرج وتحوب وتأثم ومنه تفكه وهذا البناء يقال للداخل في الشئ كتعلم وتحكم[7]، وللخارج كتخرج وتأثم .

والمقصود أنه سبحانه جمع لهم بين النعيمين : نعيم القلب بالتفكه ، ونعيم البدن بالأكل والشرب والنكاح ، ووقاهم عذاب الجحيم فوقاهم مما يكرهون ، واعطاهم ما يحبون ﴿ **جَزَاءً وِفَاقًا(٢٦)** ﴾[8] لانهم توقوا[9]ما يكره ، واتوا بما يحب ، فكان جزاءهم مطابقاً لاعمالهم ثم أخبر عن دوام ذلك لهم[10]بما أفهمه قوله : ﴿ **هَنِيئًا** ﴾ إذ[11]لو علموا زواله وانقطاعه لنغص عليهم ذلك نعيمهم و لم يكن هنيئاً[12]لهم .

---

(1) سورة الطور الآية (١٨) .

(2) في (ق) تحرفت إلى (الفاكهة) .

(3) هكذا في المخطوطات ولعل الصواب والله أعلم (الفكاهة) .

(4) سقط من الأصل .

(5) في غير الأصل : (تمتعت) .

(6) سورة الواقعة الآية (٦٥) .

(7) في (م) والمطبوع : (تحلم) .

(8) سورة النبأ الآية (٢٦) .

(9) في المطبوع : (تركوا) .

(10) سقط من (ب) و (ق) .

(11) في الأصل : (فقط) .

(12) في غير الأصل و (ب) : (هناءاً) .

ثم ذكر مجالسهم وهيئاتهم فيها فقال : ﴿ مُتَّكِئِينَ عَلَى سُرُرٍ مَصْفُوفَةٍ ﴾[١] وفي ذكر اصطفافها تنبيه على كمال النعمة عليهم بقرب بعضهم من بعض ومقابلة بعضهم بعضاً كما قال / [٩٧/ب] تعالى : ﴿ مُتَّكِئِينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ(١٦) ﴾[٢] فإن من تمام اللذة والنعيم أن يكون مع الانسان في بستانه ومترله من يحب معاشرته ويؤثر قربه ولا يكون بعيداً منه قد حيل بينه وبينه ، بل سريره إلى جانب سرير من يحبه ومقابله سرير من يحبه ، وذكر أزواجهم وأنهم الحور العين ، وقد تكرر وصفهن في القرآن بهاتين الصفتين .

قال أبو عبيدة[٣]: جعلناهم أزواجاً كما يزوج البعل بالبعل ، جعلناهم اثنين اثنين[٤].

وقال يونس[٥]: قرناهم بهن[٦]وليس من عقد التزويج . واحتج على ذلك[٧]بأن العرب لا تقول : تزوجت بها ، وإنما [تقول][٨]تزوجتها .

قال تعالى : ﴿ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا ﴾[٩] وفي الحديث : " **زوجتكها بما معك من القرآن** "[١٠] .

وقال غيره : العرب تقول : (تزوجت امرأة)[١١]، وتزوجت بأمرأة .

---

(1) سورة الطور الآية (٢٠) .

(2) سورة الواقعة الآية (١٦) .

(3) في (ق) : (أبو عبيد) .

(4) مجاز القرآن (٢/ ٢٣٢) بمعناه .

(5) يونس : هو يونس بن حبيب بن عبدالقاهر الأصبهاني أبو بشر ، قال ابن أبي حاتم : كتبت عنه بأصبهان وهو ثقة كتب إليه المعتز كتاباً بالترز في أمر متظم تظلم إليه ومحله وإباؤه على الحق ، وكان عظيم القدر خطيراً ، معروفاً بالستر والصلاح . توفي سنة (٢٦٧ هـ) انظر : الجرح والتعديل (٢٣٧/٩) ، غاية النهاية (٤٠٦/٢)

(6) انظر : الصحاح للجوهري (١/ ٣٢٠) مادة (زوج) .

(7) في (م) و (ق) والمطبوع : (على هذا) .

(8) سقط من الأصل و (ب) .

(9) سورة الأحزاب الآية (٣٧) .

(10) أخرجه البخاري في (٣٩) كتاب الكفالة (٩) باب وكالة المرأة الإمام في النكاح ح (٢٣١٠) ، ومسلم في (١٦) كتاب النكاح ، (١٣) باب الصداق وجواز كونه تعليم قرآن وخاتم حديد وغير ذلك من قليل أو كثير . . . ح (١٤٢٥) من حديث سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه .

(11) سقط من (المطبوع) .

وقال الأزهري : العرب تقول زوجته أمرأة وتزوجت أمرأة ، وليس في كلامهم تزوجت بأمرأة[١].

وقوله تعالى : ﴿ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ ﴾ أي : قرناهم ، وعلى هذا فزوجناهم عند هؤلاء من الاقتران والشفع أي : شفعناهم .وقرناهم بهن .

وقالت طائفة : منهم مجاهد : زوجناهم بهن أي : أنكحناهم إياهن[٢].

قلت : وعلى هذا فتلويح فعل التزويج قد دل على النكاح وتعديته بالباء المتضمنة معنى الاقتران والضم، فالقولان واحد والله أعلم .

وأما الحور العين : فقال مجاهد : التي يحار فيها الطرف بادياً مخ سوقهن من وراء ثيابهن ، وتروي[٣]الناظر وجهه في كبد أحداهن كالمرآة ، من رقة الجلد وصفاء اللون[٤].

وقال قتادة : بحور : أي بيض[٥]، وكذلك قال ابن عباس[٦].

وقال مقاتل : الحور : البيض الوجوه ، العين : الحسان الأعين[٧] .

وعين حوراء شديدة السواد ، نقية البياض طويلة الاهداب مع سوادها كاملة الحسن ، ولا تسمى المرأة حوراء حتى يكون مع حور عينها بيضاء لون الجسد[٨]/ [٩٨/أ] فوصفهن بالبياض والحسن والملاحة كما قال (تعالى) : ﴿ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ(٧٠) ﴾[٩] فالبياض في ألوانهن والحسن في وجوههن والملاحة في عيونهن .

وقد وصف الله سبحانه نساء الجنة بأحسن الصفات ، ودل بما وصف على ما سكت عنه.

فإن شئت التفصيل فالذي يحمد ويستحب من وجه المرأة وبدنها وأخلاقها :

---

(1) تهذيب اللغة (١٥٢/١) مادة (زواج) .

(2) أخرجه الطبري في تفسيره بإسناده (١٣٦/٢٥) وذكره الواحدي في البسيط (٤٣٠/٢) ت/السحيباني .

(3) في غير الأصل : (ويرى) .

(4) أخرجه الطبري في تفسيره (١٣٦/٢٥) .

(5) قول قتادة أخرجه الطبري في تفسيره بإسناده (١٣٦/٢٥) ورد ذكره أيضاً في البسيط (٤٣١/٢) ت. السحيباني .

(6) ذكر هذا القول عنه الواحدي في البسيط (٤٣١/٢) والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن (١٦/ ٠١) ط.دار الكتب العلمية .

(7) تفسير مقاتل (١٧١/ب) .

(8) في المطبوع : (بياض لون الجسد) ، وانظر البسيط (٤٣٠/٢-٤٣١) .

(9) سورة الرحمن الآية (٧٠) .

البياض في أربعة أشياء : اللون ، وبياض العين ، والفرق والثغر ، والسواد في أربعة : سواد العين ، وسواد شعر الرأس ، وسواد شعر الجفن ، وسواد الحاجبين ، والحمرة في أربعة : اللسان ، والشفتين ، والوجنتين ، وحمرة تشوب البياض فتحسنه وتزينه ، ومن التدوير أربعة أشياء : الوجه والرأس والكعب والمقعد ، ومن الطول أربعة : القامة ، والعنق ، والشعر ، والحاجب ، ومن[1] السعة في أربعة : الجبهة ، والعين ، والوجه ، والصدر ، ومن الصغر في أربعة : الشدي ، والفم ، والكف ، والقدم ، ومن الطيب في أربعة : الفم ، والانف ، والفرق ، والفرج ، ومن الضيق : في موضع واحد[2]، ومن الاخلاق كما قال الله تعالى : ﴿ **عُرُبًا أَتْرَابًا(٣٧)** ﴾[3] فالعرب : جمع عروب (وهي المرأة المحببة[4] إلى زوجها بأخلاقها ولطافتها وشمائلها .

قال ابن الأعرابي : العرب من النساء : المطيعة لزوجها ، المتحببة إليه . وقال أبو عبيدة : هي الحسنة التبعل[5].

قال المبرد : هي العاشقة لزوجها)[6].

وقال البخاري في صحيحه : هي الغنجة ، ويقال الشكلة[7].

فهذا وصف أخلاقهن ، وذاك وصف خلقهن ، وأنت إذا تأملت الصفات التي وصفهن الله بها رأيتها مستلزمة لهذه الصفات ولما وراءها ، والله المستعان .



---

(1) سقط من (م) و (ق) والمطبوع .

(2) انظر : روضة المحبين لابن القيم من (٢٨١-٢٨٢) .

(3) سورة الواقعة الآية (٣٧) .

(4) في غير الأصل : (المتحببة) .

(5) انظر : مجاز القرآن (٢/٢٥١).

(6) انظر : تهذيب اللغة (٢/٣٦٠) مادة (عرب) .

وهذا الكلام نقله ابن القيم عن الواحدي في البسيط (٣٨٣/١) ت.فاضل المحوي .

(7) صحيح البخاري (٦٥) كتاب التفسير (٥٦) سورة الواقعة (الترجمة) قال البخاري : (عرباً) مثقلة واحدها عروب ، مثل صبور وصبر يسميها أهل مكة (العربة) ، وأهل المدينة : (الغنجة) ، وأهل العراق : (الشكلة) صحيح البخاري (٣/٣٠٣) .

﴿ فصل ﴾

ثم أخبر سبحانه عن تكميل نعيمهم بإلحاق ذرياتهم بهم في الدرجة وإن لم يعملوا أعمالهم لتقر أعينهم بهم ، ويتم سرورهم وفرحهم .

وأخبر سبحانه أنه لم ينقص الاباء من عملهم من شئ بهذا / الإلحاق فيترلهم من الدرجة [٩٨/ب] العليا إلى السفلى ، بل ألحق الأبناء بالآباء ، ووفر على الآباء أجورهم ودرجاتهم .

ثم أخبر سبحانه أن هذا إنما هو فعله في أهل الفضل ، وأما أهل العدل فلا يفعل بهم ذلك ، بل كل أمرئ بما كسب رهين .

ففي هذا دفع لتوهم التسوية بين الفريقين في هذا الالحاق .وكما في قوله (تعالى) : ﴿ **وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ** ﴾[١] رفع لتوهم حط الآباء إلى درجة الأبناء ، وقسمة أجور الآباء بينهم وبين الأبناء فينقص[٢]أجر أعمالهم ، فرفع هذا التوهم بقوله ، : ﴿ **وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ** ﴾ أي : ما نقصناهم .

ثم ذكر إمدادهم باللحم والفاكهة والشراب ، وانهم يتعاطون كؤوس الشراب بينهم ، يشرب أحدهم ويناوله صاحبه ليتم بذلك فرحهم وسرورهم . ثم نزه ذلك الشراب عن الآفات من اللغو من أهله عليه ، ولحوق الإثم لهم فقال : ﴿ **لَا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ(٢٣)** ﴾[٣] فنفى باللغو : السباب والتخاصم والهجر والفحش في المقال والعربدة ونفى بالتأثيم : جميع الصفات المذمومة التي أثمت شارب الخمر ، وقال سبحانه ﴿ **وَلَا تَأْثِيمٌ** ﴾ ، ولم يقل : ولا إثم ، أي : ليس فيها ما يحملهم على الإثم ، ولا يؤثم بعضهم بعضاً بشربها ، ولا يؤثمهم الله بذلك ولا الملائكة ، فلا يلغون ولا يأثمون .

قال ابن قتيبة : لا تذهب بعقولهم فيلغوا ، ولم يقع منهم ما يؤثمهم[٤] .

---

(1) سورة الطور الآية (٢١) .

(2) في غير الأصل والمطبوع : (فينتقص) .

(3) سورة الطور الآية (٢٣) .

(4) تفسير غريب القرآن ص (٣٦٦) .

ثم وصف خدمهم الطائفين عليهم بأنهم كاللؤلؤ في بياضهم ، والمكنون : المصون الذي لا تدنسه الأيدي ، فلم تذهب الخدمة تلك المحاسن وذلك اللون والصفاء والبهجة ، بل مع انتصابهم بخدمتهم كأنهم لؤلؤ مكنون .

ووصفهم في موضع آخر بأن : ﴿ رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَنثُورًا(١٩) ﴾[1] ففي ذكره المنثور إشارة إلى تفرقهم في حوائج ساداتهم وخدمتهم وذهابهم ومجيئهم وسعة المكان بحيث لا يحتاجون[2]أن ينضم بعضهم إلى بعض فيه لضيقه .

ثم ذكر سبحانه ما يتحدثون به هناك / وأنهم يقولون : ﴿ إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ(٢٦) ﴾[3] أي : كنا خائفين في محل الأمن بين الأهل والأقارب والعشائر ، فأوصلنا ذلك الخوف والإشفاق إلى أن من الله علينا فأمننا مما نخاف ﴿ وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ(٢٧) ﴾[4] وهذا ضد حال الشقي الذي كان في أهله مسرورا ، فهذا كان مسروراً مع إساءته ، وهؤلاء كانو مشفقين مع إحسانهم ، فبدل الله سبحانه إشفاقهم بأعظم الأمن ، وبدل أمن أولئك بأعظم المخاوف . فبالله المستعان . [٩٩/أ]

ثم أخبر (تعالى) عن حالهم في الدنيا ، وأنهم كانوا يعبدون الله فيها ، فأوصلتهم عبادته وحده إلى قربه وجواره ومحل كرامته والذي جمع لهم ذلك كله بره ورحمته فإنه هو البر الرحيم ، فهذا هو المقسم عليه بتلك الأقسام الخمسة في أول السورة والله أعلم .



[1] سورة الإنسان الآية (١٩) .
[2] في (م) و (ق) زيادة (إلى) .
[3] سورة الطور الآية (٢٦) .
[4] سورة الطور الآية (٢٧) .

فصل

{ القسم في سورة الذاريات }

ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا (١) فَالْحَامِلَاتِ وِقْرًا (٢) فَالْجَارِيَاتِ يُسْرًا (٣) فَالْمُقَسِّمَاتِ أَمْرًا (٤) ﴾[1] .

أقسم (سبحانه) بالذاريات وهي الرياح تذروا المطر وتذروا التراب ، وتذروا النبات إذا تهشم كما قال تعالى : ﴿ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ ﴾[2] أي تفرقه وتنشره ، ثم بما فوقها وهي السحاب الحاملات وقراً أي: ثقلاً من الماء وهي روايا الأرض يسوقها الله سبحانه على متون الرياح . كما في جامع الترمذي من حديث الحسن عن أبي هريرة قال : " **بينما نبي الله ﷺ جالس وأصحابه**[3] **، إذ أتى عليهم سحاب . فقال نبي الله ﷺ : هل تدرون ما هذا ؟. قالوا : الله ورسوله أعلم . قال : (هذا العنان)**[4] **، هذه روايا الأرض يسوقها**[5]**تبارك وتعالى إلى قوم لايشكرونه ولا يدعونه** "[6]

ثم أقسم سبحانه بما فوق ذلك وهي " الجاريات يسراً " وهي النجوم التي فوق الغمام ، ويسراً أي : مسخرة مذللة منقادة .وقال جماعة من المفسرين : إنها السفن تجري ميسرة في الماء جرياً سهلاً ، ومنهم من لم يذكر غيره .

واختار شيخنا رحمه الله القول الأول / وقال : هو أحسن في الترتيب ، والانتقال من [٩٩/ب] السافل إلى العالي ، فإنه بدأ بالرياح وفوقها السحاب وفوقه النجوم وفوقها الملائكة المقسمات أمر الله الذي أمرت به بين خلقه .

---

(1) سورة الذاريات الآيات (١-٤) .

(2) سورة الكهف الآية (٤٥) .

(3) في (م) و (ق) والمطبوع : (في أصحابه) .

(4) بياض هنا في (ق) .

(5) في (ق) والمطبوع : (يسوقها الله) .

(6) الحديث أخرجه الترمذي في سننه (٤٨) كتاب التفسير ، باب من سورة الحديد ح (٣٢٩٨) ، وأحمد في مسنده (٢٧٠/٢) ، وابن أبي عاصم في السنة (٢٥٤/١) ح (٥٧٨) ، وأبو الشيخ الأصبهاني في العظمة في (٩) ذكر عرش الرب تبارك وتعالى وكرسيه . . ح (٢٠١-٢٠٢) ، والبيهقي في الأسماء والصفات في باب ما جاء في العرش والكرسي ح (٨٤٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه . قال الترمذي هذا حديث غريب من هذا الوجه ، وقال : ويروى عن أيوب ويونس بن عبيد وعلي بن زيد قالوا : لم يسمع الحسن من أبي هريرة . وقال البيهقي : وفي رواية الحسن عن أبي هريرة رضي الله عنه انقطاع ، ولا تثبت سماعه من أبي هريرة ، وروي من وجه آخر منقطع عن أبي ذر رضي الله عنه مرفوعاً .

والصحيح أن المقسمات أمراً لا تختص بأربعة . وقيل : هم جبريل يقسم الوحي ، والعذاب ، وأنواع العقوبة ، على من خالف الرسل ، وميكائيل على القطر . والبرد ، والثلج والنبات يقسمها بأمر الله ، وملك الموت : يقسم المنايا بين الخلق بأمر الله تعالى ، واسرافيل : يقسم الأرواح على أبدانها عند النفخ في الصور ، وهم المدبرات أمراً وليس في اللفظ ما يدل على الاختصاص بهم والله أعلم .

وأقسم سبحانه بهذه[١] الأربعة لمكان العبرة والاية والدلالة الباهرة على ربوبيته ووحدانيته وعظم قدرته .

ففي **الرياح** من العبر : هبوبها وسكونها ، ولينها وشدتها ، واختلاف طبائعها وصفاتها ومهامها وتصريفها ، وتنوع منافعها وشدة الحاجة إليها ، فللمطر : خمس رياح : ريح ينشر سحابه ، وريح يؤلف بينه ، وريح تلقحه ، وريح تسوقه حيث يريد الله ، وريح تذروا ماءه وتفرقه ، ، للنبات ريح ، وللسفن ريح ، وللرحمة ريح ، وللعذاب ريح ، إلى غير ذلك من أنواع الرياح . وذلك يقضي بوجود خالق مصرف لها ، مدبر لها ، ويصرفها كيف يشاء . ويجعلها رخاءاً تارة وعاصفة تارة ، ورحمة تارة ، وعذاباً تارة ، فتارة يحي به[٢] الزروع والثمار ، وتارة يقطعها[٣] بها ، وتارة ينجي بها السفن وتارة يهلكها بها ، وتارة ترطب الابدان ، وتارة تذيبها ، وتارة عقيماً وتارة لاقحة ، وتارة جنوباً ، وتارة دبوراً وتارة صباً وتارة شمالاً وتارة بين ذلك ، وتارة حارة وتارة باردة .

وهي مع غاية قوتها ألطف شئ ، وأقبل المخلوقات لكل كيفية ، سريعة التأثر والتأثير ، لطيفة المسارق بحر بين[٤] السماء والأرض ، إذا قطع عن الحيوان الذي على وجه الأرض هلك [١٠٠/أ] كبحر الماء الذي إذا فارقه حيوان الماء هلك ، يحبسها الله سبحانه / إذا شاء ويرسلها إذا شاء ، تحمل الأصوات إلى الابدان ، والرائحة إلى الأنف ، والسحاب إلى الأرض الجرز وهي من روح الله تأتي بالرحمة ، ومن عقوبته تأتي بالعذاب .

---

(1) في غير الأصل : زيادة (الأمور) .

(2) في غير الأصل و (ب) : (يحيى بها) .

(3) في (م) و (ق) : (يقطها) ، وفي المطبوع : (يغطيها) .

(4) محتملة في الأصل و (ب) لكلمة (تحرس) ، وفي (م) و (ق) (بحر بين) ، وفي المطبوع : (بين) من غير (بحر) .

وهي أقوى خلق الله ، كما رواه الترمذي في جامعه من حديث أنس بن مالك عن النبي ﷺ قال : " **لما خلق الله الأرض جعلت تميد ، فخلق الجبال ، فقال بها عليها فاستقرت فعجبت الملائكة من شدة الجبال وقالوا : يارب هل من خلقك شئ أشد من الجبال ؟ قال : نعم ، الحديد ، قالوا : يارب فهل من خلقك شئ أشد من الحديد ؟ ، قال : نعم ، النار ، قالوا : يارب فهل من خلقك شئ أشد من النار ؟ ، قال : نعم الماء ، قالوا : يارب فهل من خلقك شئ أشد من الماء ؟ ، قال : نعم الريح ، قالوا : يارب فهل من خلقك شئ أشد من الريح ؟ ، قال : نعم : ابن آدم ، تصدق بصدقة بيمينه يخفيها من شماله** "(١) . ورواه الامام أحمد في مسنده(٢). وفي الترمذي : في حديث قصة عاد أنه لم يرسل عليهم [من الريح] (٣)إلا قدر حلقة الخاتم ، فلم تذر من شئ أتت عليه : إلا جعلته كالرميم(٤). وقد وصفها الله سبحانه بأنها عاتية . قال البخاري في صحيحه : عتت على الخزنة فلم يستطيعوا أن يردوها(٥). والمقصود أن الرياح من أعظم أيات الرب الدالة على عظمته وربوبيته وقدرته .



---

(1)أخرجه الترمذي في سننه في (٤٨) كتاب التفسير . باب ح (٣٣٦٩) وأبو الشيخ في العظمة في (٢٧) ذكر الرياح ح (٨٧٢) ، والبيهقي فيشعب الإيمان في (٢٢) باب في الزكاة ، فصل في الاختيار في صدقة القتطوع ، ح (٣٤٤١) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه . قال أبو عيسى : هذا حديث غريب لا نعرفه مرفوعاً إلا من هذا الوجه . قال الألباني معلقاً : يعني ضعيف وعلته أن فيه سلميان بن أبي سليمان قال الهذبي : لا يكاد يعرف . انظر : مشكان المصابيح (١/٦٠٠) .

(2)مسند الإمام أحمد (٣/١٢٤).

(3)ما بين المعقوفتين سقط من الأصل .

(4)سنن الترمذي (٤٨) كتاب التفسير باب ومن سورة الذاريات ، ح (٣٢٧٣-٣٢٧٤) .

(5)صحيح البخاري (٦٥) كتاب أحاديث الأنبياء ، (٦) باب قول الله تعالى : ﴿ وإلى عاد أخاهم هوداً ﴾ في الترجمة ، وأيضا في تفسيره سورة الفرقان استطراداً .

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى : (أما تفسير الصرصر بالشديدة فهو قول أبي عبيدة في المجاز ، وأما تفسير ابن عيينة فرويناه في تفسيره رواية سعيد بن عبدالرحمن المخزومي عنه عن غير واحد في قوله : (عاتية) قال : (عتت على الخزان ، وما خرج منها إلا مقدار الخاتم) ، وقد وقع متصلاً بحديث ابن عباس الذي في هذا الباب عند الطبراني .. وأخرجه ابن مردويه من وجه آخر . . وجاء نحوها عن علي موقوفاً أخرجه ابن أبي حاتم من طريقه قال : (لم يترل الله شيئاً من الريح إلا بوزن على يدي ملك إلا يوم عاد فإنه أذن لها دون الخزان ، عتت على الخزان) ومن طريق قبضة بن ذؤيب أحد كبار التابعين نحوه بإسناد صحيح) الفتح (٦/٤٣٤)

﴿ فصل ﴾

ثم أقسم **بالسحاب** وهو من أعظم آياته ، بخار ينشئه الله في الجو في غاية الخفة ، ثم يحمل الماء والبرد فيصير أثقل شئ فيأمر الرياح فتحمله على متونها ، وتسير به حيث أمرت فهو مسخر بين السماء والأرض حامل لأرزاق العباد والحيوان ، فإذا أفرغه حيث أمر به ، أضمحل وتلاشى بقدرة الله فإنه لو بقي لأضر بالنبات والحيوان فأنشأه سبحانه في زمن يصلح انشاؤه فيه ، وحمله من الماء ما يحمله وساقه إلى بلد / شديد الحاجة إليه فسل السحاب من أنشأه بعد عدمه ؟ ، ومن [١٠٠/ب] حمله الماء والثلج والبرد ؟ ، ومن حمله على ظهور الرياح ؟

ومن أمسكه بين السماء والأرض بغير عماد ؟ ، ومن أغاث بقطره العباد ؟ ، وأحيا به البلاد ، وصرفه بين خلقه كما أراد ؟ ، وأخرج ذلك القطر بقدر معلوم ؟ ، وأنزله منه و أفناه بعد الاستغناء عنه ولو شاء لأدامه عليهم فلم يستطيعوا إلى دفعه سبيلاً ولو شاء لامسكه عنهم فلا يجدون إليه وصولاً ؟

فإن [لم][1] يجبك حواراً ، أجابك اعتباراً [2].

وسئل الرياح : من أنشأها بقدرته ؟ ، وصرفها بحكمته ؟ ، وسخرها بمشئته ؟ وأرسلها بشراً بين يدي رحمته ؟ ، وجعلها سبباً لتمام نعمته ؟ ، وسلطها على من شاء بعقوبته ؟ ، ومن جعلها رخاء وذارية ولا قحة ومثيرة ومؤلفة ومغذية لابدان الحيوان والشجر والنبات ؟ وجعلها قاصفاً وعاصفاً ومهلكة وعاتية إلى غير ذلك من صفاتها ؟ ، فهل ذلك لها من نفسها وذاتها ؟ أم نتدبير مدبر شهدت الموجودات بربوبيته ؟ ، وأقرت المصنوعات بوحدانيته ؟ بيده النفع والضر ، وله الخلق والأمر . تبارك الله رب ا لعالمين .

وسئل ا لجاريات يسراً من السفن ، من[3]أمسكها على وجه الماء ، ومن سخر لها البحر ؟ ومن أرسل لها الرياح التي تسوقها في[4]الماء ، سوق السحاب على متون الرياح ؟ ومن حفظها في

---

[1] سقط من الأصل .

[2] في المطبوع : (فإن لم يجبك جواباً ، حباك اعتبار مرسل الرياح) قال في الهامش : هكذا في الأصل وهو خطأ شنيع . . الخ .

[3] سقط من (م) .

[4] في (م) و (ق) : (إلى) ، وفي المطبوع : (على) .

مجراها ومرساها من طغيان الماء وطغيان الريح ؟ فمن الذي جعل الريح لها بقدر لو زاد عليها لأغرقها ، ولو نقص عنه لعاقها ؟ ومن الذي أجرى لها ريحاً واحدة تسير بها ، و لم يسلط على تلك الريح ما يصادمها ويقاومها . فتتموج (في البحر)[1] يميناً وشمالاً تتلاعب بها الرياح ؟

ومن الذي علم الخلق الضعيف صنعة هذا البيت [العظيم الذي [2]، يمشي على الماء فيقطع المسافة البعيدة ويعود إلى بلده يشق / الماء ويمخره مقبلاً ومدبراً بريح واحدة تجري في موج [١٠١/أ] كالجبال ؟ : ﴿ **وَمِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِي فِي الْبَحْرِ كَالْأَعلام(٣٢)إِنْ يَشَأْ يُسْكِنْ الرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَى ظَهْرِهِ أن فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ(٣٣)أَوْ يُوبِقْهُنَّ بِمَا كَسَبُوا وَيَعْفُ عَنْ كَثِيرٍ(٣٤)** ﴾[3] .

ومن الذي حمل في هذا البيت نبيه واولياءه خاصة ، وأغرق جميع أهل الأرض سواهم ؟

وسئل الجاريات يسرا من الكواكب والشمس والقمر من الذي خلقها ، وأحسن خلقها ، ورفع مكانها ، وزين بها قبة العالم ، وفاوت بين أشكالها ، ومقاديرها ، وألوانها ، وحركاتها ، وأماكنها من السماء ، فمنها الكبير ومنها الصغير والمتوسط والأبيض والأحمر والزجاجي اللون ، والدري اللون والمتوسط في قبة الفلك والمتطرف في جوانبها وبين ذلك ؟ .

ومنها ما يقطع الفلك في شهر ومنها ما يقطعه في عام ومنها مايقطعه في ثلاثين عاماً ، ومها ما يقطعه في أضعاف ذلك ،، ومنها ما لا يزال ظاهراً لا يغيب بحال ، فهو أبدي الظهور ، ومنها أبدي الخفاء ، ومنها ما له حالتان : ظهور واختفاء ، ومنها ماله حركتان : حركة عرضية من المشرق إلى المغرب ، وحركة ذاتية من المغرب إلى المشرق . فحال ما يأخذ الكوكب في الغروب فإذا كوكب آخر في [مقابلته ، وكوكب آخر قد طلع ، وهو آخذ في الارتفاع والتصاعد ، وكوكب آخر في][4] الربع الشرقي وكوكب آخر في وسط السماء وكوكب آخر قد مال عن الوسط وكوكب أخر قد دنا من الغروب ، وكأن رقيبه ينتظر بطلوعه غيبته .

---

[1] سقط من (ق) .

[2] سقط من الأصل .

[3] سورة الشورى الآيات (٣٢-٣٤) .

[4] سقط من الأصل .

وأنت إذا تأملت أحوال هذه الكواكب وجدها تدل على المعاد كما تدل علـــى المبــدأ ، وتدل على وجود الخالق وصفات كماله وربوبيته وحكمته ، ووحدانيته أعظم دلالة : وكل مادل على صفات جلاله ونعوت كماله دل على صدق رسله ، فكما جعل الله (تعــالى)[1] النجــوم هداية في طرق البر والبحر فهي هداية في طريق العالم بالخالق سبحانه وقدرته وعلمه وحكمتــه / [١٠١/ب] والمبدأ والمعاد والنبوة ودلالتها على هذه المطالب لا تقصر عن دلالتها على طرق البر والبحر . بل دلالتها للعقول على ذلك أظهر من دلالتها على الطرق الحسية فهي هداية في هذا وهذا .



[1] سقط من غير الأصل و (ب) .

﴿ فصل ﴾

وأما دلالة المقسمات أمرا وهم الملائكة ، فلأن ما يشاهد من تدبير العالم العلوي والسفلي ، وما لا يشاهد إنما هو على أيدي الملائكة ، فالرب تعالى يدبر بهم أمر العالم ، وقد وكل بكل عمل من الأعمال طائفة منهم : فوكل بالشمس والقمر والأفلاك والنجوم طائفة منهم ، ووكل بالقطر والسحاب طائفة ، ووكل بالنبات طائفة ، ووكل بالأجنة والحيوان طائفة . ووكل بالموت طائفة ، [ويحفظ بني آدم طائفة ، وبإحصاء أعمالهم وكتابتها طائفة ، وبالوحي طائفة ، وبالجبال طائفة][1] وبكل شأن من شئون العالم طائفة ، هذا مع ما في خلق الملائكة من البهاء والحسن ، وما فيه من القوة والشدة ولطافة الجسم وحسن الخلقة وكمال الانقياد لأمره والقيام في خدمته وتنفيذ أوامره في أقطار العالم .

ثم أقسم سبحانه بهذه الأمور على صدق وعده ووقوع جزائه بالثواب والعقاب فقال (تعالى) : ﴿ **إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ(٥)** ﴾[2] أي : ما توعدون من أمر الساعة والثواب والعقاب لحق كائن وهو وعد صدق لا كذب : ﴿ **وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ(٦)** ﴾[3] أي أن الخبر الكائن لا محالة .

١- ويجوز أن تكون ما موصولة والعائد محذوف والمعنى : أن الذي يوعدونه لصادق أي كائن وثابت .

٢- وأن تكون مصدرية أي : أن وعدكم لحق وصدق[4].

ووصف الوعد بكونه صادقاً أبلغ من وصفه بكونه صدقاً ولا حاجة إلى متكلف[5] جعله بمعنى مصدوقاً فيه بل هو صادق[6]، كما يوصف المتكلم بأنه صادق في كلامه بوصف[7] كلامه

---

[1] سقط من الأصل .
[2] سورة الذاريات الآية (٥) .
[3] سورة الذارايات الآية (٦) .
[4] انظر : البحر المحيط (١٣٤/٨) ، والدر المصون (١٠/٤٠-٤١) .
[5] في غير الأصل و (ب) : (تكلف) .
[6] في (م) و (ق) و (ط) زيادة : (نفسه) .
[7] في (م) و (ق) و (ط) : (فوصف) .

بأنه صدق ، وهذا مثل قولهم : سر كاتم ، وليل قائم ، ونهار صائم ، وماء دافق ، ومنه ﴿ **عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ(٧)** ﴾[١] وليس ذلك بمجاز ولا مخالف لمقتضى التركيب ، وإذا / تأملت هذا التناسب [١٠٢/أ] والارتباط بين المقسم به والمقسم عليه وجدته دالاً عليه مرشداً إليه .

ثم أقسم سبحانه بالسماء ذات الحبك .

أصل الحبك في اللغة : إجادة النسج . يقال : حبك الثوب إذا أجاد نسجه ، وحبل محبوك إذا كان شديد الفتل ، وفرس محبوك الكفل أي : مدمجة . وقال شمر[٢]: المحبوك في اللغة ما أجيد عمله وذاته محبوكة إذا كانت مدمجة الخلق . وقال أبو عبيدة والمبرد : الحبك : الطرائق[٣]، واحدها : حباك ، وحباك الحمام : طرائق على جناحيه وحبك الماء طرائقه[٤].

وقال الفراء : الحبك : تكسير كل شئ كالرمل إذا مرت به الريح والماء الدائم إذا مرت به الريح وتجعد الشعر حبك أيضا ، واحدها حبيكة ، مثل : طريقة وطرق[٥]، وحباك مثل : مثال ومثل[٦].

والمقصود بهذا كله ما أفصح به ابن عباس فقال : يريد الخلق الحسن[٧].

وروى سعيد بن جبير عنه قال : الحبك حسنها واستواؤها[٨].

وقال قتادة : ذات الخلق ا لشديد[٩].

وقال مجاهد : متقنة البنيان[١].

---

(1) سورة القارعة آية (٧) .

(2) شمر : هو شمر بن حمدويه الهروي ، أبو عمرو ، لقي ابن الأعرابي وأبا عبيدة والأصمعي والفراء وغيرهم . ألف كتاباً في اللغة كبيراً على حروف المعجم ولكن فقد بحوثه رحمه الله .

انظر : إنباه الرواة (٧٧/٢) . معجم الأدباء (٢٧٤/١١) . وورد في الأصول : (شهر) وهو تحريف ، والتصويب من المطبوع وتهذيب اللغة للأزهري .

(3) في المطبوع : (الطريق) .

(4) انظر : مجاز القرآن (٢٢٥/٢) ، تهذيب اللغة (١٠٨/٤) مادة (حبك) .

(5) في المطبوع : (طرق وطريقة) .

(6) انظر : معاني القرآن للفراء (٨٢/٢) بتصرف .

(7) أخرجه الطبري في تفسيره من عدة طرق عن ابن عباس (١٨٩/٢٦-١٩٠) وإسناده حسن كما قال صاحب تفسير الصحيح (٣٨٧/٤) وورد ذكره أيضا في البسيط (١١٤/١) .

(8) أخرجه الطبري في تفسيره بإسناده (١٨٩/٢٦) وإسناده صحيح كما قال الحافظ ابن حجر في الفتح (٤٦٦/٨) . وورد ذكره أيضا في البسيط (١١٤/١) .

(9) أخرجه عبدالرزاق في تفسيره (٢٤٢/٢) ، وكذلك الطبري في تفسيره بإسناده (١٩٠/٢٦) وورد ذكره أيضا في البسيط (١١٤/١)

وقال أيضا: ذات الطرائق ، ولكنها بعيدة من العباد فلا يرونها كحبك الماء إذا ضربته الريح ، وكحبك الرمل ، وحبك[٢]الشعر[٣].

وقال عكرمة : بنيانها كالبرد المسلسل[٤].

قلت : وفي الحديث في صفة الدجال . (رأسه حبك)[٥]أي جعد الشعر ومن أحسن ما قيل في تفسير الحبك ما ذكره الترمذي في تفسير الجامع من حديث الحسن عن ابي هريرة[٦]أن رسول الله ﷺ قال : **" هل تدرون ما فوقكم ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم . قال : فإنها الرقيع سقف محفوظ وموج مكفوف "**[٧] وذكر الحديث .



---

[1]انظر تفسير مجاهد (٦١٦/٢) ، وكذا أخرجه الطبري في تفسيره بإسناده (١٩٠/٢٦) ، ونقله عنه الواحدي في البسيط (١١٥/١) ، والبغوي في معالم التتزيل (٣٧١/٧) .

[2]في المطبوع : (وكحبك) .

[3]ذكره الواحدي في البسيط (١١٥/١) ونسبه إلى مجاهد من رواية الكلبي ولم أجده عند غيره منسوباً لمجاهد ، وذكر الواحدي أيضا في تفسيره الوسيط (١٧٤/٤) أنه مروي عن مقاتل والكلبي ، وكذلك البغوي في تفسيره (٣٧١/٧) ، وانظر تفسير مقاتل (/ أ)

[4]ذكره الواحدي في البسيط (١١٥/١) .

وهذه الأقوال جميعاً نقلها ابن القيم عن الواحدي مع شيء من التصرف .

انظر : تفسير البسيط للواحدي (١١٢/١-١١٥) ت/فاضل المحوي .

[5]أخرجه أحمد في مسنده من حديث أبي قلابة عن هشام بن عامر قال : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (إن رأس الدجال من ورائه حبك حبك . .) الحديث المسند (٢٠/٤) ، قال في المجمع : رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح ورواه الطبراني . حيث رواه الطبراني في المعجم الكبير (١٧٥/٢٢) ح (٤٥٦) .

[6]أبو هريرة : اختلف في اسمه على أقوال أرجحها كما يقول الذهبي : عبدالرحمن بن صخر ، أبو هريرة الدوسي اليماني صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وسيد الحفاظ الأثبات ، حدث عنه خلق كثير من الصحابة والتابعين توفي سنة (٥٧هـ) .

انظر : السير (٥٧٨/٢-٦٣٢) ، شذرات الذهب (٦٣/١-٦٤) .

[7]الحديث أخرجه الترمذي في سننه في (٤٨) كتاب التفسير (٥٧) باب ومن سورة الحديد ح (٣٢٩٨) ، وأحمد في مسنده (٣٧٠/٢) ، وابن أبي عاصم في السنة (٢٥٤/١) ح (٥٧٨) ، وأبو الشيخ في العظمة (٥٦٠/٢) في (٩) ذكر عرش الربتبارك وتعالى . . ح ٢١٠) ، والبيهقي في الأسماء والصفات في باب ما جاء في العرش والكرسي ح (٨٤٩) . والحديث ضعيف الإسناد للانقطاع بين الحسن وأبي هريرة . انظر السنة (٢٥٥/١) الأسماء والصفات تعليق المحقق (٢٨٧/٢/٢٨٨) .

﴿ فصل ﴾

{ المقسم عليه في سورة الذاريات }

ثم ذكر المقسم عليه فقال : ﴿ إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُخْتَلِفٍ(٨)يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ(٩) ﴾[١] .

فالقول المختلف : " أقوالهم في القرآن . وفي النبي ﷺ وهو خرص كله . فإنهم لما كذبوا بالحق اختلفت مذاهبهم وأراؤهم وطرائقهم وأقوالهم . فإن الحق شئ واحد وطريق مستقيم . فمن خالفه اختلفت به الطرق والمذاهب كما قال (تعالى) : ﴿ بَلْ كَذَّبُوا / بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَهُمْ [١٠٢/ب] فِي أَمْرٍ مَرِيجٍ(٥) ﴾[٢] أي : مختلط . ملتبس . وفي ضمن هذا الجواب : إنكم في أقوال باطلة متناقضة ، يكذب بعضها بعضها بسبب تكذيبهم بالحق .

ثم أخبر سبحانه أنه يصرف بسبب ذلك القول المختلف من صرف (فعن) ههنا فيها طرف من معنى التسبيب كقوله (تعالى) : ﴿ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَنْ قَوْلِكَ ﴾[٣] (أي : بسبب قولك)[٤]: ﴿ مَنْ أُفِكَ(٩) ﴾[5] أي : من سبق في علم الله أن يضل ويؤفك كقوله تعالى : ﴿ فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ(١٦١)مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ بِفَاتِنِينَ(١٦٢)إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِي الْجَحِيمِ ﴾[6] .

وقالت طائفة : الضمير يرجع إلى القرآن ، وقيل : إلى الإيمان ، وقيل : [7]الرسول والمعنى : يصرف عنه من صرف حتى يكذب به[٨].

ولما كان هذا القول المختلف خرصاً وباطلاً قال : ﴿ قُتِلَ الْخَرَّاصُونَ(١٠) ﴾[٩] ، أي الكذابون ، ﴿ الَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرَةٍ ﴾[١٠] وجهالة ثم غمر قلوبهم أي :

---

[1] سورة الذاريات الآيتان (٨-٩) .

[2] سورة ق الآية (٥) .

[3] سورة هود الآية (٥٣) .

[4] سقط من المطبوع .

[5] سورة الذاريات الآية (٩) .

[6] سورة الصافات الآيات (١٦١-١٦٣) .

[7] في المطبوع : (إلى الرسول) .

[8] انظر : البسيط (١١٦/١) ت/المحوي .

[9] سورة الذاريات الآية (١٠) .

[10] سورة الذاريات الآية (١١) . وفي المطبوع : إكمال الآية (ساهون) .

غطاها وغشاها[١] كغمرة الماء ، وغمرة الموت ، فالغمرات ما غطاها من جهل أو هوى . أو سكر أو غفلة ، أوحب أو بعض أو خوف أو هم[٢] وغم، ونحو ذلك .

قال تعالى : ﴿ بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ مِنْ هَذَا ﴾[٣] أي غفلة ، وقيل : جهالة ثم وصفهم بأنهم ساهون في غمرتهم ، والسهو : الغفلة عن الشئ ، وذهاب القلب عنه[٤] ، والفرق بينه وبين النسيان : أن النسيان الغفلة بعد الذكر والمعرفة ، والسهو لا يستلزم ذلك .

ثم قال : ﴿ يَسْأَلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ الدِّينِ(١٢) ﴾[5] استبعاداً لوقوعه وجحداً . فأخبر تعالى أن ذلك ﴿ يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ ﴾[٦] [المشهور في تفسير هذا الحرف أنه بمعنى : يحرقون ، ولكن لفظه (على) تعطي معنى زائداً على ما ذكره ، ولو كان المراد نفس الحريق لقيل : يوم هم في النار يفتنون][7]، ولهذا لما علم هؤلاء ذلك قال كثير منهم (على) بمعنى (في) ، كما يكون (في) بمعنى (على) .

والظاهر : أن فتنتهم على النار قبل فتنتهم فيها ، فلهم عند عرضهم عليها ، ووقوفهم عليها فتنة ، وعند دخولها والتعذيب بها فتنة أشد منها ، ومن جعل الفتنة ههنا من الحريق أخذه من قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا ﴾ واستشهد على ذلك أيضاً بهذه اللفظة التي في الداريات .

وحقيقة / الأمر أن الفتنة تطلق على العذاب وسببه ، ولهذا سمى الله الكفر فتنة فهم لما اتوا [١٠٣/أ] بالفتنة التي هي أسباب العذاب في الدنيا سمي جزاءهم فتنة ، ولهذا قال : ﴿ ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ ﴾ وكان وقوفهم على النار وعرضهم عليها من أعظم فتنتهم ، وآخر هذه الفتنة دخول النار والتعذيب بها .

---

(1) في المطبوع : (أي غطتها وغشتها) .

(2) (هم) سقط من المطبوع .

(3) سورة المؤمنون الآية (٦٣) .

(4) انظر تهذيب اللغة (٦/٢٦٦) مادة (سهة) ، والبسيط (١/١١٨ ت.المحوي .

(5) سورة الذاريات الآية (١٢) .

(6) سورة الذاريات الآية (١٣) .

(7) سقط من الأصل .

ففتنوا أولا بأسباب الدنيا وزينتها ، ثم فتنوا بإرسال الرسل إليهم ، ثم فتنـــوا بمخالفتـــهم وتكذيبهم ، ثم فتنوا بعذاب الدنيا ، ثم فتنوا بما بعد الموت ، ثم يفتنون في موقف القيامـــة ، ثم إذا حشروا إلى النار ووقفوا عليها وعرضوا عليها ، وذلك من أعظم فتنتهم ثم الفتنة الكـــبرى الـــتي انستهم جميع الفتن قبلها .



فصل

ثم ذكر سبحانه جزاء من خلص من هذه الفتن بالتقوى وهو الجنات والعيون ، وأنهم : ﴿ آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ ﴾[1] من الخير والكرامة[2] .

وفي ذلك دليل على أمور: منها قبولهم له ، ومنها رضاهم به ، ومنها وصولهم إليه بلا ممانع ولا معاوق[3] ، ومنها أن جزاءهم من جنس أعمالهم فكما اخذوا ما أمرهم به في الدنيا وقابلوه بالرضا وا لتسليم وانشراح الصدر أخذوا ما آتاهم من الجزاء كذلك . ثم ذكر السبب الذي أوصلهم إلى ذلك وهو إحسانهم المتضمن لعبادته وحده لا شريك له ، والقيام بحقوقه ، وحقوق عباده .

ثم ذكر ليلهم وأنهم قليل هجوعهم منه وقد قيل إن (ما) نافية ، والمعنى : ما يهجعون قليلاً من الليل ، فكيف بالكثير ؟ وهذا ضعيف لوجوه :

أحدها : أن هذا ليس بلازم لوصف المتقين الذي يستحقون هذا الجزاء .

ا لثاني : أن قيام من نام من الليل نصفه أحب إلى الله من قيام من قامه كله .

الثالث : أنه لو كان المراد بذلك أحياء الليل جميعه لكان أولى الناس بهذا رسول الله ﷺ وما قام ليلة حتى الصباح .

الرابع : أن الله سبحانه إنما أمر رسوله أن يتهجد بالقرآن من الليل لا في الليل كله فقال تعالى : ﴿ وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ / بِهِ ﴾[4] [١٠٣/ب]

الخامس : أنه سبحانه لما أمره بقيام الليل في سورة المزمل أنما أمره بقيام النصف[5] والنقصان منه أو الزيادة عليه ، فذكر له مراتب الثلاثة[6] و لم يذكر قيامه كله .

---

(1) سورة الذاريات الآية (١٦) .

(2) كما هو قول ابن عباس رضي الل عنهما .

(3) في المطبوع : (بلا ممانع ولا عائق) .

(4) سورة الإسراء الآية (٧٩) .

(5) في غير الأصل و (ب) : (أو) .

(6) في غير الأصل و (ب) : (هذه المراتب الثلاثة) .

السادس : أنه ﷺ **لما بلغه عن عثمان بن مظعون**[١] **أنه لاينام من الليل بعث إليه فجاءه فقال : يا عثمان أرغبت عن سنتي ؟ قال : لا والله يا رسول الله ، ولكن سنتك أطلب . قال : فإني أنام وأصلي ، وأصوم وأفطر ، وانكح النساء ، فاتق الله يا عثمان فإن لاهلك عليك حقاً ، وإن لضيفك عليك حقاً ، وإن لنفسك عليك حقاً ، فصم وافطر ، وصل ونم** "[٢] ، ولما بلغه عن زينب بنت جحش[٣] أنها تصلي الليل كله حتى جعلت حبلاً بين ساريتين إذا فترت تعلقت به . أنكر ذلك وأمر بحله[٤] .

السابع : أن الله تعالى أثنى عليهم بأنهم كانت : ﴿ **تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ** ﴾[٥] وهذه المضاجع إنما هي مضاجع النوم ، فكانت جنوبهم تتجافى وتقلق عنها حتى يقوموا إلى الصلاة ، ولهذا جازاهم عن هذا التجافي الذي سببه قلق القلب واضطرابه حتى يقوموا[٦] إلى الصلاة بقرة الأعين .

---

(1) هو عثمان بن مظعون بن حبيب بن وهب أبو السائب من سادة المهاجرين ومن أولياء الله المتقين ، توفي في السنة الثانية للهجرة .
انظر : حلية الأولياء (١/١٠٢-١٠٦) ، الإصابة (٢/٤٥٧) .

(2) أخرجه أبو داود في سننه في كتاب الصلاة ، (٣١٦) باب ما يؤمر به من العقصد في الصلاة ح (١٣٦٣) ، وأحمد في مسنده (٦/٢٦٨) .

قاله الهيثمي في المجمع : روى أبو داود منه طرفاً رواه أحمد والبزار بمنحوه وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (١/٢٥٦) .

(3) زينب بنت جحش هي : أم المؤمنين زينب بنت جحش بن رباب بن يعمر ، وأمها أميمة بنت عبدالمطلب عمة الرسول صلى الله عليه وسلم تزوجها النبي صلى الله عليه وسلم بعد أن تزوجت زيد بن حارثة رضي الله عنه وهي التي نزل فيها قوله تعالى : ﴿ فلما قضى زيد منها وطراً زوجناكها ﴾ ، وكانت أول نسائه موتاً بعده .
انظر : التهذيب (١٢/٤٥٠) .

(4) كما روى ذلك البخاري في صحيحه في (١٩) كتاب التهجد ، (١٨) باب ما يكره من التشديد في العبادة ح (١١٥٠) ، ومسلم في (٦) كتاب صلاة المسافرين وقصرها ، (٣١) باب أمر من نعس في صلاته أو استعجم عليه القرآن أو الذكر بأن يرقد أو يقعهد حتى يذهب عنه ذلك ح (٧٨٤) من حديث أنس رضي الله عنه .

(5) سورة السجدة الآية (١٦) .

(6) في (ق) والمطوبع : (يقوم) .

الثامن : أن الصحابة الذين هم أول وأولى من دخل في هذه الآية لم يفهموا منها عدم نومهم بالليل أصلاً . فروى بحير بن سعد[١] عن سعيد[٢] عن قتادة عن أنس في قوله تعالى : ﴿ **كَانُوا قَلِيلاً مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ** ﴾ قال : كانوا يصلون فيما[٣] بين المغرب والعشاء[٤] .

التاسع : أن في هذا التقدير تفكيكاً للكلام ، وتقديماً لمعمول العامل المنفي عليه ، لأنك تجعل (قليلاً) مفعول (يهجعون) وهو منفي ، والبصريون لايجيزون ذلك ، وإن أجازه الكوفيون وفصّل بعضهم : فاجازه في الظرف ، و لم يجزه في غيره[٥] .



(1)

(2) سعيد بن أبي عروبة . أبو النضر البصري ، قال ابن معين وأبو زرعة والنسائي : ثقة ، زاد أبو زرعة : مأمون ، قال ابن معين : اثبت الناس في قتادة سعيد بن عروبة ، مات سنة ١٥٦ هـ .

3 في غير الأصل و (ب) : (ما) .

(4) أخرج هذا الأثر عبدالرزاق في تفسيره (٢/٢٤٣) ، والطبري في تفسيره بإسناده (٢٦/١٩٦) ، وورد ذكره أيضاً في البسيط (١/١٢١) ، ومعالم التتريل (٧/٣٧٣) والجامع لأحكام القرآن (١٧/٢٦) وغيرها .

(5) في غير الأصل و (ب) : زيادة : (فصل) .

فصل

* وقيل : (ما)زائدة ، وخبر كان (يهجعون) ، و (قليلاً) منصوب إما على المصدرية أي : هجوعاً قليلاً ، وإما على الظرف أي : زمناً قليلاً .

واستشكل هذا بأن نوم نصف الليل وقيام ثلثه ، ثم نوم سدسه ، أحب القيام / إلى الله [١٠٤/أ] (عز وجل) فيكون وقت الهجوع أكثر من وقت القيام . فكيف يثنى عليهم بما الأفضل خلافه؟ .

وأجيب عن ذلك : بأن من قام هذا القيام فزمن هجوعه أقل من زمن يقظته قطعاً فإنه مستيقظ من المغرب إلى العشاء ، ومن الفجر إلى طلوع الشمس ، فيبقى ما بين العشاء إلى طلوع الفجر . فيقومون نصف ذلك الوقت فيكون زمن الهجوع أقل من زمن الاستيقاظ .

* وقيل : (ما) مصدرية ، وهي [في][1] موضع رفع بقليل ، أي : :كانوا قليلاً هجوعهم ، وهو قول حسن[2] .

* وقيل : إن (ما) موصولة . بمعنى الذي ، والعائد محذوف أي قليل من الليل الوقت الذي يهجعونه وفيه تكلف .

* وقيل : (ما يهجعون) بدل اشتمال من اسم كان ، والتقدير : كان هجوعهم من الليل قليلاً ، ويرد عليه أن (من الليل) متعلق بيهجعون ومعمول المصدر لا يتقدم عليه ، واجيب عنه : أنه منصوب على التفسير ومعناه : أن يقدر له فعل محذوف ينصبه ، يفسّره هذا المذكور .

* وقيل : (قليلاً) خبر كان ، وتم الكلام بذلك والمعنى : كانوا صنفاً أو جنساً قليلاً . ثم قال : (من الليل ما يهجعون) ، وأصحاب هذا القول يجعلون (ما) نافية . فيعود الكلام إلى نفي هجوعهم شيئاً من الليل . وقد تقدم ما فيه[3] .

---

[1] سقط من الأصل .

[2] في غير الأصل و (ب) : (وهو قول الحسن) .

[3] انظر هذه الأقوال في :

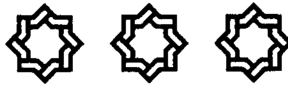
معاني القرآن للفراء (٨٤/٣) ، جامع البيان (١٩٦/٢٦-٢٠٠) ، معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٥٣/٥) ، الكشاف (٣٩٨/٤) ، الجامع لأحكام القرآن (٢٥/١١٧) ، البحر المحيط (١٣٥/٨) الدر المصون (٤٥/١٠) .

قال الطبري رحمه الله بعد سياق الأقوال : " وأولى الأقوال بالصحة في تأويل قوله تعالى : ﴿ كانوا قليلاً من الليل ما يهجعون ﴾ قول من قال : كانوا قليلاً من الليل هجوعهم ، للأن الله تبارك وتعالى وصفهم بذلك مدحاً لهم ، وأثنى علهيم به ، فوصفهم بكثرة العمل ، وسهر الليل ، ومكابدته فيما يقربهم منه ، ويرضيه عنهم أولى وأشبه من وصفهم من قلة العمل وكثرة النوم ، مع أن الذي اخترنا في ذلك هو أغلب المعاني على ظاهر التتريل " . جامع البيان (٢٠٠/٢٦).

ثم أخبر عنهم بأنهم مع صلاتهم بالليل كانوا يستغفرون الله عند السحر ، فختموا صلاتهم بالاستغفار والتوبة فباتوا لربهم سجداً وقياماً؟ ثم تابوا إليه واستغفروه ، عقيب ذلك . وكان النبي ﷺ إذا سلم من صلاته استغفر ثلاثاً[١] . وأمرهالله سبحانه أن يختم عمره بالاستغفار[٢] ، وأمر عباده أن يختموا إفاضتهم من عرفات بالاستغفار[٣] ، وشرع ﷺ للمتوضئ أن يختم وضوءه بالتوبة[٤] ، فأحسن ما ختمت به الأعمال التوبة والاستغفار .

ثم أخبر سبحانه عن إحسانهم إلى الخلق مع اخلاصهم لربهم / ، فجمع لهم بين الإخلاص [١٠٤/ب] والإحسان ضد حال ﴿ **الَّذينَ هُمْ يُرَاؤُونَ ، وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ** ﴾[٥] . وأكد إخلاصهم في هذا الإحسان بأن يصرفه إلى السائل والمحروم الذي لا يقصد بعطائه الجزاء منه ، ولا الشكور والمحروم المتعفف الذي لا يسأل .

وتأمل حكمة الرب تعالى في كونه حرمه بقضائه ، وشرع لأصحاب الجدة إعطاءه ، وهو (سبحانه) أغنى الأغنياء ، وأجود الأجودين ، فلم يجمع عليه بين الحرمان بالقدر وبالشرع ، بل شرع عطاءه بأمره، وحرمه بقدره فلم يجمع عليه حرمانين .



---

(1) كما أخرج ذلك مسلم في (٥) كتاب المساجد ومواضع الصلاة (٢٦) باب استحباب الذكر بعد الصلاة وبيان صفته ، ح (٥٩١) من حديث ثوبان رضي الله عنه .

(2) كما في سورة النصر في قوله تعالى : ﴿ فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان تواباً ﴾ .

(3) كما في سورة البقرة في قوله تعالى : ﴿ فإذا أفضتم من عرفات . . ﴾ الآية .

(4) كما أخرج ذلك الترمذي في سننه من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم : من توضأ فأحسن الوضوء ثم قال : أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله " اللهم اجعلني من التوابين واجعلني من المتطهرين ، فتحت له ثمانية أبواب الجنة يدخل من أيها شاء " .

(5) سورة الماعون الآيتان (٦-٧) .

سنن الترمذي (١) أبواب الطهارة (٤١) باب فيما يقال بعد الوضوء ح (٥٥) ، وأخرجه كذلك البيهقي في السنن الكبرى في كتاب الطهارة باب ما يقال بعد الفراغ من الوضوء (١/٧٨) وغيرهما . والحديث قال عنه الترمذي : والحديث في إسناده اضطراب ، ولا يصح عن النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الباب كبير شيء . سنن الترمذي (١/٧٨-٨٣) وانظر تعليق الشيخ أحمد شاكر على الحديث . وقد صحح الألباني رحه اله تعالى هذا الحديث . انظر: صحيح سنن الترمذي (١/١٨)

فصل

{ آيات الله تعالى في الآفاق وفي الأنفس }

ثم ذكرهم سبحانه بآياته الأفقية والنفسية فقال تعالى : ﴿ وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ(٢٠)وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ(٢١) ﴾[١] .

فآيات الأرض أنواع كثيرة .

منها : خلقها ، وحدوثها بعد عدمها ، وشواهد الحدوث والافتقار إلى الصانع عليها لا تجحد ، فإنها شواهد قائمة بها .

ومنها : بروز هذا الجانب منها عن الماء مع كون مقتضى الطبيعة أن يكون مغموراً به .

ومنها : سعتها وكبر خلقها .

ومنها : تسطيحها كما قال تعالى : ﴿ وَالَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ(٢٠) ﴾[٢] ولا ينافي ذلك كونها كرة ، فهي كرة في الحقيقة لها سطح يستقر عليه الحيوان .

ومنها : أنه جعلها فراشاً لتكون مقراً للحيوان ومساكنه ، وجعلها قراراً ، وجعلها مهاداً ، وجعلها ذلولاً توطأ بالأقدام ، وتضرب بالمعاول والفؤوس ، وتحمل على ظهورها الأبنية الثقال فهي ذلول مسخرة لما يريد العبد منها ، وجعلها بساطاً ، وجعلها كفاتا للأحياء تضمهم على ظهرها ، وللأموات بضمهم في بطنها ، وطحاها فمدها وبسطها ووسعها ودحاها فهيأها لما يراد منها بأن أخرج منها ماءها ومرعاها ، وشق منها الأنهار ، وجعل فيها السبل والفجاج .

ونبه بجعلها مهاداً وفراشا على حكمة جعلها ساكنة ، وذلك آية أخرى إذ لا دعامة تحتها تمسكها ، ولا علاقة فوقها ، ولكنها لما كانت على وجه الماء كانت تتكفأ[٣]تكفأ / السفينة ، [١٠٥/أ] فاقتضت العناية الأزلية والحكمة الإلهية أن وضع عليا رواسي يثبتها بها لئلا تميد ، وليستقر عليها الأنام ، ودل جعلها ذلولا على الحكمة في أن لم تكن في غاية الصلابة والشدة كالحديد فيمتنع حفرها وشقها والبناء فيها والغرس والزرع ، ويصعب النوم عليها والمشي فيها .

---

(1) سورة الذاريات الآيتان (٢٠-٢١) .

(2) سورة الغاشية الآية (٢٠) .

(3) في غير الأصل و (ب٩ : تكفأ) .

ونبه بكونها قرا راً على الحكمة في أنها لم تخلق في غاية اللين والرخاوة والدماثة ، فلا تمسك بناء ولا يستقر عليها الحيوان ، ولا الأجسام الثقيلة بل جعلها بين الصلابة والدماثة .

وأشرف الجواهر عند الإنسان : الذهب والفضة والياقوت والزمرد فلو كانت الأرض من هذه الجواهر لفاتت مصالح العباد والحيوان منها ، وتعطلت المنافع المقصودة[١]، وبهـذا يعلـم أن جوهر التراب أشرف من هذه الجواهر وأنفع وأبرك ، وإن كانت تلك أغلى وأعز ، فعلاها وعزها لقلتها والا فالتراب أنفع منها وأبرك وأنفس : وكذلك لم يجعلها شفافة ، فإن الجسـم الشـفاف لايستقر عليه النور ، وما كان كذلك لم يقبل السخونة ، فيبقى في غاية البرد فلا يسـتقر عليـه الحيوان ولا يتأتى منه[٢] النبات وكذلك لم يجعلها صقيلة براقة لئلا يحترق ما عليها بسبب انعكاس اشعة الشمس ، كما يشاهد من احتراق القطن ونحوه عند انعكاس شعاع الجسم الصقيل الشفاف ، فاقتضت حكمته سبحانه أن جعلها كثيفة غبراء ، فصلحت أن يكون مستقراً للحيوان والأنام والنبات .

ولما كان الحيوان الهوائي لا يمكنه أن يعيش في الماء كالحيوان المائي أبرز له جانبـها كمـا تقدم ، وجعله على أوفق الهيئات لمصالحه ، وأنشأه منها[٣]وأنشأ منها طعامه وقوته ، وكذلك خلق منها النوع الإنساني وأعاده إليها ويخرجه منها .



---

[1] في (م) و (ق) والمطبوع : زيادة (منها) .

[2] في غير الأصل و (ب) : (فيه) .

[3] سقط من المطبوع .

فصل

ومن آياته[1]أن جعلها مختلفة الأجناس والصفات والمنافع مع أنها قطع متجاورات متلاصقة ، فهذه سهلة وهذه حزنه ، تجاورها وتلاصقها ، وهذه طيبة تنبت ويلاصقها أرض / لا تنبت [١٠٥/ب] وهذه تربة ويلاصقها رمال ، وهذه صلبة ويلاصقها ويليها رخوة ، وهذه سوداء ويليها أرض بيضاء ، وهذه حصاً كلها ويجاورها أرض لا يوجد فيها حجر ، وهذه تصلح لنبات كذا وكذا ، وهذه لا تصلح له بل تصلح لغيره ، وهذه سبخة مالحة ، وهذه بضدها ، وهذه ليس فيها جبل ولا معلم . ، وهذه مسجرة بالجبال ، وهذه لا تصلح إلا على المطر ، وهذه لا ينفعها المطر بل لا تصلح إلا على سقي الأنهار فيمطر الله سبحانه الأرض البعيدة ويسوق الماء إليها على وجه الأرض ، فلو سألتها من نوعها هذا التنوع ؟ ومن فرق بين أجزائها هذا التفريق ؟ ومن خصص كل قطعة منها بما خصها به ؟ ، ومن ألقى عليها رواسيها وفتح فيها السيل وأخرج منها الماء والمرعى ؟ ، ومن أمسكها عن الزوال ؟ ومن بارك فيها ، وقدر فيها أقواتها ، وأنشأ منها حيوانها ونباتها ؟ ، ومن وضع فيها معادنها وجواهرها ومنافعها ؟ ومن هيأها مسكناً ومستقراً للأنام ؟ ، ومن يبدئ فيها الخلق ثم يعيده إليها ثم يخرجه منها ؟

ومن جعلها ذلولاً غير مستصعبة ولا ممتنعة ؟ ، ومن وطأ مناكبها ، وذلل مسالكها ، ووسع فجاجها ، وسوى أنهارها ، وأنبت أشجارها ، وأخرج ثمارها ؟ ومن صدعها[2]عن النبات وأودع فيها جميع الأقوات ، ومن بسطها وفرشها ومهدها وذللها وطحاها ودحاها ، وجعل ما عليها زينة لها ؟

ومن الذي يمسكها أن تتحرك فتتزلزل فيسقط ما عليها من بناء ومعلم أو يخسفها بمن عليها فإذا هي تمور ؟

ومن الذي أنشأ منها النوع الإنساني الذي هو أبدع المخلوقات ، وأحسن المصنوعات ؟ ، بل أنشأ منها آدم ونوحاً وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمدا ﷺ [3] وأنشأ منها أولياءه وأحبابه وعباده الصالحين ؟ ومن جعلها حافظة لما استودع فيها من المياه والأرزاق والمعادن والحيوان ؟

---

(1) في (م) و (ق) والمطبوع : (ومن آياتها) .
(2) في الأصل و (ب) : تحرفت إلى (صعدها) .
(3) في غير الأصل و (ب) : (وعليهم أجمعين) .

ومن جعل بينها وبين الشمس والقمر هذا القدر من المسافة فلو زادت على ذلك لضعف تأثرها بحرارة الشمس ونور القمر ، فتعطلت المنفعة الواصلة إلى الحيوان والنبات بسبب ذلك ؟ / [١٠٦/أ] ولو زادت في القرب لا شتدت الحرارة والسخونة كما نشاهده في الصيف فاحترقت أبدان الحيوان والنبات ؟ وبالجملة فكانت تفوت هذه الحكمة التي بها انتظام العالم ؟ ومن الذي جعل فيها الجنات والحدائق والعيون ؟ ومن الذي جعل باطنها بيوتاً للاموات وظاهرها بيوتاً للأحياء ؟ ومن الذي يحييها بعد موتها فيترل عليها الماء من السماء ثم يرسل عليها الرياح وتطلع عليها الشمس ، فتأخذ في الحبل ، فإذ كان وقت الولادة تمخضت للوضع واهتزت وربت[١] وأنبتت من كل زوج بهيج ؟ .

فسبحان من جعل السماء كالاب والأرض كالأم ، والقطر كالماء الذي ينعقد منه الولد فإذا حصل الحب في الأرض ووقع عليه[٢] الماء أثرت نداوة الطين فيه وأعانتها السخونة المختفية في باطن الأرض فوصلت النداوة والحرارة إلى باطن الحبة ، فاتسعت الحبة وربت وانتفخت وانفلقت عن ساقين : (ساق)[٣] من نوقها وهو الشجرة ، وساق من تحتها وهو العرق ، ثم عظم ذلك الولد حتى لم يبق لأبيه نسبة إليه ، ثم وضع من الأولاد بعد أبيه آلافا مؤلفة ، كل ذلك صنع الرب الحكيم في حبة واحدة لعلها تبلغ في الصغر إلى الغاية ، وذلك من البركة التي وضعها الله سبحانه في هذه الأم فيالها من آية تكفي وحدها في الدلالة على وجود الخالق وصفات كماله وأفعاله وعلى صدق رسله فيما أخبروا به عنه من إخراج من في القبور ليوم البعث والنشور .

فتأمل اجتماع هذه العناصر الأربعة وتجاورها وامتزاجها ، وحاجة بعضها إلى بعض ، وانفعال بعضها عن بعض وتأثيره فيه ، وتأثره به ، بحيث لا يمكنه الامتناع من التأثر والانفعال ، ولا يستقل الآخر بالتأثير ولا يستغني عن صاحبه ، وفي ذلك أظهر دلالة على أنها مخلوقة مصنوعة مربوبة مدبرة حادثة بعد عدمها فقيرة إلى موجد غني عنها ، مؤثر غير متأثر ، قديم غير حادث ، تنقاد المخلوقات كلها لقدرته / وتجيب داعي مشيئته ، وتلبي داعي وحدانيته وربوبيته ، وتشهد [١٠٦/ب]

---

[١] سقط من غير الأصل و (ب) .

[٢] في (ق) والمطبوع : (عليها) .

[٣] سقط من الأصل .

بعلمه وحكمته ، وتدعو عباده إلى ذكره وشكره وطاعته وعبوديته ومحبته ، وتحذرهم من بأسه ونقمته ، وتحثهم على المبادرة إلى رضوانه وجنته .

فانظر الآن إلى الماء والأرض كيف لما أراد الرب تبارك وتعالى امتزاجهما وازدواجهما أنشأ الرياح فحركت الماء وساقته إلى أن قذفته في عمق الأرض ، ثم أنشأ لها حرارة لطيفة سماوية حصل بها الإنبات ، ثم أنشأ لها حرارة أخرى أقوى منها حصل بها الإنضاج ، وكانت حالته الأولى تضعف عن الحرارة الثانية ، فادخرت إلى وقت قوته وصلابته ، فحرارة الربيع للإخراج وحرارة الصيف للإنضاج .

هذا وإن الأم واحدة والأب واحد ، واللقاح واحد ، والأولاد في غاية التباين والتنوع كما قال تعالى : ﴿ **وَفِي الْأَرْضِ قِطَعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ(٤)** ﴾[1] . فهذا بعض آيات الأرض .

ومن الآيات التي فيها وقائعه سبحانه التي أوقعها بالأمم المكذبين لرسله المخالفين لأمره، وأبقى آثارهم دالة عليهم كما قال تعالى : ﴿ **وَعَادًا وَثَمُودَ وَقَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ مِنْ مَسَاكِنِهِمْ** ﴾[2] وقال تعالى في قوم لوط ﴿ **وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِمْ مُصْبِحِينَ(١٣٧)وَبِاللَّيْلِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ(١٣٨)** ﴾[3] : ﴿ **فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ(٧٣)فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ(٧٤)إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْمُتَوَسِّمِينَ(٧٥)وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُقِيمٍ(٧٦)** ﴾[4] . أي : بطريق ثابت لا يزول عن حاله . ﴿ **إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ(٧٧)** ﴾[5] .

وقال (تعالى) : ﴿ **وَإِنْ كَانَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ لَظَالِمِينَ(٧٨)فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُبِينٍ(٧٩)** ﴾[6] أي ديار هاتين الأمتين لبطريق واضح يمر به السالكون .

---

(1) سورة الرعد الآية (٤).

(2) سورة العنكبوت الآية (٣٨) .

(3) سورة الصافات الآيتان (١٣٧-١٣٨) .

(4) سورة الحجر الآيات (٧٣-٧٦) .

(5) سورة الحجر الآية (٧٧) .

(6) سورة الحجر الآيتان (٧٨-٧٩) .

وقال تعالى : ﴿ وَسَكَنتُمْ فِي مَسَاكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ الْأَمْثَالَ(٤٥) ﴾[1] .

وقال عن قوم عاد : ﴿ فَأَصْبَحُوا لَا يُرَى إِلَّا مَسَاكِنُهُمْ ﴾[2] .

وقال (تعالى) : ﴿ أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ ﴾[3] فأي دلالة أعظم / وأظهر من دلالة رجل يخرج وحده لا عدة له ولا عدد ولا [١٠٧/أ] مال فيدعو الأمة العظيمة إلى توحيد الله (تعالى) والإيمان به وطاعته ويحذرهم من بأسه ونقمته ، فتتفق كلمتهم ، وأكثرهم[4] على تكذيبه ومعاداته فتدركهم[5] أنواع العقوبات الخارجة عن قدرة البشر فيغرق المكذبين كلهم تارة ، ويخسف بغيرهم الأرض كلهم تارة ، ويهلك آخرين بالريح ، وآخرين بالصيحة وآخرين بالمسخ وآخرين بالحجارة ، وأخرين بظلة من النار من فوقهم ، وآخرين بالصواعق ، وآخرين بأنواع أخرى[6] من العقوبات ، وينجوا داعيهم ومن معه ، والهالكون أضعافهم[7] عدداً وقوة ومنعة وأموالاً

فيالك من آيات حق لو اهتدى ... بهن مريد الحق كن هواديا
ولكن على تلك القلوب أكنة ... فليست وإن أصغت تجيب المناديا

فهلا امتنعوا أن كانوا على الحق وهم أكثر عدداً واقوى شوكة بقوتهم وعددهم من بأس الله[8] وسلطانه ، وهلا اعتصموا من عقوبته كما اعتصم من هو أضعف منهم من أتباع الرسل ؟

ومن الآيات التي في الأرض ما يحدثه فيها كل وقت مما يصدق رسله فيما أخبرت[9] به ، فلا تزال آيات الرسل ، وأعلام صدقهم وأدلة نبوتهم يحدثها الله سبحانه وتعالى في الأرض إقامة

---

(1) سورة إبراهيم الآية (٤٥) . ووقف في المطبوع على قوله : (كيف فعلنا بهم) .

(2) سورة الأحقاف الآية (٢٥) .

(3) سورة السجدة الآية (٢٦) .

(4) في غير الأصل : (أو أكثرهم) .

(5) في المطبوع : (فيذكرهم) .

(6) سقط من المطبوع .

(7) في (ب) و (م) و (ق) : (أضعاف أضعافهم) ، وفي المطبوع : (أضعاف أضعاف أضعافهم) .

(8) في غير الأصل و (ب) : (من بأسه وسلطانه) .

(9) في الأصل : (أخبر) وفي غيره : (أخبرت) ولعله الصواب .

للحجة على من لم يشاهد تلك الآيات التي قاربت عصر الرسول حتى كــان أهــل كــل قــرن يشاهدون ما يشاهده الاولون أو لنظيره[١] كما قال : تعالى : ﴿ **سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ** ﴾[٢] وهذه الإرادة لا تختص بقرن دون قرن ، بل لا بد ما يرى الله سبحانه أهل كل قرن من الآيات ما يبين لهم أنه الله الذي لا إله إلا هو ، وأن رسله صادقون ، وآيات الأرض أعظم مما ذكر وأكثر ، فذبه[٣] باليسير منها على الكثير .



---

(1) في (ق) والمطبوع : (نظره) .

(2) سورة فصلت الآية (٥٣) .

(3) في (ق) والمطبوع : (فتنبه) .

فصل
[الكلام على قوله تعالى :﴿ وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾]

ثم قال (تعالى) : ﴿ وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ(٢١) ﴾[1] لما كان أقرب الأشياء إلى الإنسان نفسه ، دعاه خالقه وبارئه ومصوره وفاطره من قطرة ماء إلى التبصر والتفكر في نفسه . فإذا تفكر الإنسان / في نفسه استنارت له[2]آيات الربوبية وسطعت له أنوار اليقين ، واضمحلت [١٠٧/ب] عنه غمرات الشك والريب ، وانقشعت عنه ظلمات الجهل ، فإنه إذا نظر إلى[3]نفسه وجد آثار التدبير فيه قائمة[4]، وأدلة التوحيد على ربه ناطقة[5]، شاهدة لمدبره ، داله عليه ، مرشدة إليه ، إذ تجده مكوناً من قطرة ماء ، لحوماً منضده ، وعظاماً مركبة ، وأوصالا متعددة مأسورة مشدودة بحبال العروق والأعصاب قد قمطت وشدت وجمعت بجلد متين مشتمل على ثلاثمائة وستين مفصلاً . ما بين كبير وصغير ، وثخين ودقيق ، ومستطيل ومستدير ومستقيم ومنحن[6]وشدت هذه الأوصال بثلاثمائة وستين عرقا للاتصال والانفصال ، والقبض والبسط ، والمد والضم ، والصنائع والكتابة .

وجعل فيه تسعة أبواب : فبابان للسمع ، وبابان للبصر ، وبابان للشم ، وباب للكلام ، وذاك للطعام والشراب والنفس[7]، وبابان لخروج الفضلات التي يؤذى احتباسها .

وجعل داخل بابي السمع مراً قاتلاً ، لئلا تلج فيها[8]دابة تخلص إلى الدماغ فتؤذيه ، وجعل داخل بابي البصر مالحاً ، لئلا تذيب الحرارة الدائمة ما هناك من الشحم وجعل داخل باب الطعام والشراب حلواً ليسيغ به ما يأكله ويشربه فلا يتنغص به لو كان مراً أو مالحاً .

---

(1) سورة الذاريات الآية (٢١) .

(2) سقط من (م) والمطبوع .

(3) في (ق) والمطبوع : (في) .

(4) في المطبوع : (قائمات) .

(5) في المطبوع : (ناطقات) .

(6) إلى هنا تقف النسخة (ب) ولم تذكر الكلام الباقي على الآية بمقدار خمسين لوحة تقريباً .

(7) في (م) و (ق) : (التنفس) .

(8) في (م) و (ق) : (لئلا يلج فيهما) .

وجعل له مصباحين من نور كالسراجين المضيئين مركبين من أعلى مكان منه ، وفي أشرف عضو من أعضائه طليعة له ، وركب هذا النور في جزء صغير جداً يبصر به السماء والأرض وما بينهما ، وغشاه بسبع طبقات وثلاث رطوبات . بعضها فوق بعض كله حماية له وصيانة وحراسة

وجعل على محله غلقاً بمصراعين أعلى وأسفل ، وركب في ذينك المصراعين أهداباً من الشعر وقاية للعينين وزينة وجمالاً ، وجعل فوق ذلك كله حاجبين من الشعر يحجبان العين من العرق النازل من فوق ، ويلتقيان عنها ما ينصب من هناك .

وجعل سبحانه لكل طبقة من طبقات العين شغلاً مخصوصاً / ولكل واحد من الرطوبات [١٠٨/أ] مقداراً مخصوصاً لو زاد على ذلك أو نقص منه لاختلت المنافع والمصالح المطلوبة .

وجعل هذا النور الباصر في قدر عدسة ، ثم أظهر في تلك العدسة صورة السماء والأرض والشمس والقمر ، والنجوم والجبال ، والعالم العلوي والسفلي مع اتساع أطرافه ، وتباعد أقطاره

واقتضت حكمته سبحانه أن جعل فيها بياضاً وسواداً ، وجعل القوة الباصرة في السواد ، وجعل البياض مستقراً لها ومسكناً ، وزين كلا منهما بالآخر ، وجعل الحدقة مصونة بالأجفان والحواجب كما تقدم ، والحواج بالأهداب ، وجعلها سوداء إذ لو كانت بيضاء لتفرق النور الباصر فضعف الإدراك فإن السواد يجمع البصر ، ويمنع من تفرق النور الباصر ، وخلق سبحانه لتحريك الحدقة وتقليبها أربعا وعشرين عضلة لو نقصت عضلة واحدة لاختل أمر العين .

ولما كانت العين كالمرآة التي إنما تنطبع فيها الصور إذا كانت في غاية الصقالة والصفاء ، جعل سبحانه هذه الأجفان متحركة جداً بالطبع إلى الانطباق من غير تكلف لتبقى هذه المرآة نقية صافية من جميع الكدرات[1]، ولهذا لما لم يخلق لعين الذبابة أجفاناً لاتزال تراها تنظف عنها بيدها . من آثار الغبار والكدرات .



[1] في (م) و (ق) والمطبوع : (الكدورات) .

فصل

{ العينان }

وكما جعل سبحانه العينين مؤديتين للقلب ما تريانه ، فتوصلانه إليه كما رأتاه ، جعلهما مرآتين للقلب ، يظهر فيهما ما هو مودع فيه من الحب والبغض ، والخير والشر ، والبلادة والفطنة ، والزيغ والاستقامة ، فيستدل بأحوال العين على أحوال القلب ، وهو أحد أنواع الفراسة الثلاثة وهي : فراسة العين ، وفراسة الأذن ، وفراسة القلب ، فالعين مرآة للقلب وطليعة ورسول .

ومن عجيب أمرها أنها من ألطف الأعضاء وأبعدها تأثراً بالحر والبرد على أن الذهن على صلابتها وغلظتها ليتأثر بهما أكثر من تأثر العين على لطافتها ، وليس ذلك بسبب الغطاء الـــذي / [١٠٨/ب] عليها من الأجفان فإنها ولو كانت منفتحة لم تتأثر بذلك تأثر الأعضاء الكثيفة[١].



---

[1] في المطبوع : (اللطيفة) .

فصل

{ الأذنان }

ومن ذلك الأذنان شقهما تبارك وتعالى في جانبي الوجه وأودعهما من الرطوبة ما يكون معينا على إدراك السمع ، واودعها القوة السامعة ، (وأحاط على هذه القوة صدفة مستديرة مجوفة تحتوش الصوت وتجمعه .وتؤديه إلى الصماغ ، فتؤديه إلى القوة السامعة)[١].

وجعل سبحانه في هذه الصدفة انحرافات واعوجاجات لتطول المسافة قليلاً فلا يصل الهواء (إلى داخل الأذن) إلا بعد انكسار حدته فلا يصدمها وهلة واحدة فيؤذيها ، وأيضا فلئلا يفجأها الداخل إليها من الدبيب والحشرات ، بل إذا دخل إلى عوجة من تلك الانعطافات وقف هناك فسهل إخراجه ، (وأيضا فيمسك ما يصل إليها من الغبار والوسخ فينحجب هناك عن الوصول فيسهل إخراجه)[٢].

وكانت العينان في وسط الوجه ، والأذنان في جانبيه ، لأن العينين محل الملاحة والزينة والجمال ، وهما بمترلة النور الذي يمشي به بين يدي الإنسان ، وأيضاً[٣] فكان جعلهما في الجانبين لكون إدراكهما لما خلف الإنسان وأمامه وعن يمينه وعن شماله سواء فتأتي المسموعات إليها نسبة واحدة .

وخلقت العينان بغطاء ، والأذنان بغير غطاء ، وهذا في غاية الحكمة .

---

(1) ما بين القوسين سقط من المطبوع .

(2) ما بين القوسين سقط من المطبوع .

(3) في المطبوع : (وأما الأذنان) بدل (وأيضاً) .

إذ لو كان للأذنين غطاء لمنع الغطاء إدراك الصوت ، فلا يحصل إلا بعد ارتفاع الغطـــاء ، والصوت عرض لاثبات له ، فكان يزول قبل كشف الغطاء بخلاف ماتراه العـــين فإنـــه أجســـام واعراض ثابتة فلا[1]تزول فيما بين كشف الغطاء وفتح العين .

وجعل سبحانه الأذن عضواً غضروفياً ليس بلحم مسترخ ولا عظم صلب بل هي بـــين الصلابة واللين ، فتقبل بلينها ، وتحفظ بصلابتها ، ولا تنصدع انصداع العظام ، ولا تتأثر بـــالحر والبرد والشمس والسموم تأثر اللحم ، إذا المصلحة في بروزها دائماً[2]لتتلقى ما يرد عليهـــا مـــن الأصوات والأخبار .



---

(1) في غير الأصل : (لا) .

(2) سقط من المطبوع .

[١٠٩/أ]

فصل /

{الأنف}

ومن ذلك الأنف : نصبه (الله)[١] سبحانه في وسط الوجه قائماً معتدلاً في أحسن شكل ، وأوقفه للمنفعة ، وأودعه حاسة الشم التي يدرك بها الأرائح[٢] وأنواعها وكيفياتها ، ومنافعها ومضارها ، ويستدل بها على مضار الاغذية والادوية ومنافعها .

وأيضا فإنه يستنشق بالمنخرين الهواء البارد الرطب ، فيؤديه إلى القلب ، فيتروح به ، فيستغني بذلك عن فتح الفم أبداً ، وجعل تجويفه بقدر الحاجة فلم يوسعه عن ذلك ، فيدخله هواء كثير و لم يضيقه فلا يدخله من الهواء ما يكفيه[٣].

وجعل ذلك التجويف مستطيلاً لينحصر فيه الهواء ، وينكسر فيه برده وحدته قبل أن يصل إلى الدماغ ، فلولا ذلك لصدمه بحدته وقوته .

والهواء الذي يستنشقه الأنف ينقسم شطرين :

شطر يصعد إلى الدماغ ، وشطر يترل إلى الرئة ، (وهو أكثر)[٤] من آلات النطق فإن له اعانة على تقطيع الحروف .

وكما أن تجويفه جعل لاستنشاق الهواء فإنه جعل مصبا لفضلات الدماغ ، ينحدر منه في تلك القصبة فيخرج فيستريح الدماغ ، ولذلك جعل[٥] ستراً و لم يجعلها بارزة فتستقبحها العيون .

---

[1] سقط من غير الأصل .
[2] في المطبوع : (الروائح) .
[3] في (ق) : (ما لا يكفيه) .
[4] سقط من المطبوع .
[5] في غير الأصل : زيادة (عليها) بعد (جعل) .

وجعل فيه تجويفان ، فإنه قد ينسد أحدهما أو تعرض له آفة تمنعه من الإدراك والاستنشاق فيبقى التجويف الثاني نائباً عنه يعمل عمله ، كما اقتضت الحكمة مثل ذلك في العينين والأذنين .

ثم تأمل الهواء الذي يستنشقه الأنف كيف يدخل أولا من المنخرين ، وينكسر برده هناك ، ثم يصل إلى الحلق ، فيعتدل مزاجه هناك ثم يصل إلى الرئة ألطف ما يكون ، ثم ينفذ من الرئة إلى القلب ، فيروح عن الحرارة الغريزية التي فيه ، ثم ينفذ من القلب إلى العروق المتحركة ، ويبلغ إلى أقاصي أطراف البدن ، ثم إذا سخن في الباطن ، وخرج عند حد الانتفاع به[١] عاد[٢] من تلك الأقاصي إلى البدن ، ثم إلى الرئة ، ثم إلى الحلقوم ثم إلى المنخرين خارجاً فيخرج منهما ويعود عوضه / هواءاً بارداً نافعاً ، والنفس الواحد من أنفاس العبد ، إنما يتم بمجموع هذه الأمور [١٠٩/ب] والقوى والأفعال ، وهو في اليوم والليلة أربعة وعشرون ألف نفس ، لله في كل نفس عدة نعم قد وقف[٣] على القليل منها ، فما ظنك بما وراء النفس[٤] من الأعضاء والقوى ومنافعها وتمام النعمة بها .



(1) (به) سقط من المطبوع .
(2) في المطبوع : (خرج) بدل (عاد) .
(3) في المطبوع : (وقفت) .
(4) في غير الأصل : (التنفس) .

فصل
{ الفم }

وأما الفم فمحل العجائب ، وباب الطعام والشراب والنفس والكلام ، ومسكن اللسان الناطق الذي [هو][1] آلة العلوم ، وترجمان القلب ورسوله المؤدي عنه .

ولما كان القلب ملك البدن ، ومعدناً للحرارة الغريزية ، فإذا دخل الهواء البارد ووصل[2] إليه ، فاعتدلت حرارته ، وبقي هناك ساعة فسخن واحترقت[3]، فاحتاج القلب إلى دفعه وإخراجه ، فجعل أحكم الحاكمين إخراجه سببا لحدوث الصوت ، (ثم فعل)[4] في الحنجرة والحنك واللسان ، والشفتين والأسنان مقاطيع[5] ومخارج مختلفة بسبب اختلافها تميزت الحروف بعضها عن بعض ، ثم ألهم العبد تركيب تلك الحروف ليؤدي بها عن القلب ما يأمر به .

فتأمل (هذه)[6] الحكمة الباهرة . حيث لم يضع سبحانه ذلك النفس المستغنى المحتاج إلى دفعه وإخراجه ، بل جعل فيه إذا استغنى عنه منفعه ومصلحة هي من أكمل المنافع والمصالح ، فإن المقصود الأصلي من النفس هو اتصال النسيم[7] البارد إلى القلب ، فأما إخراج النفس فهو جار مجرى دفع الفضلة ، الفاسدة ، فصرف ذلك سبحانه إلى رعاية تصلحة[8] ومنفعة أخرى ، فجعله سبباً للأصوات والحروف والكلام .

---

(1) سقط من الأصل .

(2) في غير الأصل : (وصل) .

(3) هكذا في الأصل وفي غيره (واحترق) .

(4) سقط من المطبوع .

(5) في غير الأصل : (مقاطع) .

(6) سقط من المطبوع .

(7) في (م) و (ق) : (الشم) ، وفي المطبوع : (الريح) .

(8) في المطبوع : (مصلحة) .

ثم إنه سبحانه جعل الحناجر مختلفة الأشكال في الضيق والسعة والخشونة والملاسة ، لتختلف الأصوات باختلافها فلا يتشابه صوتان كما لاتتشابه صورتان ، وهذا من أظهر الأدلة فإن هذا الاختلاف الذي بين الصور والأصوات على كثرتها وتعددها فقل[1] يشتبه صوتان أو صورتان ليس في الطبيعة (ما)[2] يقتضيه وإنما هو صنع الله الذي أتقن كل شئ ، وأحسن كل شئ خلقه [١١٠/أ] فتبارك الله رب العالمين وأحسن الخالقين / فميز — سبحانه — بين الأشخاص بما يدركه السمع والبصر .



---

(1) في (م) والمطبوع : (فقلما) .

(2) ما بين المعقوفتين سقط من الأصل

فصل
{ اللسان }

وأودع اللسان من المنافع منفعة الكلام وهي أعظمها ، ومنفعة الذوق والإدراك ، وجعله دليلاً على اعتدال مزاج القلب وانحرافه كما جعله دليلاً على استقامته واعوجاجه ، فترى الطبيب يستدل بما يبدو للبصر على اللسان من الخشونه والملاسة ، والبياض والحمرة ، والتشقق وغيره على حال القلب والمزاج .

وهو دليل قوي على أحوال المعدة والأمعاء ، كما يستدل السامع بما يبدو عليه من الكلام على ما في القلب فتبدوا عليه صحة [القلب][1] وفساده معنى وصورة .



---

(1) ما بين المعقوفتين سقط من الأصل .

فصل

{ سر جعل اللسان عضوا لحميا }

وجعل سبحانه اللسان عضواً لحمياً لا عظم فيه ولا عصب لتسهل حركته ، ولهذا لا تجد في الأعضاء من لا يكترث بكثرة الحركة سواه ، فأي[1] عضو من الأعضاء حركته كما تحرك اللسان لم يطعك لذلك[2]. ولم يلبث أن يكل ويخلد إلى السكون إلا اللسان .

وأيضا : فإنه من أعدل الأعضاء وألطفها ، وهو بمنزلة رسول الملك ونائبه ، فمزاجه من أعدل أمزجة البدن ، ويحتاج إلى قبض وبسط ، وحركته[3] في أقاصي الفم وجوانبه فلو كان فيه عظم[4] لم يتهيأ منه ذلك ، ولم يتيهأ منه الكلام التام ولا الذوق التام ، فكونه لحماً اقتضاه السبب الفاعلي والغائي ، والله أعلم .



---

[1] في (م) و (ق) : (فإنه أي) ، وفي المطبوع : (فإن أي) .

[2] في المطبوع : (لم يطق ذلك) .

[3] في غير الأصل : (وحركه) .

[4] في غير الأصل : (عظام) .

فصل

{ فائدة وضع اللسان بين طبقين }

وجعل سبحانه على اللسان غلقين :

أحدهما : الأسنان ، والثاني : الفم . وجعل حركته اختيارية وجعل على العين غطاء واحداً ،ولم يجعل على الأذن غطاء ، وذلك لخطر اللسان وشرفه ، وخطر حركاته ، وكونه في الفم بمنزلة القلب في الصدر .

وفي ذلك من اللطائف : أن آفة الكلام أكثر من آفة النظر ، وآفة النظر أكثر من آفة السمع ، فجعل للأكثر آفات طبقتين ، وللمتوسط طبقاً ، وجعل الأقل آفة بلا طبق .



فصل

{ سر جعل الفم أكثر الأعضاء رطوبة }

وجعل سبحانه الفم أكثر الأعضاء رطوبة ، والريق[1]يتخلل إليه دائما لا يفارقه / وجعل [١١٠/ب] حلواً لا مالحاً كما العين ولا مراً كالذي في الأذن ولا عفنا كالذي في الأنف بل هو أعذب مياه البدن وأحلاها .

حكمة بالغة . فإن الطعام والشراب يخالطه . بل هو الذي يحيل الطعام ويمتزج به امتزاج العجين بالماء ، فلولا أنه حلو لما التذ الإنسان بل ولا الحيوان بطعام ولا شراب ، ولا ساغه إلا على كره وتنغيص .

ولما كان كثير من الطعام لا يمكن جبله[2]إلا بعد طحنه[3]، جعل الرب تعالى له آلة للتقطيع والتفصيل ، وآلة للطحن ، فجعل آلة القطع وهي الثنايا ، وما يليها حادة الرؤوس [يسهل بها القطع ، وجعل النواجذ وما يليها من الأضراس مسطحة الرؤوس][4]عريضة ليتأتي بها الطحن ، ونظمها أحسن نظام[5]كاللؤلؤ المنظوم في سلك ، وجعلها من الجانب الأعلى والأسفل ليتأتى بها القطع والطحن .

وجعلها من الجانب الأيمن والأيسر إذ ربما كلت إحدى الآلتين أو تعطلت أو عرض لها عارض فينتقل إلى الآلة الاخرى ، وأيضا لو كان العمل على جانب واحد دائماً لأوشك أن يتعطل أو[6]يضعف .

---

(1) في الأصل : (الرقيق) .
(2) في المطبوع : (تحوله) .
(3) في غير الأصل : (طبخه) .
(4) سقط من الأصل .
(5) في (م) و (ق) : (نظامه) .
(6) في غير الأصل : (ويضعف) .

وتأمل كيف أنبتها سبحانه من نفس اللحم ، وتخرج من خلاله نابته كما ينبت الزرع في الأرض ، ولم يكسها سبحانه لحما (كما كسى)[1] سائر العظام سواها إذ لو كساها اللحم لتعطلت المنفعة المقصودة بها ، ولما كانت العظام محتاجة إلى لحم يكسوها ويحفظها ، ويلتقي[2] عنها الحر والبرد ويحفظ عليها رطوبتها ، ولم[3] تكمل مصلحة الحيوان إلا بهذه الكسوة ، ولما كانت عظام الأسنان[4] محتاجة[5] إلى ذلك من وجه مستغنية عنه من وجه جعل[6] كسوتها منفصلة عنها ، وجعلت هي المكتسبة والعارية لتمام المنفعة بذلك .

ولما كانت آلة القطع والكسر والطحن [لم][7] تنشأ مع الطفل من أول نشأة[8] كسائر عظامه لعدم حاجته[9] إليها فهو معطل[10] عنها وقت استغنائه عنها بالرضاع ، وأعطيها وقت الحاجة[11] إليها ، وفيه حكمة أخرى وهي أنه لو نشأت معه من حين يولد لأضر ذلك[12] بحلمة الثدي ، إذ لا عقل له يحجره[13] عن عضها ، فكانت الأم تمتنع من رضاعه / . [١١١/أ]

ومن عجيب أمرها الاتفاق والموالاة التي بينها وبين المعدة ، فإنه يسلم لها الشئ اليابس والصلب فتطحنه ثم تسلمه إلى اللسان فيعجنه ، ثم يسلمه[14] إلى الحلق فيوصله إلى المعدة فتنضجه

---

(1) سقط من المطبوع .
(2) في المطبوع : (ويتلقى) .
(3) في غير الأصل : (لم) .
(4) في المطبوع : (الإنسان) .
(5) سقط من (م) و (ق) .
(6) في غير الأصل : (جعلت) .
(7) سقط من الأصل .
(8) في المطبوع : (نشأته) .
(9) في المطبوع : (الحاجة).
(10) في (م) و (ق) : (فعطل ، وفي المطبوع : (عطل) .
(11) في (ق) و (ط) : (حاجته) .
(12) في غير الأصل : (لأضرت بحلمة) .
(13) في غير الأصل : (يحرزه) .
(14) في المطبوع : زيادة (اللسان) .

وتطبخه ثم يرسل إليها منه معلومها المقدر لها فإذا عجزت عن قطع شئ ، وطحنه عجزت المعـــدة عن إنضاجه وطبخه وإذا كلت[1] كلت المعدة ، وإذا ضعفت ضعفت .

وهي تصحب الإنسان وتخدمه ما لم يرها ، فإذا وقعت عينه عليها فارقته فرقة الأبد ، وهي سلاح ومنشار وسكين ورحى[2] وزينة وفيها منافع ومصالح غير هذه .



(1) في المطبوع : زيادة (الأسنان) .

(2) رسمت في الأصل (رحا) وفي (م) (وروحاً) وبياض في (ق) وفي المطبوع : (وروح) .

فصل
{ أسرار خلق الشعر }

ثم تأمل حال الشعر ومنبته وسببه وغايته .

فإن البدن لما كان حاراً رطباً ، والحرارة إذا عملت في الرطوبة فلا بد أن تثير بخاراً ، وتلك الأبخرة تتصاعد من عمق البدن إلى سطحه . فتزيد[١] الانفصال من هناك ، فلا بد أن تحدث مساماً ومنافذ في ظاهر الجلد .

وتلك الأبخرة إما أن تكون رطبة لطيفة فحينئذ تنفصل في المسام ، ولا تحدث شيئاً ، وإما أن تكون دخانية يابسة غليظة والجلد[٢] حينئذ إما أن يكون في نهاية النعومة والنضارة كجلد الصبيان ، أو في غاية اليبس والقشف أو يكون معتدلاً ، فإذ ذاك لا يتولد فيه الشعر ، لأن البخار إذا شق سطح الجلد وانفصل ، عاد الجلد في الحال إلى اتصاله الأول بسبب كثرة رطوبته ونعومته .

مثاله : السمك إذا رفع رأسه من الماء انشق له الماء ، فإذا عاد إلى الماء عاد الماء إلى اتصاله الأول وكذلك نشاهد الأشياء الرطبة كالنشاء مثلا إذا أغلي فخرج البخار من موضع الغليان عادت الرطوبة إلى الموضع الذي خرج منه ذلك البخار فسدته ، فإن كان الجلد في غاية اليبس لم يتولد الشعر (منه)[٣] لأن الجلد اليابس إذا تثقب[٤] بقيت تلك الثقب مفتوحة ليبس الجلد فتفرق أجزاء البخار ولا يجتمع بعضه إلى بعض ، وإن كان الجلد متوسطاً بين النعومة والكثافة ، فإنه تنفتح فيه المسام بسبب تلك الأبخرة ولا تعود تنسد بعد خروج / البخار ولكن لا تبقى المسام [١١١/ب] شديدة الانفتاح فحينئذ يبقى ذلك البخار الدخاني في تلك الثقوب[٥] ثم لايزال مدة (إلى أن ينشأ)

---

(1) في المطبوع : (وتريد) ، وفي (م) و (ق) (ويتزيد) .
(2) في غير الأصل : (فالجلد) .
(3) سقط من غير الأصل .
(4) في غير الأصل : (انثقبت) .
(5) في غير الأصل : (الثقبة) .

[1]بخار آخر يدفعه أولا فأولاً إلى خارج ، من غير أن يتقلع[2]أصله فيبقى بعضه مركوزاً في الجلد منزلته منزلة أصل النبات .

وبعضه يظهر إلى خارج منزلته منزلة ساق النبات ، وذلك هو الشعر .

فمادة الشعر هو البخار الدخاني الحار[3]اليابس وسببه هو الحرارة الطبيعية المحرقة لذلك البخار ، والآلة التي تم بها يتم أمره هي المسام التي ارتكب[4]فيها البخار فتلبد هناك فصار شعراً بإذن الله تعالى والغاية التي لأجلها[5]وجد لها[6]شيئان :

أحدهما : عام وهو تنقية البدن من الفضول الدخانية الغليظة

والآخر : خاص وهو : إما للزينة وإما للوقاية ، وإذا بان أن الشعر إنما يتولد مع الحرارة واليبس المعتدل بقيت ثلاثة أقسام :

أحدها : حرارة عالية على اليبس كالصبيان .

والثاني : عكسه ، وهو يبس غلب على الحرارة كالمشائخ

الثالث : حرارة ضعيفة ويبس ضعيف كأبدان النساء

ففي هذه الاقسام يقل الشعر .

وأما الشباب فإن حرارة أبدانهم ويبسها معتدل فيقوى تولد الشعر فيها .

وفي شعر الرأس منافع ومصالح منها :

وقايته عن الحر والبرد والمرض

ومنها الزينة والحسن

---

(1) سقط من غير الأصل .

(2) في غير الأصل : (ينقطع) .

(3) سقط من المطبوع .

(4) في المطبوع : (ارتكن) .

(5) في المطبوع : (من أجلها) .

(6) (لها) سقطت من غير الأصل .

والسبب الذي صار به شعر الرأس أكثر من شعر البدن[١] أن البخار شأنه أن يصعد من جميع البدن إلى الدماغ ، ومن الدماغ إلى فوق ، فلذلك[٢] كان هذا الشعر نامياً كثيراً[٣] على الدوام لأن البخار يتصاعد إلى الرأس أبداً وهو مادة للشعر فبنماء الشعر ينمو البخار وكان فيه تخليص للبدن من تلك المواد وتكثر لوقايته وغطائه .



(1) في المطبوع : زيادة (هو) بعد (البدن) .
(2) في غير الأصل : (فكان) .
(3) سقط من غير الأصل .

فصل
{ شعر الحاجبين }

وأما شعر الحاجبين ففيه مع الحسن والزينة والجمال وقاية العينين(١)، فما ينحدر من الرأس وجعل على هذا المقدار فلو نقص(٢)تقص عنه لزالت منفعة الجمال والوقاية ولو زاد عليه لغطى العين وأضر بها ، وحال بينها وبين ما تدركه .

وقد ذكرنا منفعة شعر البدن(٣)/ ولما كان الأصلح والأنفع(٤)أن يكون شعر الهدب قائماً منتصباً وان يكون باقياً على حال واحد في مقدار واحد جعل(٥)منبت هذا الشعر في جرم صلب شبيه بالغضروف يمتد في طول الجفن لئلا يطول وينمو ، وهذا كما يشاهد النبات الذي ينبت في الأرض الرخوة اللينة كيف يطول(٦)ويزداد ، والذي ينبت في الأرض الصخرية الصلبة لا ينمو إلا نمواً يسيراً ، وكذلك(٧)الشعر النابت في الأعضاء اللينة الرطبة فإنه سريع النمو كشعر الرأس والعانة . [١١٢/أ]



(1) في غير الأصل : (العين) .
(2) في المطبوع : (لأنه لو نقص) .
(3) في غير الأصل : (الهدب) ولعله هو الصحيح .
(4) في غير الأصل : (ولما كان الأنفع والأصلح) .
(5) في (ق) : (جعلت) .
(6) في المطبوع : (فإنه يطول . .) .
(7) في غير الأصل : (فكذلك) .

﴿ فصل ﴾
{ شعر اللحية }

وأما شعر اللحية ففيه منافع منها : الزينة والجمال[1] والوقار والهيبة ، ولهذا لا يرى على الصبيان والنساء (والسناط)[2] من الهيبة والوقار ما يرى على ذوي اللحى ، ومنها : التمييز بين الرجال والنساء فإن قيل : لو كان شعر اللحية زينة لكان النساء أولى به من الرجال لحاجتهن إلى الزينة ، وكان التمييز يحصل بخلو الرجال منه ، ولكان أهل الجنة أولى به وقد ثبت أنهم جرد مرد .

قيل : الجواب أن النساء لما كن محل الاستمتاع والتقبيل كان الأحسن والاولى خلوهن عن اللحى ، فإن محل الاستمتاع إذا خلي عن الشعر كان أتم ، ولهذا المعنى والله أعلم كان أهل الجنة مردا ، ليكمل استمتاعهن[3] بهم ، كما يكمل استمتاعهم بهن .

وأيضا فإنه أكشف لمحاسن الوجوه ، فإن الشعر يستر ما تحته (من المحاسن ، فصان الله محاسن وجوههم عما يسترها .

وأيضا ليكمل استمتاعهم بنسائهم فإن الشعر يمنع ما تحته من)[4] البشره أن يمس بشرة المرأة والله أعلم بحكمته في خلقه .



---

(1) سقط من غير الأصل .

(2) هكذا في الأصل و (ق) ، وفي (م) (الشناط) وليس في المطبوع .

(3) في (م) : ٠ استمتاعهم بنسائهم بهم) ، وفي (ق) والمطبوع : (استمتاع نسائهم بهم) .

(4) سقط من المطبوع .

فصل

{ الحكمة من خلق شعر العانة والإبط والأنف }

وأما شعر العانة والإبط والأنف فمنفعته تنقية البدن عن[١] الفضلة ، ولهذا إذا أزيل من هذه المواضع وجد البدن خفة ونشاطاً وإذا وفر وترك وجد البدن ثقلاً وكسلاً وغماً ولهذا جاءت الشريعة بحلق العانة ونتف الإبط ،وكان حلق العانة أولى من نتفها لصلابة الشعر وتأذي صاحبه بنتفه ، وكان نتف الإبط أولى من حلقه لضعف الشعر هناك ، وشدته وتفحله[٢] بالحلق / فجاءت الشريعة بالأنفع في هذا وهذا . [١١٢/ب]



---

[١] في المطبوع : (من) .

[٢] في غير الأصل : (وتعجله) .

فصل

{ حكمة الله تعالى في إخلاء الكفين والجبهة من الشعر }

وتأمل حكمة الرب تعالى في كونه أخلى الكفين والجبهة والأخمصين من الشعر .

فإن **الكفين** خلقا حاكمين على الملموسات ، فلو جعل[١]الشعر فيهما لأخل ذلك (بالحكمة التي خلق لها)[٢]وخلق للقبض والصاق اللحم على المقبوض أعون على جودته من التصاق الشعر به وأيضا فإنهما آلة الأخذ والعطاء والأكل ، فوجود الشعر فيهما يخل بتمام هذه المنفعة .

وأما **الأخمصان** فلو نبت فيهما الشعر لأضر ذلك[٣]بالماشي ولأعاقه في المشي كثيراً مما كان يعلق بشعره[٤]مما على الأرض ، ويتعلق شعره بما عليها أيضا هذا مع أن كثرة[٥]الأوتار والأغشية في الكفين مانع من نفوذ الأبخرة فيها وأما الأخمصين فإن الأبخرة (تتصاعد إلى علو وكل تصاعدت الشعر) فيه أكثر[٦]، وأيضا فإن[٧]في كثرة وطئ الأرض بالأخمصين تصليبهما ، ويجعل سطحهما أملس لا تنبت شيئاً ، كما أن الأرض التي توطأ كثيراً لا تنبت شيئاً .

وأما **الجبهة** فلو نبت الشعر عليها لستر محاسنها ، واظلم الوجه وتدلى إلى العينين فكان يحتاج إلى حلقه دائماً ، ومنع العينين من كمال الإدراك والسبب المؤدي لذلك أن الذي تحت عظم الجبهة هو مقدم الدماغ وهو بارد رطب والبخار لا يتحرك منحرفاً إلى الجبهة بل صاعداً إلى فوق.

---

(1) في غير الأصل : (حصل) .

(2) سقط من غير الأصل .

(3) سقط من غير الأصل .

(4) قوله (ذلك) سطق من غير الأصل .

(5) في المطبوع : (أكثر) .

(6) هكذا في الأصل ، وفي (م) ، (وكل ما يتصاعد كان الشعر أكثر) ، وفي المطبوع : . وكلما تصاعد كان الشعر أكثر) ، وما بين القوسين سقط من (ق) .

(7) سقط من (م) و (ق) .

فإن قيل : فلم[1] ينبت شعر الصبي على رأسه وحاجبيه وأجفانه معه في الصغر دون سائر الشعور ؟ قيل : لشدة الحاجة إلى هذه الشعور الثلاثة ، أوجدها الله سبحانه معه وهو جنين في بطن أمه فإن شعر الرأس كالغطاء الواقي له من الآفات ، والأهداب والأجفان وقاية للعين .

فإن قيل : فلم لم تنبت له اللحية إلا بعد بلوغه ؟

قيل : لأنه عند البلوغ تجتمع الحرارة في بدنه ، ويكون أقوى ما هي ولهذا يعرض له في هذا[2] الطور البثرات والدماميل[3] /وكثرة الاحتلام وإذا قويت الحرارة كثرت الأبخرة بسبب التحلل [١١٣/أ] وزادت على القدر المحتاج إليه في شعر الرأس فصرفها أحكم الحاكمين إلى نبات اللحية والعانة .

وأيضا : فإن بين أوعية المني وبين اللحية ارتباطاً إذ العروق والمجاري متصلة بينهما فإذا تعطلت أوعية المني ويبست تعطلت[4] شعر اللحية وإذا قلت الرطوبة والحرارة هناك قل شعر اللحية ، ولهذا الخصيان لا تنبت لها[5] اللحى .

فإن قيل فما العلة في الكوسج ؟ قيل برد مزاجه ، ونقصان حرارته

فإن قيل : فما السبب في الصلع ؟ قيل : عدم احتباس الأبخرة في موضع الصلع ، فإن قيل فلم كان في مقدم الرأس . دون جوانبه ومؤخره ؟ .

قيل : لأن الجزء المقدم من الرأس بسبب رطوبة الدماغ يكون أكثر لينا وتحللا فتتحلل الفضلات التي تكون منها الشعور[6] فلا يبقى للشعر مادة هناك . فإن قيل: فلم لم يحدث في الاصداغ ؟ قيل لأن[7] الرطوبة في الأسافل أكثر منها في الأعالي وشاهده في الأرض العالية والمنخفضة ، فإن قيل : فلم لم تصلع المرأة إلا نادراً ، وكان الصلع في الرجال أكثر ، قيل : لأن الأصلع يحدث[8] من يبس في الجلد بمنزله احتراقه ، وذلك لقوة الحرارة ، والنساء فالرطوبة والبرودة

---

(1) في المطبوع : (لم نبت) وفي (م) و (ق) : (فلم نبت) .

(2) في المطبوع : زيادة (مثل) .

(3) في (م) و (ق) : (الدمل) ، وفي المطبوع : (الدمامل) .

(4) في غير الأصل : (تعطل) .

(5) في (م) و (ق) والمطبوع : (لا ينبت لهم لحى) .

(6) في (م) و (ق) والمطبوع : (يكون منها الشعر) .

(7) في غير الأصل : (أن) .

(8) هكذا في المخطوطات ، وفي المطبوع : (لأن الأصل أنه يحدث) والذي يظهر أن الصواب : (لأن الصلع يحدث) فتحرفت إلى (الأصلع) والله أعلم .

أغلب عليهن ولهذا جلودهن أرطب من جلود الرجال ، فلا تجف جلود روؤسهن فلا يعرض لهن الصلع ، ولهذا لا يعرض للصبيان (ولا الخصيان)[1]، وإن عرض للمرأة صلع فذلك في سن يبسها وبلوغها من الكبر عتياً .

فإن قيل : فما السبب في شدة سواد الشعر ؟ قيل : شدة البخارات الخارجة من البدن واعتدالها وصحة مادتها كخضرة الزرع [فإن قيل : فما سبب الصهوبة ؟ قيل : برد المزاج ، فتضعف الحرارة عن صبغ الشعر وتسويده][2].

فإن قيل : فما سبب الشقرة والحمرة ؟ قيل : زيادة الحرارة فتصبغ الشعر ولهذا تجد الاشقر أشد حرارة وأكثر حركة وهمة ، فإن قيل : فما سبب البياض (في الشعر)[3]؟ قيل : البياض نوعان :

أحدهما : طبيعي وهو الشيب / . [١١٣/ب]

والثاني: خارج عن الطبيعة وهو ما يوجد في أواخر الأمراض المجففة بسبب تحليل[4]الرطوبات كما يعرض للنبات عند الجفاف .

فإن قيل : فما سبب الطبيعي ، قيل أختلف في ذلك .

فقالت طائفة : سببه الاستحالة إلى لون البلغم بسبب ضعف الحرارة في أبدان الشيوخ .

وقالت طائفة : سببه أن الغذاء الصائر إلى الشعر يصير بارداً بسبب نقصان الحرارة ويكون بطئ الحركة مدة نفوذه في[5]المسام ، وأصلحت[6]طائفة بين القولين وقالوا : العلة في الأمرين واحد وسببها نقصان الحرارة .

فإن قيل : فلم اختص السبب بالإنسان من بين سائر الحيوان ؟

---

(1) سقط من غير الأصل .
(2) سقط من الأصل .
(3) سقط من غير الأصل
(4) في غير الأصل : (تحلل) .
(5) في غير الأصل : (إلى) .
(6) في المطبوع : (وجمعت) .

قيل لحم[1]الإنسان وجلده رخو لين[2]، وجلود الحيوانات ولحومها أقوى وأصلب ، فلما غلظت مادة الشعر فيها لم يعرض لها ما يعرض لشعر الإنسان ولهذا يكون شعرها كلها معها من حين ولادتها بخلاف الإنسان .

وأيضا فإن الإنسان يستعمل المطاعم المركبة المتنوعة ، وكذا المشارب ، ويتناول أكثر من حاجته فيجتمع فيه فضلات كثيرة فتدفعها الطبيعة إلى ظاهر البدن فما دامت الحرارة قوية فإنها تقوى على إحراق تلك الفضلات فيتولد من إحراقها الشعر الأسود ، فإذا بلغ الشيخوخة ضعفت الحرارة وعجزت عن إحراق تلك الفضلات فتعمل فيها عملا ضعيفا ، وأما سائر الحيوانات [فلا][3] تتناول الاغذية المركبة وتتناول منها على قدر الحاجة فلا يشيب شعرها كما يشيب شعر الإنسان ، وأيضا فإن في زمن الشيخوخة يكون الإنسان[4]أقل حرارة وأكثر رطوبة فيتولد الخلط[5]، والحيوانات فاليبس غالب عليها .

فإن قيل : فلم كان شيب الأصداغ في الأكثر متقدما على غيره ؟

قيل : لقرب هذا الموضع من مقدم الدماغ ، والرطوبة في مقدم الدماغ كثيرة لأن الموضع مفصل يجتمع فيه الفضلة الكبيرة فيكثر البرد هناك فيسرع الشيب / . [١١٤/أ]

فإن قيل : فلم أسرع الشيب في شعور الخصيان والنساء ؟

قيل : أما النساء فلبرد مزاجهن في الأصل واجتماع الفضلات الكبيرة فيهن ، واما الخصيان فلتوفر المني على أبدانهم يصبح معهم غليظاً بلغمياً ، ولهذا لا يحدث لهم الصلع .

فإن قيل : فلم كان شعر الإبط لا يبيض ؟

قيل : لقوة حرارة هذا الموضع بسبب قربه من القلب ، ومسامه كثيرة (فلا يبقى فيه كثرة)[6]بلغمية لانها لا تتحلل بالعرق الدائم .

---

(1) في المطبوع : زيادة (لأن) قبل (لحم).

(2) تحرفت في (م) و (ق) إلى (رخص) وفي المطبوع : (رخوين) .

(3) سقط من الأصل .

(4) سقط من غير الأصل .

(5) في المطبوع (البلغم) .

(6) سقط من المطبوع .

فإن قيل : فلم أبطأ بياض شعر العانة ؟ .

قيل : لأن حركة الجماع تحلل البلغم الذي في مسامه .

فإن قيل : فلم كانت الحيوانات تتبدل شعورها كل سنة بخلاف الإنسان ؟ قيل لضعف شعرها عن الدوام والبقاء بخلاف شعر الآدمي ، فإن قيل : فما سبب الجعودة والسبوطة ؟

قيل أما الجعودة فمن شدة الحرارة أو من التواء المسام ، فالذي من شدة الحرارة فإنه تعرض منه الجعودة كما تعرض للشعر عند عرضه على النار ، وأما الذي لالتواء المسام ، فلأن البخار لضعفه لا يقدر أن ينفذ على الاستقامة فيلتوي في المنافذ فتحدث الجعودة .

فإن قيل : فما السبب في طول شعر الميت وأظفاره بعد موته إذا بقي مدة ؟

قيل : عنه جوابان :

أحدهما : أنها لا تطول ، ولكن لما قبض[1]ما حولها يظن أنها (طالت)[2]وزادت .

الثاني : وهو أصوب أن ذلك الطول من الفضلات البخارية التي يتحلل وهلة من جسد[3]الميت فيمتد معها الشعر والظفر .

فإن قيل : فلم كان المريض وخاصة المحموم ينقص لحمه ، ويزيد شعره وظفره ؟ .

قيل : إن[4]المرض تكثر الفضلات ، فتتكون[5]الشعور والأظفار فيها ويقل[6]الغذاء فيذوب اللحم ، وأما في الصحة فتقل الفضلات فلا يحتاج الطبيعة إلى الغذاء وهضمها له ، وإذا قلت الفضلة نفذت مادة الشعر فتبطئ عن السرعة في النبات

فإن قيل : / فما العلة في انتصاب شعر الخائف والمقرور حتي يبقى كشعر القنفد ؟ ! قيل [١١٤/ب] العلة فيه أن الجلد ينقبض وتجتمع المسام على الشعر وتتضايق عليه فينتصب ، فإن قيل : فلم انتصب شعر البدن واللحية (دون شعر الرأس ؟ قيل : لأن جلدة الرأس كثيفة أكثف من جلدة

---

[1] في غير الأصل : (ينقص) .
[2] سقط من غير الأصل .
[3] (من جنس) في (م) و (ق) ، وفي المطبوع (من الميت) .
[4] في غير الأصل : زيادة (في) .
[5] في المطبوع : (فتطول) .
[6] في غير الأصل : (فيثقل) .

البدن فلا تنقبض انقباض جلدة البدن ، على أن شعر الرأس أيضا ينتصب كذلك ، وإن كان دون انتصاب شعر البدن واللحية)[١].

فإن قيل : فلم كان كثرة الجماع يزيد في شعر اللحية والجسد وينقص من شعر الرأس والأجفان ؟ .

قيل : لأن الشعر فيه ما يكون طبيعيا من أول الخلقة كاللحية وسائر شعر البدن ، والأول يكون من قوة الحرارة الأصلية والثاني من قوة الحرارة الخارجية فلا جرم نقصت بسببه الشعور الأصلية وقويت الشعور[٢]العرضية .

فإن قيل : فلم كان الشعر في الإنسان في الجزء المقدم أكثر منه في الجزء[٣]المؤخر وباقي الحيوانات بالعكس ؟

قيل لأن الشعر إنما يكون حيث تكون الحرارة قوية ، ويكون تحلحل[٤]الجلد أكثر ، وهذا في الإنسان في ناحية الصدر والبطن ، وأما جلدة الظهر فمتكاثفة وأما [ذوات][٥] الأربع ففي الخلف شعورها أكثر لأن البخار فيها يرمي[٦]إلى الخلف ، وأن تلك المواضع هي التي تلقي الحر والبرد فتحتاج إلى وقاء أكثر .

فإن قيل : فلم كان الرأس بالشعر أحق الأعضاء ، ونباته عليه[٧]أكثر ؟

قيل : لأن البخار يتصاعد ويطلب جهة الفوق وهو الرأس ولا تستطل هذا الفصل فإن أمر الشعر من السميات[٨]والفضلات وهذا شأنه ، فما الظن بغيره من الأجزاء الأصلية ؟ فإذا كانت هذه قليلاً من كثير من حكمة الرب تعالى في الشعور ومواضعها ومنافعها ، فكيف بحكمته في الرأس والقلب والكبد والصدر وغيرها ؟

---

(1) سقط من : المطبوع .
(2) في المطبوع : (وتوفرت العرضية) .
(3) سقط من غير الأصل .
(4) في المطبوع : (تحلل) .
(5) سقط من الأصل .
(6) في غير الأصل : (يرقى) .
(7) في (م) و (ق) : (عليها) ، وسقط من المطبوع .
(8) في غير الأصل : (السمات) .

ولا تضجر من ذلك فإن الخلق فيه من الصفه والحكم نظير ما في الأمر ، فالرب تعالى حكيم في خلقه وأمره، ويحب من يفقه عند ذلك[1] ويستدل به عليه وعلى كمال حكمته وعلمه ولطفه وتدبيره فإذا كان (الرب / تعالى)[2] لم يضع هذه الفضلات[3] سدى ، فما الظن بغيرها[4]؟ [١١٥/أ]

ونحن نذكر فصلاً مختصراً في حال الإنسان من مبدئه إلى نهايته لنجعله مرآة له ينظر فيها قول خالقه وبارئه ومصوره : ﴿ وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ(٢١) ﴾ .



(1) في المطبوع : (من يفقه عنه ذلك) .

(2) سقط من غير الأصل ، وفي المطبوع : (فإذا كان الله) .

(3) في المطبوع : زيادة (في الإنسان) .

(4) في غير الأصل : (فصل) ، وفي الأصل جاءت كلمة (فصل) بعد ذكر الآية .

فصل

{ حال الإنسان من مبدئه حتى منتهاه }

لما اقتضى كمال الرب جل جلاله[١] وقدرته التامة وعلمه المحيط ومشيئته النافذة وحكمته البالغة بتنوع[٢] خلقه من المواد المتباينة وانشأهم[٣] في الصور المختلفة ، والتباين العظيم بينهم في المواد والصور والصفات والهيئات والأشكال والطبائع والقوى اقتضت حكمته أن أخذ من الأرض قبضة من تراب ثم ألقى عليها الماء فصارت [مثل][٤] الحمأ المسنون ، ثم أرسل عليها الريح فجففها حتى صارت صلصالاً كالفخار ، ثم قدر لها الأعضاء والمنافذ والأوصال فالرباطات[٥] وصورها فأبدع في تصويرها وأظهرها في أحسن الأشكال ، وفصلها أحسن تفصيل مع اتصال أجزائها وهيأ كل جزء منها لما يراد منه ، وقدره لما خلق له على أبلغ الوجوه فصلها في توصلها[٦]، وأبدع في تصويرها وتشكيلها ، والملائكة تراها ولا تعرف ما يراد منها ، ، وإبليس يطيف بها ويقول : لأمر ما خلقت فلما تكامل تصويرها وتشكيلها وتقدير أعضائها وأوصالها ، وصار جسداً مصوراً مشكلاً كأنه ينطق إلا أنه لا روح فيه ولا حياة .

فأرسل[٧] إليه روحه فنفخ فيه نفخة فانقلب[٨] ذلك الطين اليابس[٩] لحماً ودماً وعظاماً وعروقاً ، وسمعاً وبصراً وشماً ولمساً وحركة وكلاماً فأول شئ بدأ به أن قال : الحمد لله رب العالمين ، فقال له خالقه وبارئه ومصوره : يرحمك ربك[١٠] يا آدم ، فاستوى جالساً أجمل شئ

---

[1] في المطبوع : (تعالى) .
[2] في غير الأصل : (بتنويع) .
[3] في غير الأصل : (من) بدل (في) .
[4] ما بين المعقوفتين سقط من الأصل .
[5] في غير الأصل : (والرطوبات) .
[6] في المطبوع : (توصيلها) .
[7] في غير الأصل : (وأرسل) .
[8] في غير الأصل : (وانقلب) .
[9] سقط من غير الأصل .
[10] في (ق) ، والمطبوع : (الله) .

وأحسنه منظرا وأتمه خلقاً وأبدعه صورة ، فقال الرب تعالى لجميع ملائكته اسجدوا له فبادروا بالسجود طاعة لأمر الواحد المعبود وتعظيماً له[1]، ثم قيل لهم : لنا في هذه القبضة من التراب سر أبدع[2]، مما ترون وجمال باطن أحسن مما تبصرون / فلتزينن[3]باطنه بأحسن من زينة ظاهرة ، [١١٥/ب] ولنجعله[4]من أعظم آياتنا نعلمه أسماء كل شئ مالم تحسنه الملائكة ، فكان التعلم زينة الباطن وجماله ، وذلك التصوير زينة الظاهر في أكمل شئ وأجمله صورة ومعنى ، وذلك كله صنعه[5]تبارك وتعالى ، في قبضة من تراب .

ثم اشتق منه صورة هي مثله في الحسن والجمال والكمال ليسكن إليها وتقر نفسه بها ، وليخرج من بينهما من لا يحصى عدده من الرجال والنساء سواه .



---

(1) في غير الأصل : (تعظيماً للواحد المعبود ، وطاعة لأمره) .

(2) في المطبوع : (شرع أبدع مما ترون) .

(3) في (م) و (ق) : (فلتزين) .

(4) في (م) و (ق) : (فلنجعله) .

(5) في غير الأصل :(وكل ذلك صنعته) .

﴿ فصل ﴾
{ حرارة الجسد ، والسر في ذلك }

لما[١] أراد الله سبحانه أن يذر نسلهما[٢] في الأرض ويكثره وضع فيهما حرارة الشهوة ونار الشوق والطلب ، وألهم كلا منهما اجتماعه بصاحبه ، فاجتمعا على أمر قد قدر ، فاسمع الآن عجائب ما هنالك ...

لما شاء الرب تعالى أن يخرج نسخة هذا الإنسان منه أودع جسده حرارة وسلط عليه هيجانها فصارت شهوة غالية ، فإذا هاجت حرارة الجسد تحللت الرطوبات من جميع أجزاء الجسد .وابتدأت نازلة من خلف الدماغ في عروق خلف الأذنين إلى فقار الظهر ثم تخرج إلى الكليتين ثم تجمع في أوعية المني بعد أن طبختها نار الشهوة وعقدها حتى صار لها قوام وغلظ وقصر بها حتى ابيضت ، وقدر لها مجاري وطرقاً تنفذ فيها .

ثم اقتضت حكمته سبحانه أن قدر بخروجها أقوى الأسباب المستفرغة لها من خارج ومن داخل فقيض لها صورة حسنها في عين الناظر وشوقه إليها وساق أحدهما إلى الآخر بسلسلة الشهوة والمحبة ، فحن كل منهما إلى امتزاجه بصاحبه واختلاطه به ليقضي الله أمراً كان مفعولاً وجعل هذا محل الحرث ، وهذا محل البذر ، (وقال القضاء[٣] والقدر ، ليشمل كل منكما على صاحبه)[٤] ليلتقي الماء على أمر قد قدر ، وقدر بينهما تلك الحركات لتعمل الحرارة في تلك الرطوبة والفضلة عملها واستخراجها[٥] من تحت الشعر والبشر والظفر لتوافق النسخة[٦] الأصلية ويكون الداعي إلى التناسل / في غاية القوة فلا ينقطع النسل . [١١٦/أ]

ولهذا لا تجد في مني الاحتلام من القوة ما في مني الجماع ، وإنما هو من فضلة حرارة تذيب الرطوبة ، فنفذت فيها[٧] الطبيعة إلى خارج وذلك نوع من تصور خيال بواسطة الشيطان كما

---

(1) في غير الأصل : (ثم لما) بداية الفصل .
(2) في الأصل : (نسلها) .
(3) في (م) و (ق) : (أيضاً) .
(4) سقط من المطبوع .
(5) في المطبوع : (واستخرجها) .
(6) في المطبوع : (نسخة) .
(7) في (م) و (ق) : (فتقذفها) .

ثبت[١] في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال : " **الرؤيا[٢] من الله والحلم من الشيطان** "[٣] . فإن قيل : فهذا اختيار منكم لقول من قال : أن المني يخرج من جميع أجزاء البدن ، هذا[٤] وإن كان قد قاله كثير من الناس ، فقد خالفهم آخرون وزعموا أنه فضلة يتولد من الطعام والشراب[٥]، وهي من أعدل الفضلات ولهذا صلحت أن تكون مبدأ الإنسان وهو جسم متشابه الأجزاء في نفسه . قيل : القول الأول هو الصواب ، ويدل عليه وجوه منها : عموم اللذة بجميع أجزاء البدن .

ومنها : مشاكلة أعضاء المولود لأعضاء الوالدين .

ومنها : المشابهة الكلية[٦].

فدل على أن البدن كله أرسل المني ولولا ذلك لكانت المشابهة بحسب محل واحد ، فدل على أن كل عضو قد أرسل قسطه ونصيبه ، فلما انعقد وصلب ظهرت .محاكاته ومشابهته له.

ومنها : أن الأمر لو كان كما زعمه أصحاب المقالة الثانية من أن المني جسم واحد متشابه في نفسه لم يتولد منه الأعضاء المختلفة المتشكلة بالأشكال المختلفة لأن القوة الواحدة لا تفعل في المادة الواحدة إلا فعلاً واحداً فدل على أن المادة في نفسها ليست متشابهة الأجزاء .

ومنها أن المني فضل الهضم الآخر وذلك إنما يكون عند نضج الدم في العروق وصيرورته مستعداً استعداداً تاماً لأن يصير من جوهر الأعضاء ولذلك يحصل عقيب استفراغه من الضعف أكثر مما يحصل من استفراغ أمثاله من الدم ولذلك يورث الضعف / في جوهر الأعضاء الأصلية ، [١١٦/ب] فدل على أنه مركب من أجزاء كل منها قريب الاستعداد لأن يصير جزءاً من عضو مخصوص ، ولذلك سماه الله (تعالى) : ﴿ سُلَالَةٍ مِنْ مَاءٍ ﴾[٧] والسلالة فعالة من السل وهو ما يسل من البدن كالنخالة ، والبخارة[٨] ، كما سمى أصله سلالة من طين لأنه استلها من جميع الأرض ، كما

---

(1) سقط من (م) و (ق) والمطبوع .

(2) في غير الأصل : زيادة (الصالحة) .

(3) أخرجه البخاري في (٥٩) كتاب بدء الخلق (١١) باب صفة إبليس وجنوده ح (٣٢٩٢) ، ومسلم في (٤٢) كتاب الرؤيا ح (٢٢٦١) من حديث أبي قتادة رضي الله عنه .

(4) في غير الأصل : (وهذا) .

(5) سقط من غير الأصل .

(6) في المطبوع : (أن المشابهة الكلية تدل . .) .

(7) في غير الأصل : (سلالة والسلالة) .

(8) في (م) و (ق) : (كالبخار والنحارة) ، وفي المطبوع : (كالبخار) .

جاء في جامع الترمذي عن النبي ﷺ : " **أن الله خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض** "[١] .

قال أصحاب القول الآخر وهم جمهور الأطباء وغيرهم :

لو كان الأمر كما زعمتم وان المني يسيل من جميع الأعضاء لكان إذا حصل مني الذكر ومني الأنثى في الرحم تشكل المولود بشكلهما معاً ولكان الرجل لا يلد إلا ذكوراً دائماً لأن المني قد استل عندكم من جميع أجزائه فإذا انعقد وجب أن يكون مثله ، وأيضا فإن المرأة تضع من وطئ الرجل في البطن الواحد ذكراً وأنثى ، ولا يمكن أن يقال ذلك بسبب اختلاف[٢]أجزاء المني .

قالوا : ولا يسلم عموم اللذة لأنها إنما حصلت حال الاندفاق بسبب سيلان تلك المادة الحارة[٣]على تلك المجاري اللحمية التي لحمتها رخوة شبيهة باللحم ا لقريب العهد بالاندمال إذا سال عليه وهو معتدل السخونة ، وكانت[٤]اللذة إنما حصلت بسبب سيلان تلك المادة لحصلت قبل الاندمال[٥].

قالوا : وأما احتجاجكم بالتشابه المذكور بين الوالد والمولود فالمشابهة قد تقع في[٦]الظفر والشعر وليس يخرج منها[٧]شيء وأيضا فالمولود قد يشبه جداً بعيداً من أجداده كما ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ : **أن رجلاً سأله فقال : أن امرأتي ولدت غلاماً أسود قال : فهل لك**

[١١٧/أ]

(1) الحديث أخرجه الترمذي في سننه في (٤٨) كتاب التفسير ، (٣) باب ومن سورة البقرة ح (٢٩٥٥) ، وأبو داود في سننه في (٣٥) كتاب السنة ، (١٧) باب القدر ، ح (٤٦٦٠) ،وأحمد في مسنده (٤/ ٤٠٠) ، وابن حبان في صحيحه ــ كما في الإحسان ــ في (٦٠) كتاب التاريخ (١) باب بدء الخلق ، ح (٦١٦٠) ، وابن خزيمة في التوحيد في (١٦) باب ذكر صفة خلق الله آدم عليه السلام ح (٨٣) ، وأبو الشيخ في العظمة في (٤٥) خلق آدم وحواء عليهما الصلاة والسلام ح (١٠٠٢) وغيرهم من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه . قال الترمذي : حسن صحيح . وأورده الألباني في الصحيحة (٤/١٧٢) برقم (١٦٣٠) وقال إسناده صحيح .

(2) في الأصل زيادة : (المني) قبل أجزاء .

(3) في المطبوع زيادة : (جارية) .

(4) في المطبوع : (ولو كانت) .

(5) في الأصل : (الاندمال) وفي غير الأصل : (الاندفاق) وهو أصح والله أعلم .

(6) سقط من غير الأصل والمطبوع .

(7) في غير الأصل : (منهما) .

من إبل ؟ قا ل: نعم ، قال : فما ألوانها ؟ قال : سود ، قال : هل فيها من أورق ؟ ، قال : نعم ، قال : فأنى له ذلك ؟ قال : عسى أن يكون نزعة عرق ، قال : وهذا عسى أن يكون / نزعة عرق "[١] .

قالوا : ولو كان في المني من كل عضو جزءاً فلا تخلو تلك الأجزاء إما أن تكون موضوعة في المني وضعها الواجب ، أو لا تكون كذلك ، فإن كانت موضوعة وضعها الواجب كان المني حيواناً صغيراً ، وإن لم يكن كذلك استحالت المشابهة .

قالوا : وأيضا فالمني إما أن يكون مركباً على تركيب هذا الأعضاء وترتيبها ، أو لا يكون كذلك ، فالأول باطل قطعاً لأن المني رطوبة سيالة فلا تحفض الوضع والترتيب وإن كان[٢] ثقيلة فتعين الثاني فلا بد قطعاً أن يحال ذلك الترتيب والتصوير والتشكيل على سبب آخر سوى القوة التي في المادة فإنها قوة بسيطة ، لا شعور لها ولا إدراك ولا يهتدي لهذه التفاصيل التي في الصورة الإنسانية بل هذا التصوير والتشكيل مرجعه[٣] إلى خالق عظيم عليم حكيم قد بهرت حكمته العقول ودلت آثار صنعته على كمال أسمائه وصفاته وتوحيده .

وقد اعترف[٤] بذلك فاضلا الأطباء وهما بقراط وافلاطون فأقرا بأن ذلك مستنده أما حكمه الصانع وعنايته وانه لم يصدر إلا عن خالق حكيم عليم قدير ، ذكره جالينون[٥] عنهما في كتاب رأى بقراط وأفلاطون[٦] فأبى جهلة الأطباء ، وزنادقة المتفلسفة والطبائعيين إلا كفوراً وقد ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ من حديث حذيفة بن اسيد **أن الله وكل بالرحم ملكاً يقول : يارب**

---

(1) أخرجه البخاري في (٦٨) كتاب الطلاق ، (٢٦) باب إذا عرض بنفي الولد ح (٥٣٠٥) ، ومسلم في (١٩ ٩ كتاب اللعان ح (١٥٠٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

(2) في غير الأصل : (كانت) .

(3) سقط من غير الأصل ، وفي المطبوع : (مستند إلى . .) .

(4) (اعترفت) : في غير الأصل والمطبوع .

(5) (جالينوس) : في غير الأصل .

(6) أفلاطون : فيلسوف يوناني تتلمذ على سقراط ، انفرد في فلسفته بنظرية المثل التي تفيد : أن المعاني الكلية ذات وجود في الخارج مستقل عن وجود الجزئيات ، التي تتمثل فيها تلك المعاني ، فلكل نوع من الجزئيات فكرة ، أو مثال جاءت الأفراد الجزئية على غراره " له مؤلفات كثيرة في السياسة والفلسفة وغيرهما . مات سنة (٣٤٧) قبل الميلاد . انظر : الموسوعة العربية الميسرة (١٨١/١) .

نطفة ، يارب علقة ، يارب مضغة ، فما الرزق ، فما الأجل ، فما العمل ؟ فيقضي الله ما شاء ويكتب الملك ، وفي لفظ : يقول الملك الذي يخلقها أي يصورها بإذن الله أي يصور خلقه في الأرحام كيف شاء الله لا إله إلا هو العزيز الحكيم .

قال أصحاب القول الأول : نحن أحق بهذا التتريه والتوحيد ومعرفة حكمة الخلاق العظيم[١] وقدرته وعلمه ، وأسعد / به منكم . [١١٧/ب]

ومن أحال من سفهائنا وزنادقتنا هذا التخليق على القوة المصورة والأسباب الطبيعية و لم يسندها إلى فاعل مختار عالم بكل شئ ، قاد رعلى كل شئ ، لا يكون شئ إلا بإذنه ومشيئته ، والقوة[٢] الطبيعة خلق مسخر من خلقه وعبد من جملة عبيده وليس لها تصرف ولا حركة ولا فعل إلا بإذن بارئها وخالقها ، فذلك الذي جهل نفسه وربه ، وعادى الطبيعة والشريعة .

والرب تعالى يخلق ما يشاء ويختار ويصور خلقه في الأرحام كيف يشاء بأسباب قدرها وحكم دبرها وإذا شاء أن تسلب تلك الأسباب قواها سلبها وإذا شاء أن تقطع أسبابها[٣] قطعها وإذا شاء أن يهيأ لها أسبابا أخر[٤] تقاومها وتعارضها فعل فإنه الفعال لما يريد ، وليس في كون المني مستلا من جميع أجزاء البدن ما يخرجه عن الحوالة[٥] على قدرته ومشيئته وحكمته بل ذلك أبلغ في الحكمة والقدرة .

وأما قولكم : لو كان المني مستلاً من جميع الأعضاء لكان الولد يتشكل بشكلهما معاً .فقد أجاب النبي ﷺ عمن سأله عن ذلك بما شفى وكفى ففي صحيح البخاري من حديث أنس [رضي الله عنه] [٦] قال : " **بلغ عبد الله بن سلام مقدم رسول الله ﷺ المدينة ، وهو في أرض مخترف**[٧] **فأتاه وقال : " إني سائلك عن ثلاث لا يعلمهن إلا نبي : ما أول أشراط الساعة**

---

(1) في غير الأصل : (العليم) .

(2) سقطت الواو من (ق) .

(3) في (م) و (ق) : (سببها) ، وفي المطبوع : (مسبباتها عنها) .

(4) في المطبوع : (أخرى) .

(5) في الأصل : (ما يخرج الحوالة) .

(6) سقط من الأصل .

(7) في غير الأصل : (مخترف) .

؟ ، وما أول طعام يأكله أهل الجنة ؟ ومن أي شئ يترع الولد إلى أبيه ؟ ومن أي شئ يترع إلى أخواله ؟ فقال رسول الله ﷺ : " آخبرني بهن آنفاً جبريل " قال عبد الله : ذاك عدو يهود[1] من الملائكة ، أما أشراط الساعة فنار يحشر الناس من المشرق إلى المغرب ، وأما أول طعام يأكله أهل الجنة فزيادة كبد الحوت ، وأما الشبه في الولد فإن الرجل إذا غشي المرأة فسبقها ماءه . كان الشبه (له ، وإذا سبقت كان الشبه)[2] لها " فقال : أشهد أنك رسول الله[3]. فهذا جواب جبريل أمين رب العالمين لا جبريل الطبيب .

وفي صحيح مسلم / من حديث ثوبان عن النبي ﷺ : " إذا علا ما ءالرجل ماء المرأة [١١٨/أ] ذكراً بإذن الله وإذا علا ماء المرأة ماء الرجل أنثى بإذن الله "[4] .

وقد يتفق (استواء)[5] المائين في الانزال والقدر ، وذلك من أندر الأشياء فيخلق للولد ذكر كذكر الرجل ، وفرج كفرج المرأة هذا[6] وإن شاء الله أن تغلب سلالة ماء الرجل على ماء المرأة . أو سلالتها على أو سلالته[7] أمر ملك [الأرحام][8] بتصويره كذلك فإن ذلك لايخل بحكمة ولا يخرق عادة ، ولو خرقها لم يخل بحكمة أحكم الحاكمين .

وأما منعكم عموم اللذة للبدن[9] فتشبيهه بالمكابرة ، والمجامع يجد عند الإنزال شيئاً قد استل من جميع بدنه وسمعه وبصره وقواه وأفرغ في قالب الرحم فيحس كأنه قد خلع قميصاً كان مشتملاً به ، ولهذا اقتضت حكمة رب العالمين في شرعه وقدره أن أمره بالاغتسال عقيب ذلك ليخلف عليه الماء ما تحلل من بدنه المخلوق[10] من ماء ، وإذا اغتسل وجده[1] نشاطاً وقوة وكأنه لم

---

(1) في غير الأصل : اليهود .

(2) سقط من المطبوع .

(3) أخرجه البخاري في (٦٠) كتاب أحاديث الأنبياء ، (١) باب خلق آدم وذريته ح (٣٣٢٩) من حديث أنس رضي الله عنه .

(4) أخرجه مسلم في صحيحه في (٣) كتاب الحيض ، (٨) باب بيان صفة مني الرجل والمرأة وأن الولد مخلوق من مائهما ح (٣١٥) .

(5) سقط من غير الأصل .

(6) سقط من غير الأصل

(7) في غير الأصل : (أو سلالتها على سلالته) .

(8) سقط من الأصل .

(9) سقط من المطبوع .

(10) سقط من المطبوع .

ينقص منه شئ ، فإن رطوبة الماء تخلف على البدن ما حللته تلك الحركة من رطوباته ، وتعمل فيها الحرارة الأصلية عملها فتمد بها القوى التي ضعفت بالإنزال .

وأما التشابه الواقع بين الظفر والشعر في الوالد والمولود و لم ينفصل بينهما شئ فما أبردها من شبهة ، فإن الظفر والشعر تابعين[٢] للأعضاء والمزاج الذي وقع فيه التشابه فاستتابع تشابه الأصل تشابه النبع ، وأما شبه المولود بالجد البعيد من أجداده فهو من أقوى الأدلة لنا في المسألة لأن ذلك الشبه البعيد لم يزل ينقل في الأصلاب حتى استقر في صورة الولد وبها حصل الشبه .

وأما قولكم : أن تلك الأجزاء لا تخلو إما أن تكون موضوعة في المني وضعها الواجب أولاً ، إلى آخره .. فجوابه أنكم أن عنيتم أنها موضوعة بالفعل / فليس كذلك وإن أردتم أنها موضوعة [١١٨/ب] بالقوة فنعم وما المانع منه ، ويكون المني حيواناً صغيراً بل كبيراً بالقوة ،وبهذا ظهر الجواب عن قولكم أن المني رطوبة سيالة ، لا تخفض[٣] الوضع[٤] والترتيب ، فغاية ما يقدر أن ذلك جزء من أجزاء السبب الذي يخلق الله به الولد وجزء السبب لا يستقل بالحكم ، فالمستقل بالإيجاد مشيئة الله وحده ، والأسباب محال لظهور[٥] (أثر المشيئة)[٦].



---

(1) في غير الأصل : (وجد) .
(2) في المطبوع : (تابعان) .
(3) في المطبوع : (لا تحفظ) .
(4) في (م) و (ق) : (الموضع) .
(5) في (م) و (ق) : (والأسباب فحال لظهور أثر الشبه) . والمطبوع : (والأسباب محال الظهور) .
(6) سقط من المطبوع .

فصل

{ صفة ماء المرأة }

فإن قيل: هذا[١]تصريح منكم بأن المرأة لها مني وأن منها أحد الجزئين اللـــذين يخلـــق الله منهما الولد . وقد ظن طائفة من الأطباء أن المرأة لا مني لها .

قيل : هذا هو السؤال الذي أوردته أم المؤمنين عائشة وأم ســـلمة[٢]. علـــى الـــنبي ﷺ وأجابها عنه بإثبات مني المرأة ففي الصحيح أن أم سليم[٣]قالـــت : **يـــا رســـول الله . أن الله لا يستحي من الحق ، هل على المرأة من غسل إذا هي احتلمت ؟ قال : نعم . إذا رأت المـــاء . فقالت أم سليم : أو تحتلم المرأة ؟ قال : تربت يداك فبم يشبهها ولدها ؟**[٤] " .

وفيهما عن عائشة أن أم سليم سألت رسول الله ﷺ **عن المرأة ترى في منامها ما يرى الرجل هل عليها من غسل ؟ قال : نعم إذا رأت الماء ، قالت : فقلت لها : أفترى المرأة ذلك ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " وهل يكون الشبه إلا من ذلك إذا علا ماؤها مـــاء الرجل أشبه الولد أخواله ، وإذا علا ماء الرجل ماؤها أشبه اعمامه "** لفظ مسلم[٥].

وقد أكثر جالينوس[٦]التشنيع على أرسطا طاليس حيث قال : أن المرأة لا مني لها فلتحـــرر المسألة[٧]طبعاً كما حررت شرعاً فنقول : مني الذكر مـــن جملـــة (الطباعـــات) [٨]الرطوبـــات والفضلات التي في البدن ، وهذا أمر مشترك بين الذكر والأنثى ،وبواسطته يخلق الولد ، وبواسطته

---

[1] في غير الأصل : (فهذا) .

[2] في غير الأصل : زيادة (رضي الله عنها) ، وأم سلمة هي :

[3] في غير الأصل تحرفت إلى أم سلمة ، وأم سليم هي :

[4] أخرجه البخاري في (٣) كتاب العلم ، (٥٠) باب الحياء في العلم ح (١٣٠) ، ومسلم في (٣) كتاب الحيض ، (٧) بـــاب وجوب الغسل على المرآة بخروج المني منها (٣١٣) من حديث أم سلمة رضي الله عنها .

[5] أخرجه مسلم في الموضع السابق ح (٣١٤) .

[6] جالينوس : طبيب وكاتب يوناني ، ينسب له خمسمائة مؤلف أغلبها في الطب والفلسفة ، وكان له تأثير كبير على من جاء بعـــده ، وبخاصة ف الطب مات سنة (٢٠٠أو ٢٠١) قبل الميلاد .

انظر : الموسوعة العربية الميسرة (٥٩٧/١) .

[7] في غير الأصل : (فلنحرر هذه المسألة) .

[8] هذه الكلمة في الأصل فقط .

يكون الشبه ، ولو لم يكن للمرأة مني لما اشبهها ولدها . ولا يقال : أن / الشبه بسبب[١]دم [١١٩/
الطمث ، فإنه لا ينعقد مع مني الرجل ولا يتحد به ، وقد أجرى الله (سبحانه) العادة بأن (التولد و)[٢]التوالد لايكون إلا بين أصلين يتولد من بينهما ثالث .

ومني الرجل وحده لا يتولد منه الولد ما لم يمازجه مادة أخرى من الأنثى ، وقد اعترف أرباب القولِ الآخر بذلك وقالوا : لا بد من وجود مادة بيضاء لزجة للمرأة تصير مادة لبدن الجنين ، ولكن نازعوا : هل فيها قوة عاقدة كما في مني الرجل[٣]؟ .

وقد فصل[٤]النبي ﷺ هذه المسألة فيما رواه مسلم[٥]في صحيحه من حديث ثوبان مولاه ، حيث سأله اليهودي[٦]عن الولد فقال : " **ماء الرجل ابيض ، وماء المرأة أصفر ، فإذا اجتمعا فعلا مني الرجل مني المرأة أذكرا بإذن الله ، وإذا علا مني المرأة مني الرجل آنثا بإذن الله** " .

نعم لمني الرجل خاصة الغلظ والبياض ، والخروج بدفق ودفع ، فإن أراد من نفى مني المرأة انتفاء ذلك عنها أصاب ، ولمني المرأة خاصة الرقة والصفرة والسيلان بغير دفع ، فإن نفى ذلك عنها أخطأ ، وفي كل من المائين قوة ، فإذا انضم أحدهما إلى الآخر اكتسبا قوة ثالثة هي من أسباب تكون الجنين .

واقتضت حكمة الخلاق العظيم[٧]سبحانه أن جعل داخل الرحم خشناً كالسفنج ، وجعل فيه طلباً للمني وقبولا له كطلب الأرض الشديدة العطش للماء وقبولها له تجعله طالباً حافظاً مشتاقاً إليه بالطبع[٨]، فلذلك إذا ظفر به أمسكه و لم يضيعه[٩]يشتمل عليه أتم اشتمال ، ويضم عليه أعظم انضمام لئلا يفسد الهواء فتتولى القوة والحرارة التي هناك ، ويأذن الله لملك الرحم (عقده وطبخه

---

(1) في المطبوع : (سببه) .
(2) ما بين القوسين سقط من المطبوع .
(3) في المطبوع : زيادة (أم لا ؟) .
(4) في غير الأصل : (أدخل) .
(5) في (م) و (ق) : (في الحديث الصحيح الذي رواه مسلم) ، وفي المطبوع : (في الحديث الذي رواه) .
(6) في غير الأصل : (اليهود) .
(7) في غير الأصل : (العليم) .
(8) في المطبوع : (بالعطش) .
(9) في الأصل كلمة صورتها (ومرلفة) وفي غير الأصل زيادة (بل) .

أربعين يوما كما يشاء ، وفي تلك الأربعين يجمع خلقه فإن الرحم)[1]إذا اشتمل على المني و لم يقذفه[2]إلى خارج استدار المني على نفسه وصار كالكرة ، وأخذ في الشدة إلى تمام ستة ايام فإذا اشتد / نقط فيه نقطة في الوسط وهو موضع القلب ، ونقطة في أعلاه وهي نقطة الدماغ ، [١١٩/ب] ونقطة[3]عن اليمين وهي نقطة الكبد ، ثم تتباعد تلك النقط ، ويظهر فيما بينهما[4]خطوط خمسة[5]إلى تمام ثلاثة أيام آخر ، ثم تنفذ الدموية في الجميع بعد ستة أيام آخر ، فيصير ذلك خمسة عشر يوماً (فتتميز الأعضاء الثلاثة وهي القلب والدماغ والكبد وتمتد رطوبة النخاع وذلك يتم باثني عشر يوماً)[6]، ويصير المجموع سبعة وعشرين يوماً .

ثم ينفصل الرأس عن المنكبين ، والأطراف عن الضلوع ، والبطن عن الجنبين ، وذلك في تسعة أيام أخر[7]فتصير ستة وثلاثين يوماً .

ثم يتم هذا التميز بحيث يظهر للحس ظهوراً بينا في تمام أربعة أيام ، فيصير المجموع أربعين يوماً فيها يجمع خلقه وهذا مطابق لقول النبي ﷺ في الحديث المتفق على صحته ،: " **إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً ......** "[8] ولقد كفى ﷺ بهذا الإجمال عن التفصيل وهذا يقتضي أن اجتماع خلقه وقع في الأربعين الأولى ، ولا ينافي هذا قوله . (ثم يكون علقة مثل ذلك) ، فإنه يكون علقة وهي القطعة من الدم قد جمع فيها خلقها جمعاً خفيفاً[9]وذلك الخلق في ظهور خفي على التدريج .

---

(1) سقط من غير الأصل .

(2) زيادة (به) بعد (يقذفه في المطبوع .

(3) سقط من المطبوع .

(4) في غير الأصل : (بينها) .

(5) في غير الأصل : (خمس) .

(6) سقط من المطبوع .

(7) سقط من المطبوع .

(8) أخرجه البخاري في (٥٩) كتاب بدء الخلق (٦) باب ذكر الملائكة ح (٣٢٠٨) ، ومسلم في (٤٦) كتاب القدر ، (١) باب كيفية الخلق الآدمي . . . ح (٢٦٤٣) من حديث عدبالله بن مسعود رضي الله عنه .

(9) في (م) و (ق) والمطبوع : (خفياً) .

ثم يكون مضغة أربعين يوماً أخرى ، وذلك التخليق يتزايد شيئاً فشيئاً إلى أن يظهر للحس ظهوراً لا خفاء به كله . والروح لم تتعلق به بعد ، فإنما[١] تتعلق به في الأربعين الرابعة بعد مائة وعشرين يوماً ، كما أخبر به الصادق (المصدوق)[٢]، وذلك مما لا سبيل إلى معرفته إلا بالوحي إذ ليس في الطبيعة ما يقتضيه فلذلك حار فضلاء الأطباء ، وأذكياء الفلاسفة ، في ذلك وقالوا : أن هذا مما لا سبيل إلى معرفته ، إلا بحسب الظن البعيد .

قال : من وقف على نهايات كلامهم في ذلك ، ودأب فيه حتى (ملّ)[٣]وكلّ وهو صاحب الطب الكبير فذكر مناسبات خيالية ثم قال : وحقيقة العلم منه عند الله / تعالى ولا مطمع [١٢٠/أ] لأحد من الخلق في الوقوف عليه .

قلت : قد أوقفنا عليه الصادق المصدوق الذي لا ينطق عن الهوى مما ثبت في الصحيحين : **" إن خلق احدكم يجمع في بطن أمه أربعين يوماً (نطفة) ثم يكون علقة مثل ذلك ، ثم يكون مضغة مثل ذلك ، ثم يبعث إليه الملك فينفخ فيه الروح ويؤمر[٤]بكتابة رزقه ، واجله ، وعمله ، وشقي أم سعيد "** .



---

[1] في غير الأصل : زيادة : (إنما) .

[2] سقط من غير الأصل .

[3] سقط من غير الأصل .

[4] في (م) و (ق) والمطبوع : (ويؤمر بأربع : بكتب . . .) .

فصل

{ سبب تفاوت مدة الحمل }

ورأيت لبعض الأطباء كلاماً ذكر فيه سبب تفاوت زمن الولادة فأذكره وأذكر ما فيه .

قا ل: إذا تم خلق الجنين مدة معينة فإنها إذا زادت[١]عليها مثلها تحرك الجنين ، فإذا انضاف إلى المجموع مثلاه انفصل الجنين .

قال : فإذا تم خلقه في ثلاثين يوماً فإنه إذا صار له ستون يوماً تحرك فإذا انضاف إلى الستين مثلاها صارت مائة وثمانين[٢]وهي ستة أشهر وهي (أقل) مدة ينفصل لها حمله[٣]وإذا تم خلقه في خمسة وثلاثين يوماً تحرك لسبعين ، وانفصل لسبعة أشهر ، وإذا تم خلقه لأربعين يوماً تحرك لثمانين يوما وانفصل لثمانية أشهر وإذا تم لخمسة وأربعين تحرك لتسعين وانفصل لتسعة اشهر ، وعلى هذا الحساب أبداً .

وهذا [الذي ذكره هذا القائل يقتضي حركة الجنين قبل الأربعين وهذا][٤]خطأ [قطعاً] فإن الروح إنما تتعلق به بعد الأربعين الثالثة ، وحينئذ يتحرك فلا تثبت له حركة قبل مائة وعشرين يوماً ، وما يقدر من حركة له[٥]قبل ذلك فليست حركة ذاتية اختيارية بل لعلها حركة عارضية[٦]بسبب الأغشية والرطوبات ، وما ذكره من الحساب لا يقوم عليه دليل ولا تجربة مطردة ، فربما زاد على ذلك أو نقص منه ولكن الذي نقطع به أن الروح لا تتعلق به إلا بعد الأربعين الثالثة ، وما يقدر من حركة قبل ذلك أن صحت لم يكن بسبب الروح ، والله أعلم .



---

(1) في (م) و (ق) والمطبوع : (زاد) .
(2) في غير الأصل زيادة (يوماً) .
(3) في غير الأصل : (الحمل) .
(4) سقط من الأصل .
(5) سقط من المطبوع .
(6) في غير الأصل : (عارضة) .

فصل

{ أقل مدة للحمل }

وأما أقل مدة الحمل فقد تظاهرت الشريعة والطبيعة على أنها ستة أشهر / ، قال تعالى : [١٢٠/ب]
﴿ وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا ﴾[١] .

وقال تعالى : ﴿ وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ ﴾[٢] .

قال جالينوس : كنت شديد الفحص عن مقادير أزمنة الحمل ، فرأيت أمراة واحدة ولدت في مائة وأربعة [و][٣] ثمانين ليلة .

وزعم صاحب الشفاء أنه شاهد ذلك ، ، وأما أكثره فقال في الشفاء : بلغني من حيث وثقت (كل الثقة)[٤] أن أمرأة وضعت بعد الرابع من سن الحمل ولداً قد نبتت أسنانه وعاش .



(1) الأحقاف : (١٥) .

(2) البقرة : (٢٣٣) .

(3) ما بين المعقوفتين سقط من الأصل ، وفي المطبوع : (وأربع وثمانين) .

(4) سقط من المطبوع .

﴿ فصل ﴾
{ سبب الإذكار والإيناث }

فإن قيل : فما سبب الإذكار والإيناث ؟

قيل : الذي نختاره أنه إنما سببه مشيئة الرب الفاعل باختياره وليس له سبب[1] طبيعي ، وكل ما ذكره أصحاب الطبائع من الأسباب فمنقتض مثل حرارة الرجل ورطوبته .

قالوا : وفساد المزاج أيضا يوجب إيلاد الإناث ، واستقامته توجب الإذكار وكل هذا تخليط وهذيان ، فليس للإذكار والإيناث إلا قول الله لملك الأرحام وقد استأذنه : يارب ذكر يارب أنثى ، يارب شقي أم سعيد ؟ فما الرزق ؟ فما الأجل ؟ ، فالإذكار[2] والإيناث قرائن[3] السعادة والشقاوة والرزق والأجل .

فإن قيل فتلك أيضاً بأسباب ، قلنا : نعم ، ولكن بأسباب بعد الولادة ، ولا سبب للإذكار والإيناث قبل الولادة .

فإن قيل : فما تصنعون بحديث ثوبان الذي رواه مسلم في صحيحه : أن يهودياً سأل النبي ﷺ عن الولد ؟ فقال : " **ماء الرجل أبيض ، وماء المرأة أصفر فإذا اجتمعا فعلا مني الرجل مني المرأة أذكرا بإذن الله ، وإذا علا مني المرأة مني الرجل آنثا بإذن الله " فقال اليهودي : صدقت وإنك لنبي** " ؟

قيل : هذا الحديث تفرد به مسلم في صحيحه وقد تكلم فيه بعضهم وقال : الظاهر أن الحديث وهم فيه بعض الرواة ، وإنما كان السؤال عن الشبه / وهو الذي سأله[4] عبد الله بن سلام[5] في الحديث المتفق على صحته فأجابه بسبق الماء ، وإن الشبه يكون للسابق ، فلعل بعض الرواة

---

[1] في المطبوع : وليس (بسبب) .

[2] في غير الأصل : (والإذكار) .

[3] في (م) و (ق) والمطبوع : (قرين) .

[4] في المطبوع : (سأل عنه) .

[5] عبدالله بن سلام : هو عبدالله بن سلام بن الحارثالإسرائيلي أبو يوسف حليف بني عوف بن الخزرج ، أسلم عند قدوم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة . قيل : كان اسمه الحصين فسماه النبي صلى الله عليه وسلم عبدالله ، وشهد له بالجنة . مات بالمدينة سنة (٤٣هـ) . انظر التهذيب (٥/٢١٩-٢٢٠) .

انقلب عليه شبه الولد بالمرأة بكونه أنثى وشبهه [بالولد][1] لكونه ذكراً لا سيما والشبه التام إنما هو بذلك .

وقالت طائفة : بل[2] الحديث صحيح لا مطعن في سنده ولا منافاة بينه وبين حديث عبد الله بن سلام وليست الواقعة واحدة بل هما قصتان[3] ورواية كل منهما غير رواية الأخرى .

وفي حديث ثوبان قصة[4] ضبطت وحفظت :

قال ثوبان : **كنت قائماً عند النبي[5] ﷺ فجاء حبر من أحبار اليهود فقال : السلام عليك يا محمد ، فدفعته دفعة كاد يصرع منها ، فقال لي : لم تدفعني ؟ ! فقلت : ألا تقول يا رسول الله ؟ !! : فقال اليهودي : إنما ندعوه باسمه الذي سماه به أهله ، فقال رسول الله ﷺ : إن اسمي محمداً الذي سماني به أهلي ، فقال اليهودي : جئت اسألك . فقال رسول الله ﷺ : أينفعك شئ أن حدثتك ؟ قال : أسمع بإذني ، فنكت رسول الله ﷺ بعود معه (قال : سل)[6]، فقال اليهودي : أين يكون الناس يوم تبدل الأرض غير الأرض والسماوات ؟ فقال رسول الله ﷺ [7]: في الظلمة دون الجسر ، فقال : فمن أول الناس إجازة ؟ قال : فقراء المهاجرين ، قال اليهودي : فما تحفتهم حين[8] يدخلون الجنة ؟ قال : زيادة كبد النون[9]، قال : فما غذاؤهم على أثره ؟ قال : ينحر لهم ثور الجنة الذي كان يرعى[10] من أطرافها ، قال : فما شرابهم عليه ؟ قال: من عين منها تسمى سلسبيلا ، قال : صدقت ، قال : وجئت أسألك عن شئ لا يعلمه أحد إلا نبي أو رجل أو رجلان ، قال : ينفعك أن حدثتك ؟ ، قال : أسمع بإذني ، قال : جئت أسألك عن الولد ، قال: ماء الرجل أبيض وماء المرأة أصفر ، فإذا اجتمعا فعلا**

---

(1) بياض في الأصل هنا ، وفي (م) و (ق) : (بالولد) ، وفي المطبوع : (بالوالد) .
(2) سقط من المطبوع .
(3) في غير الأصل : (قضيتان) .
(4) في المطبوع : (قضية) .
(5) في المطبوع : (رسول الله) .
(6) سقط من المطبوع .
(7) في غير الأصل : زيادة (هم) .
(8) في المطبوع : (حتى) .
(9) في المطبوع : (الحوت) .
(10) في (م) و (ق) والمطبوع : (يأكل) .

مني الرجل مني المرأة أذكرا بإذن الله ، وإذا علا منى المرأة مني الرجل آنثا بـإذن الله / قـال [١٢١/ب] **اليهودي : لقد صدقت وإنك لنبي ثم انصرف فذهب ، فقال رسول الله ﷺ : لقد سألني عن هذا الذي سألني عنه ومالي علم به حتى أنبأني الله به " .**

وأما حديث عبدالله بن سلام[١] ففي صحيح البخاري عن أنس[٢]: قال : **بلغ عبد الله بـن سلام مقدم رسول الله ﷺ المدينة فأتاه فقال : إني سائلك عن ثلاث لا يعلمهن إلا نبي : مـا أول أشراط الساعة ؟ ، وما أول طعام يأكله أهل الجنة ؟ ومن أي شئ يترع الولد إلى أبيـه ، ومن أي شئ يترع إلى أخواله ؟ فقال رسول الله ﷺ : " خبرني هِن آنفا جبريل " فقال عبد الله (بن سلام)[٣]: ذاك عدو اليهود من الملائكة . فقال : أما أول أشراط الساعة فنار تحشر الناس من المشرق إلى المغرب ، وأما أول طعام[٤] أهل الجنة فزيادة كبد حوت[٥]، وأما الشبه في الولد فإن الرجل إذا غشي المرأة فسبقها ماؤه كان الشبه له وإذا سبقت كان الشبه لها قال : أشهد أنك رسول الله** وذكر الحديث .

فتضمن الحديثان أمرين ترتب عليهما (أثران : سبق الماء ، وعلوه فتأثير السبق في الشبه ، وتأثر العلو في الإذكار والإيناث ، فإن اجتمع الأمران ترتب عليهما)[٦] الأثران معاً ، وأيهما انفرد ترتب عليه أثره فإذا سبق ماء الرجل وعلا أذكر وكان الشبه له ، وإن سبق ماء المرأة وعلا أنثـت وكان الشبه لها ، وإن سبق ماء المرأة وعلا ماء الرجل أذكر وكان الشبه لها (وإن سبق ماء الرجل وعلا ماء المرأة آنثت وكان الشبه له)[٧] ومع هذا كله فهذا جزء سبب ليس بموجـب والسـبب الموجب مشيئة الله قال : فقد يسبب سببه السبب ، وقد يترتب على ضد مقتضاه ولا يكـون في ذلك مخالفة لحكمته ، كما لا تكون تعجيزاً لقدرته ، وقد أشار في الحديث إلى هـذا بقولـه : " أذكرا وأنثى بإذن الله " .

---

(1) في غير الأصل : زيادة (رضي الله عنه) .
(2) في غير الأصل : زيادة (رضي الله عنه).
(3) سقط من غير الأصل .
(4) في (م) و (ق) والمطبوع : زيادة : (يأكله) .
(5) في المطبوع : (الحوت) .
(6) سقط من غير الأصل .
(7) استدراك في حاشية الأصل ، وساقط من غيره .

وقد قال تعالى : ﴿ **لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ(٤٩)أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ(٥٠)** ﴾[١] .فأخبر سبحانه أن ذلك عائد إلى مشيئته وأنه قد يهب الذكور فقط وقد يهب الإناث فقط وقد يجمع للوالدين بين النوعين معاً ، وقد يخليهما عنهما معاً ، وأن ذلك كما أنه[٢]راجع إلى مشيئته فهو متعلق بعلمه وقدرته / . [١٢٢/أ]

وقد وهب الله آدم الذكور والإناث ، واسرائيل الذكور دون الإناث ، ومحمداً الإناث دون الذكور سوى ولده إبراهيم ، وقال سليمان [عليه السلام] [٣]: " **لأطوفن[٤]على سبعين أمرأة ، تأتي كل امرأة منهن بغلام يقاتل في سبيل الله ، (فقال له صاحبه : قل أن شاء الله ، فلم يقل) [٥]فطاف عليهن فلم تلد منهن امرأة واحدة ، إلا امرأة جاءت بشق ولد** " .

قال النبي ﷺ : " **والذي نفسي بيده لو قال أن شاء الله لجاهدوا في سبيل الله فرساناً أجمعين**[٦]"[٧].

فدل على أن مجرد الوطء ليس بسبب تام ، وإن كان له مدخل في السببية ، وإنما السبب التام مشيئة الله وحده فهو رب الأسباب المتصرف فيها كيف شاء بإعطائها السببية إذا شاء ومنعها إياها إذا شاء وترتيب ضد مقتضياها إذا شاء ، والأسباب هي مجاري الشرع والقدر فعليها يجري أمر الله الكوني والديني .

فإن قيل : فقد ظهر أن الولد مخلوق من المائين جميعاً ، فهل يخلق منهما على حد سواء أم يكون بعض الولد من ماء الأب وبعضه من ماء الأم ؟

---

[1] سورة الشورى الآيتان (٤٩-٥٠) .
[2] في غير الأصل : (كما هو) .
[3] سقط من الأصل .
[4] في غير الأصل : زيادة (الليلة) .
[5] سقط من غير الأصل .
[6] في غير الأصل : (أجمعون) وهو أيضاً في الصحيحين هكذا .
[7] أخرجه البخاري في (٥٦) كتاب الجهاد والسير ، (٢٣) باب من طلب الولد للجهاد ح (٢٨١٩) ، ومسلم في (٢٧) كتاب الإيمان ، (٥) باب الاستثناء ح (١٦٥٤-٢٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

قيل : قد بين النبي ﷺ هذه المسألة بأوضح البيان ، فقال الامام أحمد في مسنده : ثنا حسين بن الحسين[١] ثنا أبو كريب[٢] عن عطاء بن السائب[٣] عن القاسم بن عبد الرحمن[٤] عن أبيه[٥] عن عبد الله قال : **مر يهودي برسول الله ﷺ وهو يحدث أصحابه ، فقالت قريش : يا يهودي أن هذا يزعم أنه نبي فقال : لأسألنه عن شئ لا يعلمه إلا نبي فجاء حتى جلس ثم قال : يا محمد مم يخلق الإنسان ؟ فقال : من كل يخلق ، من نطفة الرجل ومن نطفة المرأة ، فأما نطفة الرجل فنطفة غليظة منها العظم والعصب ، وأما نطفة المرأة فنطفة رقيقة منها اللحم والدم . فقام اليهودي : فقال : هكذا كان[٦]يقول من قبلك[٧].**



---

(1)حسين بن الحسين :

(2)أبو كريب: هو رشدين بن كريب بن أبي مسلم الهاشمي مولاهم أبو كريب المدني رأى ابن عمر وروى عن أبيه وعلي بن عبدالله بن عباس وعنه عيسى بن يونس والماربيوإبراهيمبن أبي يحيى وغيرهم ضعيف من السادسة التهذيب (٣/٢٤١-٢٤٢) التقريب ص (٢٠٩)

(3)عطاء بن السائب : هو عطاء بن السائب بن مالك ويقال : زيد ، ويقال : يزيد الثقفي أبو السائب وقيل : أبو محمد الكوفي ، روى عن أبيه وأنس وسعيد بن جبير وإبراهيم النخعي وغيرهم ، روى عنه إسماعيل بن أبي خالد والتيمي والأعمش وغيرهم صدوق اختلط من الخامسة مات سنة (١٣٦هـ) .

التهذيب (٧/١٨٣-١٨٦) ، التقريب ص (٣٩١) .

(4)القاسم بن عبدالرحمن : هو القاسم بن عبدالرحمن بن عبدالله بن مسعود المسعودي : أبو عبدالرحمن الكوفي القاضي ،روى عن أبيه وعن جده مرسلاً ، وعن ابن عمر وجابر ، ومسروق وغيرهم ، روى منه أخوه معن ، وأبو إسحاق السبيعي وعطاء بن السائب وغيرهم ، وهو ثقة . مات سنة (١٢٠هـ) في ولاية خالد على العراق .

انظر التهذيب (٨/٢٨٨-٢٨٩).

(5)هو عبدالرحمن بن عبدالله بن مسعود الهذلي الكوفي .

(6)سقط من غير الأصل .

(7)الحديث أخرجه الإمام أحمد في مسنده (١/٤٦٥) وأبو الشيخ في العظمة في (٤٦) ذكر لطيف صنع الله وحكمته سبحانه وتعالى . . ح (١٠٧٢) .

وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد (٨/٢٤١) وقال : " رواه أحمد والطبراني والبزار بإسنادين ، وفي أحد إسناديه : عامر بن مدرك . وثقه ابن حبان وضعفه غيره ، وبقية رجاله ثقات . وفي إسناد الجماعة عطاء بن السائب وقد اختلط " .

وضعف الشيخ أحمد شاكر إسناد هذا الحديث في تعليقه على المسند (٦/١٩٩) لضعف شيخ الإمام أحمد : حسين بن الحسن الأشقر .

فصل

{ نفخ الروح في الجنين }

فإن قيل قد ذكرتم أن تعلق الروح بالجنين ، إنما يكون بعد الأربعين الثالثة ، وأن خلق الجنين يجمع في بطن أمه أربعين يوما ثم يكون علقة مثل ذلك ، ثم يكون مضغة مثل ذلك / . [١٢٢/ب]

وبينتم أن كلام الأطباء لا يناقض ما صرح به الوحي من ذلك ، فما تصنعون بحديث حذيفة بن أسيد[١]الذي رواه مسلم في صحيحه عن النبي ﷺ قال : " **يدخل الملك على[٢]النطفة بعد ما تستقر في الرحم بأربعين أو خمس وأربعين ليلة فيقول : أي رب أشقي أم سعيد ؟ فيكتبان ، فيقول : أي رب أذكر أو أنثى ؟ فيكتبان ، ويكتب عمله وأثره وأجله ورزقه ثم تطوى الصحيفة فلا يزاد فيها ولا ينقص** "[٣] .

قيل : نتلقاه بالقبول والتصديق ، وترك التحريف ، ولا (ينافي)[٤]شيئاً مما ذكرناه . إذا غاية ما فيه أن (هذا) التقدير وقع بعد الأربعين الأولى وحديث ابن مسعود يدل على أنه وقع بعد الأربعين الثالثة ، وكلاهما حق فإن هذا تقدير بعد تقدير[٥]الأول عند انتقال النطفة إلى أول أطوار التخليق [التي هي أول مراتب الإنسان وما قبل ذلك مل يتعلق بها التخليق][٦]، وا لتقدير الثاني تقدير عند كمال خلقه ونفخ الروح ، فذاك تقدير عند أول خلقه وتصويره وهذا تقدير عند تمام خلقه وتصوره .

وهذا أحسن من جواب من قال أن المراد بهذه الأربعين التي في حديث حذيفة الأربعين الثالثة وهذا بعيد جداً من لفظ الحديث ولفظه يأباه كل الإباء فتأمله .

---

(1) حذيفة بن أسيد هو :

(2) في غير الأصل : (في) .

(3) أخرجه مسلم في (٤٦) كتاب القدر ، (١) باب كيفية الخلق الآدمي . . ح (٢٦٤٤) من حديث حذيفة رضي الله عنه .

(4) سقط من المطبوع .

(5) في (م) و (ق) : (وكلاهما حق فآلت هذا تقدير بعد تقدير) ، وفي المطبوع : (وكلاهما حق قاله الصادق صلى الله عليه وسلم ، وهذا تقدير بعد تقدير) .

(6) ما بين المعقوفتين سقط من الأصل .

فإن قيل : فما تصنعون بالحديث[(١)] الآخر الذي في صحيح مسلم أيضا عن عامر بن واثلة[(٢)]، أنه سمع عبد الله بن مسعود[(٣)] يقول : الشقي من شقي في بطن أمه ، والسعيد من وعظ بغيره ، فأتى رجل من أصحاب رسول الله[(٤)] ﷺ يقال له حذيفة بن أسيد الغفاري فحدثه بذلك من قول ابن مسعود فقال : وكيف يشقى[(٥)] رجل بغير عمل ؟ ! فقال له الرجل : أتعجب من ذلك ؟ ! فإني سمعت رسول الله صل الله عليه وسلم يقول : " **إذا مر بالنطفة ثنتان وأربعون ليلة بعث الله إليها ملكاً فصورها وخلق سمعها وبصرها وجلدها ولحمها وعظمها ثم قال : يارب أذكر أم أنثى ؟ فيقضي ربك ما يشاء ويكتب الملك ، ثم يخرج الملك بالصحيفة / في يده فلا يزيد على ما أمر**[(٦)] **ولا ينقص**"[(٧)] . [١٢٣/أ]

وفي لفظ آخر في الصحيح أيضا : سمعت رسول الله ﷺ بإذني هاتين يقول : **إن النطفة تقع في الرحم أربعين ليلة ، ثم يتسور عليها الملك الذي يخلقها فيقول : يارب اذكر أم أنثى ؟ ثم يقول : يارب أسوي أم غير سوي ؟ فيجعله الله سوياً أو غير سوي ، (ثم يقول : يارب)**[(٨)] **ما رزقه وما أجله وما خلقه ؟ ثم يجعله الله عز وجل شقياً أو سعيداً** "[(٩)] .

وفي لفظ آخر في الصحيح أيضا **أن ملكاً موكلاً بالرحم إذا أراد الله أن يخلق شيئاً بإذن الله لبضع وأربعين ليلة ....** " ثم ذكر نحوه[(١٠)].

قيل : نتلقاه[(١١)] أيضا بالتصديق والقبول وترك التحريف وهذا يوافق ما أجمع عليه الأطباء أن مبدأ التخليق والتصوير ، بعد الأربعين .

فإن قيل : فكيف التوفيق بين هذا وبين حديث ابن مسعود وهو صريح في أن النطفة أربعين يوماً نطفة ثم أربعين (يوماً)[(١٢)] علقة ثم أربعين (يوماً) مضغة ، ومعلوم أن العلقة والمضغة

---

(1) في غير الأصل : (بحديثه) .

(2) عامر بن واثلة : هو عامر بن واثلة بن عبدالله بن عمرو الليثي الكناني القرشي أبو الطفيل : شاعر كنانة وأحد فرسانها ، ولد يوم وقعة أحد ، وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم تسعة أحاديث توفي بمكة في عهد عمر بن عبدالعزيز ،وهو آخر الصحابة موتاً .
انظر : الطبقات الكبرى (٥/٣٣٨).

(3) في (م) و (ق) والمطبوع : زيادة (رضي الله عنه) .

(4) في المطبوع : (النبي) .

(5) في (م) و (ق) : (فكيف شقي) .

(6) في المطبوع : (على أمره) .

(7) أخرجه مسلم كما تقدم قبله ورقمه (٢٦٤٥) .

(8) سقط من المطبوع .

(9) أخرجه مسلم برقم (٢٦٤٥-٤) .

(10) أخرجه مسلم بعده مباشرة .

(11) في المطبوع : (نتلقاها) .

(12) سقط من المطبوع .

لنا صورة فيها ولا جلد ولا لحم ولا عظم ، وليس بنا حاجة إلى التوفيق بين حديثه هذا ، وبين قول الأطباء ، فإن قول الرسول[1] معصوم ، وقولهم عرضة الخطأ ، ولكن الحاجة إلى التوفيق بين حديثه وحديث حذيفة المتقدم .

قيل : لا تنافي بين الحديثين بحمد الله وكلاهما خارج من مشكاه صادقة معصومة ، وقد ظن طائفة أن التصوير في حديث حذيفة .إنما هو بعد الأربعين الثالثة . قالوا : وأكثر ما فيه التعقيب بالفاء ، وتعقيب كل شئ وبحسبه وقد قال تعالى : ﴿ **أَلَمْ تَرَى أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً**﴾[2] بل قد قال تعالى : ﴿ **خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا** ﴾[3] .

وهذا تعقيب بحسب مايصلح له المحل ، ولا يلزم أن يكون الثاني عقب[4] الأول تعقيب اتصال .

وظنت طائفة أخرى : أن التصوير / والتخليق الذي في حديث حذيفة هو في التقدير [١٢٣/ب] والعلم ، والذي في حديث ابن مسعود في الوجود الخارجي ، والصواب ما دل عليه الحديث من أن ذلك في أول الأربعين الثانية ، ولكن ههنا[5] تصويران أحدهما : تصوير خفي لا يظهر للبشر ، وهو تصوير تقديري كما يصور من يفصل الثوب ، أو ينجر الباب مواضع القطع والتفصيل ، فيعلم عليها ويضع مواضع الفصل والوصل ، ولذلك كل من يضع صورة في مادة لا سيما مثل هذه الصورة التي ينشأ فيها التصوير والتخليق على التدريج شيئاً بعد شئ لا وهلة واحدة كما يشاهد بالعيان في تخليق الطائر في البيضة .

فهنا أربع مراتب :

أحدها : تصوير وتخليق علمي لم يخرج إلى الخارج .

الثانية : مبدأ تصوير خفي يعجز الحس عن إدراكه .

الثالثة : تصوير يناله الحس ولكنه لم يتم بعد .

---

(1) في (م) و (ق) والمطبوع : (النبي صلى الله عليه وسلم) .
(2) سورة الحج الآية (٦٣) .
(3) سورة المؤمنون الآية (١٤) . وفي غير الأصل زيادة : (فكسونا العظام لحماً) .
(4) في غير الأصل : (عقيب) .
(5) في (م) والمطبوع : (هنا) .

الرابعة : تمام التصوير الذي ليس بعده إلا نفخ الروح .

فالمرتبة الأولى : علمية والثلاث الأخرى خارجية عينية وهذا التصوير بعد التصوير نظير التقدير بعد التقدير ، فإن الرب تعالى قدر مقادير الخلائق تقديراً عاماً قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة ، وهناك كتب السعادة أو الشقاوة والأعمال والأرزاق والآجال .

الثاني : تقدير بعد هذا وهو أخص منه وهو التقدير الواقع عند القبضتين حين قبض تبارك وتعالى أهل السعادة بيمنه وقال : هؤلاء للجنة وبعمل أهل الجنة يعملون ، وقبض أهل الشقاوة باليد الأخرى وقال : هؤلاء للنار وبعمل أهل النار يعملون .

الثالث : تقدير بعد هذا وهو أخص منه عندما يمضي به ما في حديث حذيفة بن أسيد المذكور .

الرابع : تقدير آخر بعد هذا وهو عندما يتم خلقه وينفخ فيه الروح كما صرح به الذي قبله .

وهذا يدل على سعة علم الرب تعالى ، واحاطته بالكليات والجزئيات / وكذلك [١٢٤/أ] التصوير ا لثاني مطابق للتصوير العلمي ، والثالث مطابق للثاني ، والرابع مطابق للثالث ، وهذا مما يدل على كمال قدرة الرب (سبحانه)[1] ومطابقة مقدوره لمعلومه ، فتبارك الله رب العالمين ، وأحسن الخالقين . ونظير هذا التقدير الكتابة العامة قبل المخلوقات ، ثم كتابة ما يكون من العام إلى العام في ليلة القدر ، وكل مرتبة من هذه المراتب تفصيل لما قبلها وتنويع ، وكلام رسول الله ﷺ يصدق بعضه بعضاً ، ويفسر بعضه بعضاً ، ويطابق الواقع في الوجود لا[2] يخالفه وإنما يخبر بما لا يستقل الحس ولا الفعل بإدراكه ولا بما يخالف الحس والعقل ، وأما ما يعرفه الناس ويستقلون بإدراكه على أمر عيني يتعلق به الإيمان ، أو على حكم شرعي يتعلق به التكليف والله أعلم .



[1] في غير الأصل : (تعالى) .

[2] في غير الأصل : (ولا) .

﴿ فصل ﴾

{ أول الأعضاء تخلقا }

فإن قيل : أي عضو يتخلق أولاً . قبل سائر الأعضاء ؟

قيل : قد اختلف في ذلك على أربعة أقوال :

أحدها : أنه القلب وهذا قول الأكثرين .

والثاني : أنه الدماغ والعينان . وهو قول ابقراط[١].

والثالث : أنه[٢] الكبد . وهو قول محمد بن زكريا[٣].

والرابع : أنه السرة . وهو قول جماعة من الأطباء .

قال أصحاب القلب : لا نشك[٤] أن في المني قوة روحية ، وبسبب تلك القوة يستعد[٥] أن يكون إنساناً ، وحاجته إلى الروح الذي هو مادة القوى أشد ، فلا بد أن يكون لذلك الروح مجمع خاص ، منه تنبعث إلى سائر الأعضاء ، فالجوهر الروحي أول شئ ينهر[٦] من المني ويجتمع في موضع واحد ، ويحيط به ما يتصل إليه ذلك الجوهر الروحي من جميع الجوانب ، فيجب أن يكون مجمعها هو الوسط ، وسائر الأجزاء يحيط به ، وذلك الكبد[٧] هو القلب .

---

(1) بقراط : هوبقراط بن إيرقليس،طبيب ماهر ،من تلاميذ أسقلبيوس الثاني ، كان في أيام بهمن بن أردشير . قال يحيى النحوي : بقراط وحيد دهره ، الذي يضرب به المثل ، الطبيب الفيلسوف ، وبلغ به الأمر إلىأن عبده الناس . توفي سنة (٣٥٧) ق.م ، وعمره ٩٥سنة انظر : الفهرست لابن النديم ص : (٤٠٠) .

(2) (أنه) : ساقطة من الأصل .

(3) محمد بن زكريا : هو محمد بن زكريا الرازي أبو بكر ، فيلسوف ، من الأئمة في صناعة الطب ، من أهل الري ، ولد تعلم بها ، وسافر إلى بغداد وبعد سن الثلاثين ، عكف على الطب والفلسفة في كبره ، فنبغ واشتهر ، وتولى تدبير مارستان الري ، ثم رياسة أطباء البيمارستان المقتدري في بغداد . عمي في آخر عمره ومات ببغداد واختلف في سنه وفاته بني ٢٩٠ونيف و ٣٢٠هـ .
انظر : الأعلام (٦/١٣٠) .

(4) في المطبوع : (لا شك) .

(5) في (م) و (ق) والمطبوع : (سعد) .

(6) في غير الأصل : (ينبعث) .

(7) في المطبوع : (الوسط) فلعله تحريف في المخطوطات والله أعلم .

قالوا : ولأن تمام البدن موقوف على الحرارة الغريزية ، (والعضو الذي هو منبع / الحرارة [١٢٤/ب] الغريزية)[١] الذي بها البدن لا بد أن يكون متقدما على العضو[٢] الذي هو منبع القوة الغادية التي بها ينمو وهو الكبد[٣].

قالوا : ولأن أفعال القوى إنما تتم بالروح وهي لا بد لها من متعلق تتعلق به ولا بد أن يتقدم متعلقها عليها وهو القلب .

قالوا : وهذا هو الأنسب والأليق بحكمة الرب تعالى فإن القلب ملك سائر الأعضاء وهي جنود[٤] له وخدم ، فإذا صلح القلب صلحت جنوده ، وإذا فسد فسدت ، وقد أشار النبي ﷺ في الحديث الصحيح إلى ما يرشد إلى ذلك فقال : " **إن في الجسد مضغة إذا (صلحت)**[٥] **صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله**[٦]. **ألا وهي القلب . ألا وهي القلب**[٧]" فما أولى هذه المضغة أن تكون متقدمة في وجودها على سائر الأعضاء ، وسائرها تبع لها في الوجود كما هي تبع لها في الصلاح والفساد .

قالوا : وقد شاهد أصحاب التشريح في المني عند انعقاده نقطة سوداء في وسطه .

قال أصحاب الدماغ : شاهدنا الفراخ في البيض أول ما يتكون منها رؤسها ، وسنة الله في (تكون الأجنة في الأرحام كذلك .

قالوا : ولأن الدماغ مجمع الحواس ، ورئيس البدن واشرفه : قالوا : وهذه سنة الله في)[٨] بروز الجنين أول ما يبدو منه إلى الوجود رأسه .

قال أصحاب الكبد : لما كان المني محتاجاً إلى قوة غاذية[١] تزيد في جوهره حتى يصير بحيث يمكن أن تكون الأعضاء فيه ، كان أول الأعضاء وأسبقها إليه هو محل القوة الغاذية وهو الكبد .

---

[1] سقط من المطبوع .
[2] في (م) و (ق) و (ط) : (لا بد أن يتقدم على العضو) .
[3] في المطبوع : (الذي منه القوة الغريزية التي بها ينمو وهو القلب) .
[4] في (م) و (ق) : (ملك وسائر الأعضاء جنود له) ، وفي المطبوع : (ملك والأعضاء جنود له) .
[5] سقط من الأصل .
[6] في المطبوع : (فسد لها سائر الجسد) .
[7] في المطبوع : (ألا وهي القلب) : ذكرت مرة واحدة فقط .
[8] سقط من المطبوع .

قال أصحاب السرة : حاجة الجنين إلى جذب الغذاء أشد من حاجتـــه إلى آلات قـــواه ، وإدراكه ومن السرة يتج[٢] الغذاء .

وأولى هذه الاقوال : القول الأول ومرتبته القلب[٣] وشرفه ومترله ومحله الذي وضعه الله به يقتضي أن المبدؤ به قبل سائر الأعضاء المتقدم عليها بالوجود والله أعلم .



---

[1] في المطبوع : (مغذية) .

[2] هكذا في الأصل ، وفي غيره : (يجذب) .

[3] في (م) و (ق) : (وهو بيت القلب) ، وفي المطبوع : (القول الأول فإن القلب ومترلته) .

[١٢٥/أ]

فصل

{ حال الجنين قبل نفخ الروح }

فإن قيل : الجنين قبل نفخ الروح فيه هل كان فيه حركة وإحساس أم لا ؟

قيل : كان فيه حركة النمو والاغتذاء كالنبات ، ولم يكن له حركة[1] الحس والإرادة ، فلما نفخت فيه الروح انضمت حركة حسه[2] وارادته إلى حركة نموه واغتذائه .

فإن قيل : قد ثبت أن الولد يتخلق من ماء الأبوين ، فهل يتمازجا ويختلطا[3] حتى يصيرا ماء واحداً ، أو يكون أحدهما هو المادة والآخر بمنزلة الأنفحة التي تعقده ؟

قيل : هو موضع اختلف فيه أرباب الطبيعة :

فقالت طائفة منهم : مني الاب لا يكون جزءاً من الجنين وإنما هو مادة الروح الساري في الأعضاء ، وأجزاء البدن كلها من مني الأم .

ومنهم من قال : بل هو ينعقد من مني الأم[4] ثم يتحلل ويفسد قالوا : ولهذا كان الولد جزءاً من أمه ، ولهذا جاءت الشريعة بتبعيته لها في الحرية والرق .

قالوا : ولهذا كان[5] لو نزى فحل رجل على حجرة[6] آخر فأولدها فالولد لمالك الأم دون مالك الفحل لانه تكون من أجزائها واحشائها ولحمها ودمها ، وماء الأب بمنزلة الماء الذي يسقي الأرض .

قالوا : والحس يشهد أن الأجزاء الذي في المولود من أمه أضعاف أضعاف الأجزاء الذي فيه من أبيه فثبت أن تكوينه من مني الأم ودم الطمث ، ومني الأب عاقد له كالأنفحة .

ونازعهم الجمهور وقالوا : إنه يتكون من مني الذكر[7] والأنثى .

---

(1) في (م) و (ق) : (حركة نحوه (بياض) والإرادة) .

(2) في المطبوع : (حسيته) .

(3) في المطبوع : (يتمازجان ويختلطان) .

(4) في غير الأصل : (الأنثى) .

(5) سقط من غير الأصل .

(6) هكذا ف المخطوطات ، وفي المطبوع : (على جارية آخر) .

(7) في غير الأصل : (الرجل) .

ثم لهم قولان : أحدهما : أن يتكون عن[1] منى الذكر أعضاؤه واجزاؤه وعن مني الأنثى صورته .

والثاني : الأعضاء والأجزاء والصورة تكون من مجموع المائين وأنهما امتزجا واختلطا وصارا ماءاً واحداً وهذا هو الصواب ، لأنا نجد الصورة والتشكيل تارة إلى الأب وتارة إلى الأم . والله أعلم .

وقد دل على هذا قوله تعالى : ﴿ يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنثَى ﴾[2] والأصل هو الذكر ، فمنه البذر ومنه السقي ، والأنثى وعاء ومستودع لوالده[3] تربيه في بطنها كما تربيه في حجرها ولهذا كان الولد للأب حكماً ونسباً / وأما تبعيته للأم في الحرية والرق ، فلأنه [١٢٥/ب] إنما تكون وصار ولداً في بطنها وغذته لبنها مع الجزء الذي فيه منها ، وكان الاب أحق بنسبه وتعصيبه لانه أصله ومادته ونسخته ، وكان أشرفهما ديناً أولى به تغليباً لدين الله وشرعه .

فإن قيل : فهلا طردتم هذا وقلتم لو سقط بذر رجل في أرض رجل[4] آخر يكون الزرع لصاحب الأرض دون مالك البذر ؟

قيل : الفرق بينهما أن البذر مال متقوم نبت[5] في أرض آخر فهو لمالكه وعليه أجره الأرض أو هو بينهما بخلاف المني فإنه ليس بمال ، ولهذا نهى الشارع عن المعاوضة عليه[6]، واتفق الفقهاء على أن الفحل لو نزا على رمكة لكان الولد لصاحب الرمكة .



---

(1) في غير الأصل : (يكون من — من) .

(2) سورة الحجرات آية (١٣) .

(3) في غير الأصل : (لولده) وهو الصواب .

(4) سقط من غير الأصل .

(5) سقط من غير الأصل .

(6) سقط من غير الأصل .

فصل

{ هل يتكون الجنين من مائين وواطئين }

فإن قيل : فهل يتكون الجنين من مائين وواطئين ؟

قيل : هذه المسألة شرعية كونية ، والشرع فيها تابع للتكوين وقد اختلف فيها شرعاً وقدراً .

فمنعت طائفة ذلك وأبته كل الإباء وقالت : الماء إذا استقر في الرحم اشتمل عليه وانضم غاية الانضمام بحيث لا يبقى فيه مقدار رسم رأس إبرة وإلا فسد فلا يمكن انفتاحه بعد ذلك لماء ثان لا من الواطئ ولا من غيره .

قالوا : وبهذا أجرى الله العادة أن الولد لا يكون إلا لأب واحد ، كما لا يكون إلا لأم واحدة وهذا هو مذهب الشافعي .

وقالت طائفة : بل يتخلق من مائين فأكثر .

قالوا : وانضمام الرحم واشتماله على الماء لا يمنع قبوله الماء الثاني فإن الرحم انشق[(١)] شئ وأقبله للمني .

قالوا : ومثال ذلك مثال[(٢)] المعدة فإن الطعام إذا استقر بها انضمت عليه غاية الانضمام فإذا ورد عليها طعام فوقه انفتحت له لشوقها إليه .

قالوا : وقد شهد بهذا القائف بين يدي أمير المؤمنين عمر بن الخطاب[(٣)] في ولد ادعاه اثنان فنظر إليهما وإليه وقال : ما أراهما إلا اشتركا فيه ، فوافقه عمر[(٤)] والحقه بهما . ووافقه على ذلك أحمد ومالك[(٥)].

---

(1) في (م) و (ق) : (أشفق) ، وفي المطبوع : (أشوق) .

(2) في غير الأصل : (كمثال) .

(3) عمر بن الخطاب : هو عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبدالعزى القرشي العدوي ، أبو حفص ، أمير المؤمنين الفاروق ، ثاني الخلفاء الراشدين ، من أيد الله به الإسلام وفتح على يده الأمصار ، الصادق الملهم المحدث ، أحد العشرة المبشرين بالجنة . استشهد رضي الله عنه بيد أبي لؤلؤة المجوسي في صلاة الصبح سنة (٢٣هـ) .

(4) في (م) و (ق) : زيادة (رضي الله عنه) .

(5) في (م) و (ق) والمطبوع : (رضي الله عنهما).

قالوا : والحس يشهد بذلك كما ترى في جري الكلبة والسنور تأتي بها مختلفة الألـوان / [١٢٦/أ] لتعدد آبائها ، وقد قال النبي ﷺ : **" من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يسقي مـاءه زرع غيره "**[١] يريد وطئ الحامل من غير الموطئ .قال الإمام أحمد : الوطء يزيد في سمع الولد وبصـره هذا بعد انعقاده .

وعلى هذا مسألة فقهية وهي : لو أحبل أمة[٢]غيره بنكاح أو زنا ، ثم ملكها هل تصير أم ولد له ؟ فيها أربعة أقوال للفقهاء[٣]. وهي روايات عن أحمد[٤].

أحدها : لا تصير أم ولد لانها لم تعلق بالولد في ملكه .

والثاني : تصير ام ولد لانها وضعت في ملكه .

الثالث : أن وضعت في ملكه صارت أم ولد ، وإلا فلا لأن الوضع والاحبال كان في غير ملكه .

الرابع : أنه أن وطئها بعد أن ملكها صارت أم ولد وإلا فلا لأن الوطء ، يزيد في خلقـة الولد كما قال الامام احمد ، الوطء يزيد في سمع الولد وبصره . وهذا أرجح الأقوال .

وقد ثبت عن النبي ﷺ أنه مرّ بأمرأة مجح .على باب فسطاط فقال : لعل سيدها يريد أن يلم بها ، لقد هممت أن ألعنه لعناً يدخل معه[٥]قبره ، كيف يورثه وهو لا يحل له ، (كيف يستعبده وهو لا يحل له ؟[٦])[٧] .

---

[1]أخرجه أبو داود في سننه في (٦) كتاب النكاح ، (٤٥) باب في وطء السبايا ح (٢١٥١) ، والترمذي في (٩) كتاب النكاح ، (٣٤) باب ما جاء في الرجل يشتري الجارية وهي حامل ح (١١٣١) والبيهقي في السنن الكبرى في كتاب السير ، بـاب المـرأة تسـبى مـع زوجهـا (١٢٤/٩) ، وأحمـد في مسـنده (١٠٩/٤) ، والطـبراني في المعجـم الكـبير (٢٨/٥) رقم (٤٤٨٨-٤٤٨٩) ، من حديث رويفع بن ثابتة رضيه الله عنه . وقال الترمذي عن الحديث : هذا حديث حسن .

[2]في المطبوع : (لو أحبل جارية) .

[3]سقط من غير الأصل .

[4]في غير الأصل : (عن الإمام أحمد) .

[5]في المطبوع : (معه في قبره) .

[6]سقط من غير الأصل .

[7]أخرجه مسلم في (١٦) كتاب النكاح ، (٢٣) باب تحريم وطء الحامـل المسـبية ح (١٤٤١) مـن حـديث أبي الـدرداء رضي الله عنه .

والمجح : الحامل المقرب وقوله : " كيف يورثه " أي يجعل الولد تركة موروثة عنه ، لأنه عبده ولا يحل له ذلك ، لانه قد صار فيه جزء من أجزائه بوطئه ، وكيف يجعله عبده ،وهو لا يحل له ذلك ؟ .

فهذا دليل على أن وطء الحامل يزيد في الأجزاء ، وقد دلت المشاهدة على أن الحامل إذا وطئت كثيراً جاء الولد عبلاً ممتلئاً ، وإذا هجر وطؤها جاء الولد ضئيلاً ضعيفاً ، فهذه أسرار شرعته موافقة للأسرار الطبيعية مبنية عليها . والله أعلم .

فإن قيل : فهل يمكن أن يخلق من الماء الواحد ولدان في بطن واحد ؟

قيل هذه مسألة التوأم . وهو ممكن بل قد وقع .وله أسباب :

أحدها : كثرة المني ، فيفيض إلى بطن الرحم دفعات والرحم يعرض له عند الحركة الحادثة[١] للمني حركات / مختلفة فربما اتفق أن كان الحادث[٢] للدفعة الأولى من المني أحد جانبيه ، [١٢٦/ب] وللثانية الجانب الآخر .

ومنها : أن بيت الأولاد في الرحم فيه تجاويف فيكون المني كثيراً فيفضل عن أحدها فضلة يشتمل عليها التجويف الثاني وهكذا الثالث .

قال أرسطو[٣]: وقد يعيش للمرأة خمسة أولاد في بطن واحد ،وحكى عن امرأة أنها وضعت في أربع بطون عشرين ولداً .

وقال صاحب القانون[٤]: سمعت بجرجان أن امرأة اسقطت كيساً فيه سبعون صورة (كل صورة)[١]صغيرة جداً .

---

(1) في (م) و (ق) : (الجاذبة) ، وفي المطبوع : (الجارية) .

(2) في غير الأصل : (الجاذب) .

(3) أرسطو : فيلسوف يوناني ، تتلمذ على أفلاطون ، وعلم الإسكندر الأكبر ، كان أول من أرسى قواعد المنطق ، والذي كتب فيه طائفة من المؤلفات عرفت فيما بعد بالأرغانون ، وسماه المسلمون ، والعرب ، المعلم الأول وله مؤلفات كثيرة في طائفة من العلوم توفي سنة (٣٢٢ قبل الميلاد) .

انظر الموسوعة العربية الميسرة (١١٧/١) .

(4) ابن سينا : هو الحسين بن عبدالله بن سيناء ، أبو علي ، الملقب بالرئيس ، الحكيم . قال عنه ابن حجر : " ما أعلمه روى شيئاً من العلم ، ولو روى لما حلت الرواية عنه ، لأنه فلسفي النحلة ، ضال ، لا رضي الله عنه " .

كان يقول بقدم العالم ، ونفي المعاد الجسماني ، ونقل عنه أنه قال : " إن الله لا يعلم الجزيئات بعلم جزئي ، بل بعلم كلي " . من مصنفاته : الشفا ، والإشارات والتنبيهات ، والقانون في الطب . مات سنة (٤٢٨هـ) .

انظر لسان الميزان لابن حجر (٢٩١/٢) ، الأعلام للزركلي (٢٤١/٢) .

قال أرسطو : وإذا اتأمت بذكر وأنثى فقل ما تسلم الوالدة والمولود ، و إذا أتأمت[٢] بذكرين أو أنثيين فتسلم كثيراً .

قال : والمرأة قد تحبل على الحبل ، ولكن يهلك الأول في الأكثر ، فقد أسطقت امرأة واحدة اثنا عشر جنيناً حملاً على حمل وأما إذا كان الحمل واحداً أوبعد وضع الأول فقد يعيشان . والله أعلم .



[1] هكذا في الأصل فقط .

[2] في المطبوع : (توأمت) .

﴿ فصل ﴾[1]

{ انقطاع الحيض أثناء الحمل وسببه }

فإن قيل : فما السبب المانع للحامل من الحيض غالباً ؟.

قال الإمام أحمد وأبو حنيفة : إنما نراه من الدم يكون دم فساد لا حيض .

والشافعي وإن قال : إنه دم حيض ، وهو إحدى الروايتين عن عائشة فلا ريب أنه نـادر بالإضافة إلى الأغلب .

قيل : دم الطمث ينقسم إلى ثلاثة أقسام .

قسم ينصرف إلى غذاء الجنين

وقسم يصعد إلى البدن .

وقسم يحتبس[2] إلى وقت الوضع فيخرج مع الولد وهو دم النفاس ، وربما كانت مادة الدم قوية وهو كثير فيخرج بعضه لقوته وكثرته .

والراجح من الدليل : أنه حيض حكمه حكمه ، إذ ليس هناك دليل عقلي ولا شرعي يمنع من كونه حيضاً ، واستيفاء الأدلة من الجانبين فقد ذكرنا ها في موضع آخر . والله أعلم .

فإن قيل : فما السبب في أن النساء الحبالى لا يشتقن في الشهر الثاني والثالث إلى تنـاول الأشياء / الغريبة التي لم تعتد بها طباعهن ؟ . [١٢٧/أ]

قيل : لأن دم الطمث لما احتبس فيهن بحكمة قدرها الله سبحانه وهو صرفه غذاء للولد ومقدار ما يحتاج إليه يسير فتدفعه الطبيعة الصحيحة إلى فم المعدة فيحدث لهن شهوة تلك الأشياء الغريبة .

فإن قيل : فكيف وضع الجنين في بطن أمه ، أقائماً أم قاعداً أم مضطجعاً ؟

---

(1) سقط من المطبوع .

(2) في (م) و (ق) والمطبوع : (يحبس) .

قيل : هو معتمد بوجه على رجليه وبراحتيه على ركبتيه ورجلاه مضموتان إلى قدماه ووجهه إلى ظهر أمه .

وهذا من العناية الإلهية أن أجلسه هذه الجلسة في هذا المكان الضيق فهو في الرحم على الشكل الطبيعي وأيضا : فلو كان رأسه إلى أسفل لوقع ثقل الأعضاء الخسيسة على الأعضاء الشريفة وأدى ذلك إلى تلفه ، ولأنه عند محاولة الخروج إذا انقلب أعانه ثقله على الخروج .

فإنه إذا خرج أول ما يخرج منه رأسه لأن الرأس إذا خرجا[1]أولا كان خروج سائر الأعضاء بعده سهلاً وإن خرج على غير هذا الوجه لكان فيه تعويق وعسر ، فإن الرجلين لو خرج أولا انعاق خروج الباقي فإنه أن خرجت الرجل الواحدة أولا انعاق عند الثانية وإن خرجا[2]معاً انعاق عند اليدين وإن خرجت اليدان والرجلان انعاق عند الرأس فكأنه يلتوي إلى الخلف أو تلتوي السرة إلى العنق . فيألم الرحم ويصعب الخروج ويؤدي إلى مرضه أو تلفه .

فإن قيل : فما سبب الإجهاض الذي يسمونه الطرح قبل كمال الولد ؟

قيل : الجنين في البطن بمنزلة الثمرة في الشجرة وكل منهما له اتصال قوي بالأم وهذا يصعب[3]قطع الثمرة قبل كمالها من الشجرة ويحتاج إلى قوة فإذا بلغت الثمرة نهايتها سهل قطعها وربما سقطت بنفسها وذلك لأن تلك الرباطات[4]والعروق التي كانت[5]تمدها من الشجرة كانت في غاية القوة (فتوفر)[6]لغذاء آخر رجع ذلك / الغذاء إلى الشجرة فضعفت تلك الرطوبات [١٢٧/ب] والمجاري وساعدها ثقل الثمرة فسهل اخذها . وكذا الأمر في الجنين ، فإنه ما دام في البطن قبل كماله واستحكامه فإن رطوباته وأغشيته ورباطاته[7]تكون [مانعة][8] له من السقوط فإذا تم وكمل ضعفت تلك الرباطات وأنهكت الأغشية واجتمعت تلك الرطوبات المزلقة فسقط الجنين .

---

(1) في (م) و (ق) ك (لو خرجت) ، وفي المطبوع : (لو خرجتا) .

(2) في (م) و (ق) : (خرجتا) .

(3) في (م) و (ق) : (يضعف) .

(4) في (ق) : (الرطوبات) .

(5) سقط من (م) و (ق) والمطبوع) .

(6) في (م) و (ق) : كلمة غير واضحة . وفي المطبوع : (والغذاء فلما رجع) .

(7) سقط من غير الأصل .

(8) سقط من الأصل .

هذا الأمر الطبيعي الجاري على استقامة الطبيعة وسلامتها وأما السقوط قبل ذلك فلفساد في الجنين أو لفساد في طبيعة الأم أو لضعف[1] في الطبيعة كما تسقط الثمرة قبل ادراكها لفساد يعرض لها أو تضعف الأصل أو لفساد يعرض من خارج فإسقاط[2] الجنين لسبب من هذه الأسباب الثلاثة فالآفات التي تصيب الأجنة بمنزلة الآفات التي تصيب الثمار .

فإن قيل : فكيف فم الرحم[3] مع ضيقه (يتسع بخروج)[4] ما هو أكبر منه بأضعاف مضاعفة ؟

قيل : هذا من أعظم الأدلة على عناية الرب تعالى وقدرته ومشيئته فإن الرحم لا بد أن ينفتح الانفتاح العظيم جداً .

قال غير واحد من العقلاء : ولا بد من انفصال يعرض للمفاصل العظيمة ثم تلتئم مسرعة[5] أسرع من لمح البصر وقد اعترف فضلاء الأطباء وحذاقهم بذلك وقالوا : لا يكون ذلك إلا بعناية إلهية وتدبير تعجز العقول عن ادراكه وتقر للخلاق العليم[6] بكمال الربوبية والقدرة .

فإن قيل : فما السبب في بكاء الصبي حال[7] خروجه إلى هذه الدار ؟

قيل : ها هنا سببان : سبب باطن أخبر به الصادق المصدوق لا يعرفه الأطباء ، وسبب ظاهر .

فأما السبب الباطن : فإن الله سبحانه اقتضت حكمته أن وكل بكل واحد من أولاد آدم شيطاناً . فشيطان هذا المولود قد حبس[8] ينتظر خروجه ليقارنه / ويتوكل به ، فإذا انفصل [١٢٨/أ] استقبله الشيطان وطعنه في خاصرته تحرقاً عليه وتغيظاً واستقبالا له بالعداوة التي كانت بين الأبوين قديماً فيبكي المولود من تلك الطعنة ، ولو آمن زنادقة الأطباء والطبائعيين بالله ورسوله لم يجدوا عندهم ما يبطل ذلك ولا يرده .

---

(1) (ضعف) في غير الأصل .
(2) في (م) و (ق) : (فأسقط) .
(3) في (م) و (ق) : (فكيف الرحم) ، وفي المطبوع : (فكيف يخرج من الرحم) .
(4) في (م) و (ق) : (يخرج) وسقط من المطبوع .
(5) في المطبوع (بسرعة) .
(6) في غير الأصل : (العظيم) .
(7) في غير الأصل : (حالة) .
(8) في (م) و (ق) والمطبوع : (خنس) .

وقد ثبت في صحيح مسلم عن ابي هريرة[1] قال : قال رسول الله ﷺ : " **صياح المولود حين يقع نزغة من الشيطان** "[2] .

وفي الصحيحين من حديثه أيضا قال : قال رسول الله ﷺ " **ما من مولود يولد إلا نخسه الشيطان فيستهل صارخاً من نخسة الشيطان إلا ابن مريم وأمه** "[3] وفي لفظ آخر : " **يمسه حين يولد فيستهل صارخاً من مس الشيطان إياه** "[4] وفي لفظ آخر : " **كل بني آدم يمسه الشيطان يوم ولدته امه إلا مريم وابنها** "[5] وفي لفظ للبخاري : " **كل بني آدم يطعن الشيطان في جنبه باصبعه حين يولد غير عيسى بن مريم ثم**[6] **ذهب يطعن فطعن في الحجاب** "[7] .

والسبب الظاهر : الذي لا تخبر الرسل بأمثاله برخصه[8] عن الناس ومعرفتهم له من غيرهم ، هو مفارقته للمألف[9] والعادة التي كان فيها إلى أمر غريب فإنه ينتقل من جسم حار إلى هواء بارد ومكان لم يألفه فيستوحش من مفارقته وطنه ومألفه ، وعند أرباب الإشارات أن بكاءه ارهاصاً بين يدي ما يلاقيه من الشدائد والآلام والمخاوف .

وأنشدوا[10] في ذلك:

ويبكي بها المولود حتى كأنه ... بكل الذي يلقاه فيها يهدد
وإلا فما يبكيه فيها وإنها ... لأوسع مما كان فيه وأرغد

---

[1] في غير الأصل : زيادة (رضي الله عنه) .
[2] أخرجه مسلم في (٤٣) كتاب الفضائل (٤٠) باب فضائل عيسى عليه السلام ح (٢٣٦٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .
[3] أخرجه البخاري في (٦٠) كتاب الأنبياء (٤٤) باب قوله تعالى : (واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها مكاناً شرقياً) ح (٣٤٣١) ، ومسلم في (٤٣) كتاب الفضائل (٤٠) باب فضائل عيسى عليه السلام ح (٢٣٦٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه . وهذا لفظ مسلم .
[4] أخرجه مسلم في نفس الكتاب السابق عقب الرواية السابقة .
[5] أخرجه مسلم عقب الحديث السابق .
[6] سقط من غير الأصل .
[7] أخرجه البخاري في (٥٩) كتاب بدء الخلق ، (١١) باب صفة إبليس وجنوده ح (٣٢٨٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .
[8] في المطبوع : (لرخصه) .
[9] في غير الأصل : (للمألوف) .
[10] في (م) والمطبوع : (وأنشد) .

ولهم نظير هذه الإشارة في قبض كفه عند خروجه إلى الدنيا ، وفي فتحها عند خروجه منها . وهو الإشارة إلى أنه خرج إليها[١] مركباً على الحرص والجمع وفارقها صفر اليدين منها وأنشدوا في ذلك :

وفي قبض كف الطفل[٢] عند ولاده ... دليل على الحرص الذي هو مالكه
وفي فتحها عند الممات إشارة ... الى فرقة المال الذي هو تاركه

ولهم نظير هذه الإشارة في بكاء الطفل (عند خروجه)[٣] وضحك من حوله وأن الأمر سيتبدل[٤] ويصير إلى ما يبكي من حوله عند موته كما ضحكوا عند ولادته وأنشدوا[٥] في ذلك :

أنسيت[٦] إذ ولدتك أمك باكياً ... والناس حولك يضحكون سرورا
واعمل[٧] لعلك أن تكون إذا بكوا ... في يوم موتك ضاحكاً مسرورا

ونظير هذه الإشارة أيضاً قولهم أن المولود حين ينفصل يمد يده إلى فيه إشارة إلى تعجيل نزله عن القدوم بأنه ضعيف[٨] ومن تمام إكرامه تعجيل قراه ،فأشار بلسان الحال إلى ترك التأخير وربما مص إصبعه إشارة إلى نهاية فقره ، وأنه بلغ منه إلى مص الأصابع. ومنه قول الناس لمن بلغ به الفقر غايته هو[٩] ومص أصابعه :

ويهوي إلى فيه يمص بنانه ... يطالب بالتعجيل خوف التشاغل
ويعلمهم أني فقير وليس لي ... من القوت شئ غير مص أناملي

---

(1) سقط من (م) و (ق) .
(2) في المطبوع : (المرء) .
(3) سقط من غير الأصل .
(4) في غير الأصل : (سيبدل) .
(5) في المطبوع : (وأنشد) .
(6) في غير الأصل : (ولدتك إذ ولدتك) .
(7) في غير الأصل : (فاعمل) .
(8) في غير الأصل و (ق) : (ضيف) .
(9) في غير الأصل : (فهو) .

ونظير هذه الإشارة أنه يحدث (حال ولادته يقول بلسان الحال : لا تنكروا أحداث من استفتح بالحدث في دار الحدث ، كذلك كنتم من قبل ، وليس العجب ممن أحدث ، بل)[1] العجب ممن يطهر من الحدث .

ويحدث بين الحاضرين إشارة — إلى أنه من حادث ليس يعصم
يقول وعندي بعد (ذي)[2] أخواتها — وما منكم إلا وذو العرش أرحم

ونظير هذه الإشارة أنه[3] يضحك بعد الأربعين ، وذلك عندما يتعقل نفسه الناطقة ويدركها . وفي ذلك قصاص من البكاء الذي أصابه عند ولادته وتأخر بعده ، لئلا[4] يتأسى العبد إذا أصابته شدة ، فالفرج كامن بطنها° في آثارها :

ويضحك بعد الأربعين إشارة — إلى فرج وافاه بعد الشدائد
يقول هي الدنيا فتبكيك مرة — وتضحك أخرى فاصطبر للعوائد

قالوا : ويرى المنامات[6] بعد ستين يوماً من ولادته ، ولكن ينساها / لضعف القوة الحافظة [١٢٩/أ] وكثرة الرطوبات ، وفي ذلك لطف به أيضا لضعف[7] قلبه عن التفكير فيما يراه .

ويرى بعين القلب إذ تأتي له — ستون يوماً رؤية الأحلام
لكنه ينساه بعد لضعفه — عن ضبطه في يقظة ومنام



(1) سقط من المطبوع .
(2) سقط من (م) و (ق) والمطبوع .
(3) (أن) في (م) و (ق) .
(4) (لكي) في غير الأصل .
(5) هكذا في الأصل وفي غيره (كأم يطلبها في آثارها) .
(6) في المطبوع : (الأماني) .
(7) سقط من الأصل .

فصل

ولما تكامل للنطفة أربعون يوماً فاستحكم نضجها ، وعقدها حرارة الرحم استعدت لحالة هي أكمل من الأولى وهي الدم الجامد الذي يشبه العلقة ويقبل الصورة ويحفظها بانعقاده[١] وتماسك أجزائها ، فإذا تم لها أربعون استعدت لحالة هي أكمل من الحالتين قبلها وهي صيرورتها لحماً أصلب من العلقة وأقوى وأحفظ والمخ المودع فيها واللحم الذي هو كسوتها والرطوبات[٢] التي تمسك أجزائه وتشد بعضها إلى بعض ، والكبد الذي يأخذ صفو الغذاء ويرسله إلى سائر الأعضاء ، والى الشعر والظفر والأمعاء التي[٣] هي مجاري وصول الطعام والشراب إلى المعدة ، والعروق التي هي مجاري تنفيذه وإيصاله إلى سائر أجزاء البدن ، والمعدة التي هي خزانة الطعام والشراب وحافظته لمستحقيه ، والقلب الذي هو منبع الحرارة ومعدن الحياة والمستولي على مملكة البدن ، والرئة التي هي تروح عند[٤] البدن وتفيده الهواء البارد الذي به حياته ، واللسان الذي هوبريد القلب وترجمانه ورسوله والسمع الذي[٥] صاحب أخباره ، والبصر الذي هو طليعته ورائده والكاشف له عما يريد كشفه والأعضاء التي هي خدمه وخوله ، والرجلان تسعى في مصالحه ، واليدان[٦] تبطش في حوائجه ، والأسنان تفصل قوته وتقطعه والأضراس تطحنه والريق يعجنه ، والحرارة تنضجه والمعدة تجزئه ، والكبد يخدمه ، والعروق توصله إلى أربابه ، والذكر آلة نسله ، والأنثيان خزانة مادة النسل ، فالكبد للغذاء / وقسمته [١٢٩/ب] وهي في الحيوان بمنزلة شرش الشجر والنبات تجذب الغذاء وترسله إلى جميع الأجزاء وآلات الغذاء خدم لها والقلب للأرواح التي بها حياة الحيوان وآلات التنفس[٧] خدم له[٨] والدماغ معدن الحس والتصور والحواس خدم [له][٩] والأنثيان معدن التناسل والذكر خادم لهما وهذه الأعضاء هي رأس أعضاء البدن .



(1) في غير الأصل : (بانعقادها) .
(2) في غير الأصل : (والرباطات) .
(3) في (م) و (ق) : (الذي) .
(4) في غير الأصل : (عن) .
(5) زيادة (هو) في غير الأصل .
(6) في غير الأصل (واليد) .
(7) في المطبوع : (النفس) .
(8) في (م) و (ق) : (لها) .
(9) سقط من الأصل .

فصل
{ آلات الغذاء }

وأما الآلات الغذاء فثلاثة أقسام وآلة تقبل الغذاء وتصلحه وتفرقه وترسله إلى جميع البدان وآلة تقبل فضلاته وآلة تعين في إخراج ثقله وما لا منفعة في بقائه فأما الآلات القابلة فهي الفم والمرئ والبطن والكبد والعروق الموصلة إلى الكبد والعروق الموصلة منها[١]إلى البدن .

وأما آلات القابلة للفضلات فالمرارة تقبل ما لطف منه والطحال يقبل كثيفه والكلى والمثانة يقبلان المتوسط والكبد موضوعه في الجانب الأيمن وتأخذ يسيراً إلى الجانب الأيسر وهذه الحكمة بديعة هي أن القلب إلى[٢]الجانب الأيسر أقرب وهو معدن الحار الغريزي فنحيت[٣]عنه الكبد قليلاً لئلا يتأذى بحرارتها وجعل في أوعية الغذاء قوى خادمة له فالفم مع كونه يقطع الغذاء ويطحنه يحيله ويغيره والمريء مع كونه منفذاً إلى المعدة يغيره تغييراً ثانياً والمعدة مع كونها خزانة حافظة له تنضجه وتطبخه فتغيره تغييراً ثالثاً وتهضمه وتنفي[٤]منه مالا يصلح منه[٥]فتخرجه وتدفعه إلى مخرج الثفل فإن الطعام إذا استقر في المعدة اشتملت عليه وانضمت غاية الانضمام ثم انضجته بحرارتها ، ثم تتولاه الكبد وتشتمل عليه تقلبه دماً خالصاً ثم تقسمه على جميع الأعضاء قسمة عدل لا جور فيها ولا حيف .

ولما كانت المعدة حوض البدن الذي يرده أجزاء البدن من كل ناحية اقتضت الحكمة الإلهية جعلها / في وسطه وخالص الغذاء يتأدى إلى الكبد من شعب كثيرة وتجتمع في موضع [١٣٠/أ] واحد واسع يسمى باب الكبد وجميع العروق التي تتصل بالمعدة والأمعاء والطحال فتجتمع[٦]وترقى إلى باب الكبد وفي المعدة (قوة بخار)[٧]تجذب الموافق ويبقى المخالف المنافي

---

(1) سقط من (ق) .
(2) في غير الأصل : (في) .
(3) في غير الأصل : (فتجنب) .
(4) في (م) و (ق) : (وتبقى) .
(5) سقط من (م) و (ق) .
(6) في (م) و (ق) : (تستجمع وترتقي) .
(7) سقط من (م) و (ق) والمطبوع .

الذي عجزت قوة المعدة[١] عنه ثم إن الكبد تصفيه وتنقيه بعد اجتذابه مرة آخرى وتنقي عنه غـــير الموافق . وقد أعد الصانع الحكيم سبحانه لتنقية الدم من الكبد ثلاثة خدام فارهين قائمين بالمرصاد بلا كسل ولا فتور وقد وضع كل واحد منها في المكان الأليق[٢] به ونصبه [نصبة][٣] بها يكـــون أمكن من عمله .ولما أستقر الغذاء في المعدة وطبخته وأنضجته صارت فضـــلاته ثلاثـــة : فضـــلة كالدردي الراسب ، وفضلة كالرغوة والزبد الطافي ، وفضلة مائية ، فجعل كل خادم من هـــذه الخدم[٤] الثلاثة على فضلة لا يتعداها إلى الآخرى ليجذبها من مجرى خادم الفضلة الخفيفة[٥] الطافية وهي الصفرة والمرارة[٦]، ونصبها الرب تعالى فوق الكبد ، لأن المجتذب هو الفضلة الطافية ومكانها فوق مكان الدردي الراسب . وخادم الفضلة التي هي كالدردي الراسب الطحال ، ونصبه الخلاق العليم أسفل من باب الكبد حيث كان ما يجتذبه من أسفل[٧] و لم يكن في الجانب الأيمن لأن المعدة قد شغلت ذلك الجانب . وكان الجانب الأيسر خالياً فلم تعده .

فإذا نقي الدم من هاتين الفضلتين خدمه الخادم الثالث وهوالكبد وقد بقي أحمر نقي اللون مشرقاً نورانياً ، ويصل إليها من عرق عظيم يسمى الأجوف ثم يوزع من هناك على جهتي البدن العليا والسفلى في رواضع كثيرة العدد ما بين كبير وصغير ومتوسط كلها تتصل بالعرق الأجوف وتمتاز منه وما دام الدم في هذا العرق ففيه مائية غير محتاج إليها لأنها كانت مركب[٨] الغذاء فلمـــا أوصلته إلى مستقره[٩] / استغنى عنها فاحتاج ولا بد إلى إخراجها ودفعها ، ولو لم يبادر إلى ذلك [١٣٠/ب] أضرت به فخلق الله سبحانه الكليتين يمتصان هذه الفضلة بعنقين طـــويلين[١٠] كـــالأنبوبين[١١]، ويفرغانه[١٢] في المثانة بعرقين آخرين ووضعهما سبحانه أسفل من الكبد قليلاً حيث يكون أمكن

---

(1) (وقتها) في غير الأصل .
(2) في غير الأصل : (اللائق) .
(3) سقط من الأصل .
(4) في المطبوع : (الخادم) .
(5) في (ق) : (الخفية) .
(6) في (م) و (ق) : (الصفرة المرارة) ، وفي المطبوع : (للصفرة المرارة) .
(7) (من سفل) في (م) و (ق) .
(8) في غير الأصل : (متركب) .
(9) في (م) و (ق) : (مستقرها) .
(10) في (م) و (ق) : (طويل) .
(11) في المطبوع : (كالأنبوبتين) .
(12) (ويفرغانها) : في غير الأصل .

لتخليص المائية كما ترون العصارات وأما المرارة فوضعها الله سبحانه فوق الكبد لأنها بمترلة السفنجة .أو القطنة التي يقطف بها الدهن عن وجه الرطوبات .

وأما الطحال فوضعها[1]أميل إلى أسفل لأنه بمترلة ما يجتذب الأشياء المصونة إذا رسبت .



[1] في المطبوع : (فوضعه) .

فصل

إذا انتفى الدم من هذه الفضول[١] كلها وعملت فيه هذه الخدم بقواها التي أودعها فيها هذا العمل وأصلحته هذا الإصلاح عمل ملك الأعضاء والجوارح وهو القلب فيه عملاً آخر فقصره[٢] بحرارة أخرى هي أقوى من حرارة الكبد .



(1) في المطبوع : (الفضلات) .
(2) (فقصده) : في غير الأصل .

فصل

{ المعدة ومتعلقاتها }

وجعل سبحانه في المعدة أربع قوى :

قوة جاذبة للملائم ، وقوة منضجة له ، وقوة ممسكة له ، وقوة دافعة للفضلة المستغنى عنها منه . ورئيس هذه القوى هي القوة المنضجة وسائرها خدم لها .

وخصت المعدة عن سائر الأعضاء بأن أودع فيها قوة تحس بالعوز والنقصان ، وخاصية[١] فمها ، يتنبه الحيوان على تناول الغذاء عند الحاجة . وأما سائر الأعضاء فإنها تتغذى بالنبات باجتذاب الملائم إليها .

ولما احتاجت المعدة إلى قوة حس[٢] بالعوز ، ولم يكن ذلك إلا من معدن الحواس وهو الدماغ أتاها روح العصب وهو عظيم[٣] فأنبت أكثره[٤] في فمها وما يليه ومن[٥] باقيه مستقيماً حتى بلغ قعرها .

فإن قيل : فما الحكمة في أن باعد سبحانه بين العدة وبين[٦] الفم ، وجعل بينهما مجرى طويلاً وهو المرئ ، وهلا اتصلت المعدة بالفم واستغنت عن المرئ ؟ .

قيل : هذا من تمام حكمة الخالق ، وفيه منافع كثيرة :

مها : أن يحصل للغذاء تغير ما في طول[٧] المجرى ، فيلطف قبل وصوله إليه .

ومنها : بعده عن آلة التنفس لئلا تعوقه / وتعوق الصوت والكلام . [١٣١/أ]

---

(1) في (م) و (ق) : (خاصة فمنها) ، وفي المطبوع : (خاصتها) .

(2) في المطبوع : (وحس) .

(3) في (م) و (ق) : (روح العصب عظيم) ، وفي المطبوع : (روح لعصب عظيم) .

(4) في غير الأصل : (أكثرها) .

(5) سقط من المطبوع .

(6) سقط من المطبوع .

(7) في غير الأصل : (طريق) .

ومنها[١]: أن لا تتقلب المعدة إلى خارج عند شدة الجوع كما يعرض ذلك للحيوان الشره إذا كان قصير العنق .

فإن قيل : فلم كانت إلى الجانب الأيسر أميل منها إلى الجانب الأيمن ؟ .

قيل : ليتسع المكان على الكبد ولا ينحصر .

فإن قيل : فهلا كانت مستقيمة في وضعها[٢]، بل مال أسفلها إلى الجانب الأيمن ؟

قيل : ليتسع المكان على الطحال حيث كان أحفظ موضعاً من الكبد .

فإن قيل : فلم جعلت مستطيلة مدورة ، وجعلت مما يلي الصلب مسطحه ؟

قيل : لما وضعها الله سبحانه[٣]بين الكبد والطحال جعلها مستطيلة وكانت مستديرة ليتسع الموضع للطعام والشراب وكان أسفلها أوسع من أعلاها لذلك ، وجعل لها مدخلاً وهو المرئ ومخرجاً يسمى البواب .

وجعل البواب أضيق من المرئ لأن ما تبتلعه يكون أصلب وأخشن مما تخرجه ، فجعل مدخل الداخل أوسع من مخرج الخارج لانطباخه[٤]في المعدة ولينه ولحكم أخرى :

منها : أن لا يزل الطعام والشراب منه قبل نضجه . وانطباخه[٥]، ولتقوي المعدة على حبسه وليخرج أولاً فأولاً لا دفعة واحدة والمرئ يتسع بالتدريج حتى يبلغ المعدة ولذلك يظن أنه جزء منها .

وأما البواب فإن الجزء الضيق منه يتصل بأسفلها الذي هو اوسعها ثم تتسع على التدريج ليتسهل[٦]خروج الفضلة .



(1) سقط من غير الأصل .
(2) في (م) و (ق) : (وصفها) .
(3) في (م) و (ق) : (تعالى) ، وسقط من المطبوع .
(4) في المطبوع : (لإنضاجه) .
(5) في (م) و (ق) : (وإناه) وسقط من المطبوع .
(6) في غير الأصل : (ليسهل) .

فصل

{ الكبد ووظائفه }

والكبد منطبقة على المعدة مكبوبة[(١)] عليها بزوائدها لتسخنها والطحال يسخنها من الجانب الأيسر والصلب يسخنها من الخلف والترائب من قدامها .

والترائب مؤلفة من طبقتين رقيقتين تنطبق إحداهما على الأخرى بشحم كثير وهو غشاء الأمعاء كلها ولباسها ، ثم غشي البطن كله بغشاء واحد يقي الأحشاء ويمنع من انفتاح المعدة والأمعاء بالرياح . ويربط جملة آلات الغذاء و لم يجعل في الكبد تجويف كتجويفي القلب لتحتوي على الدم احتواء ممكناً وتحيله إحالة بليغة / . [١٣١/ب]

وللكبد ثلاث شبكات[(٢)] من العروق : شبكة بينها وبين المعدة والأمعاء ، وشبكة في مفرعها ، وشبكة في مجذبها ،

فالشبكة الأولى : تجذب[(٣)] الغذاء وتحيله[(٤)] بعد الإحالة[(٥)].

وفي الشبكة الثانية : يصير دماً ، وفي الشبكة الثالثة : يزداد صفاء وترويقاً ، وللكبد بالقلب والدماغ اتصال بشطبة[(٦)] من العصب خفية كنسج العنكبوت .

ولما كانت النفس المغذية بمترلة حيوان غاز[(٧)] وحشي ، وكل جسم يموت فلا بد أن يتصل به هذه النفس وتغزوه بخلاف النفس المفكرة التي محلها الدماغ وبخلاف النفس الغضبية التي محلها القلب ، فالنفس المفكرة تستيعين بالنفس الغضبية على تلك النفس الحيوانية العاصة[(٨)] الوحشية ،

---

(1) في غير الأصل : (محتوية) .
(2) في غير الأصل : (شباك) .
(3) في (م) و (ق) : (تجتذب) .
(4) في (م) و (ق) : (وتحليه) .
(5) (بعد أن أحاله) في المطبوع .
(6) هكذا في الأصل ، وفي (م) و (ق) : (بشطنه) ، وفي المطبوع : (بشظة) .
(7) في المطبوع : (عادٍ) .
(8) هكذا رسمت في الأصل ، وفي (م) و (ق) : (الغايبة) ، وفي المطبوع : (العادية) .

اقتضت حكمة الخالق تعالى [١]أن وصل بين محال[٢]هذه الأنفس الثلاثة وسعها[٣]ليـدعن بعضـها لبعض .

ولا تنكر تسمية هذه القوى نفوساً ، فليس الشأن في التسمية فأنت تجد فيك نفساً حيوانية تطلب الطعام والشراب ونفساً مفكرة سلطانها على التصور والعلم والشعور ، ونفسـاً غضـبية سلطانها على الغضب والإرادة ، وتصرف كل واحد[٤]منها فيما جعل إليه ، وبعضها عوناً لبعض فمحل النفس الحيوانية الكبد ، ومحل النفس المفكرة الدماغ ، ومحل الغضبية القلب .



(1) في غير الأصل : (سبحانه) .
(2) (محل) في غير الأصل .
(3) سقط من المطبوع .
(4) في غير الأصل : (وتغرب كل واحدة منها) .

فصل

وتأمل الحكمة في أن جعلت صفاقات عروق الكبد أرق من صفاقات سائر عروق البدن لينفذ إلى الكبد (فيروق)[١] جوهر الدم بسرعة .

وهي مع ذلك غير محتاجة إلى الوقاية لأن الكبد تحوزها بلحمها ، وإنما وضعت مجاري المرة الصفراء بعد العروق التي تصعد الغذاء من المعدة وقبل العروق التي تأخذ الدم لأن هذا الموضع هو بين موضع كمال الطبخ وبين انتقاله إلى العرق الأجوف .

وحينئذ يمكن انفصال المرارة عن الدم وجمعت العروق كلها إلى[٢] عرق واحد هو الباب ، ثم عادت فتقسمت في مقعر الكبد ، ثم / عادت فجمعت في مجذبها[٣] إلى عرق واحد . وهو [١٣٢/أ] الأجوف لتجيد بقسمتها انضاج ما يحتوي عليه ، ولئلا ينفذ بسرعة . وكذلك كل موضع احتيج فيه إلى طول مكث المادة حين[٤] بقاؤها فيه بطول مسلكها وكثرة تعاويجه كما فعل في مجاري المني وشبكة الدماغ وهذا شأن العروق الجواذب .

وأما شأن العروق الضوارب : فبالعكس من ذلك فإنها جمعت في مقعر الكبد دون مجذبها[٥] لأنه موضع الدم ، وحاجته إلى التغذية بالحرارة ماسة .

قال جالينوس[٦] : ولا تقسم[٧] العروق الضوارب في مجذب يعلم الخالق سبحانه أن جذبه الكبد تتحرك دائماً بمجاورة [الحجاب][٨] فيقوم لها مكان حركة العروق الضوارب وجعلت هذه العروق الضوارب دقاقا لانها إنما وضعت لترويح الكبد لا لتغذيتها ولا لإيصال روح إليها ، إذ ليس بالكبد حاجة إلى قبول روح حيواني كثير ولا يحتاج لحمها إلى غذاء لطيف بخاري .



(1) في (م) و (ق) : (فوق) ، وسقط من المطبوع .
(2) في (ق) : (إلا) .
(3) في (م) و (ق) : (مجدها) .
(4) هكذا في الأصل ، وفي (م) و (ق) والمطبوع : (هيء) .
(5) في غير الأصل : (دون مجده بها) .
(6) جالينوس : (سبق ترجمته) .
(7) في المطبوع : (ولا تقع) .
(8) بياض بالأصل والاستدراك من البقية .

فصل

وأحرزالصانع سبحانه موضع الكبد ووضعها بأن ربطها بالمعدة والأمعاء كلها بالعروق ، وبالغشاء الممدود على البطن الذي يشد جميعها ، ووصل بها رباطات من جميع النواحي وغشاؤها الرابط لها يتصل بالحجاب برباط قوي ، ورباط الكبد بالحجاب حين[١] صلب وثيق لأن الكبد معلقه به ، وهو أصلب من غشاء الكبد لشدة الحاجة إلى صلابته ، لأنه يحرز الكبد والعرق الأجوف الذي[٢] متى نالته آفة مات الحيوان .

كما تهلك أغصان الشجرة إذا أصاب ساقها آفة .

وجعل أرق هذا الرباط[٣] من خلف لشده بالعظام وأغلظه من قدام حيث لا عظام هناك تقيه . وهذا من شدة الأسر الذي قال الله تعالى فيها : ﴿ **نَحْنُ خَلَقْنَاهُمْ وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ** ﴾[٤] أي[٥]: شد أوصالهم بالرباطات المحكمة ، وجمع خلقهم بعضه إلى / بعض ولما كان الحجاب آلة [١٣٢/ب] شريفة للنفس بوعد عنه العضوان المجاوران[٦] له وهما : المعدة والكبد بمقدار حاجته لـئلا يزحماه ويعوقانه[٧] عن فعله .

فبوعدت المعدة عنه بطول مزاجها[٨].



---

(1) سقط من المطبوع .

(2) سقط من المطبوع .

(3) في غير الأصل : (هذه الرباطات) .

(4) سورة الإنسان الآية (٢٨) .

(5) سقط من غير الأصل .

(6) في (م) و (ق) : (بوعد من العضوان المحاوران) وفي المطبوع : (بوعد من العضوين المجاورين) .

(7) في غير الأصل : (يعوقاه) .

(8) في غير الأصل : (مجراها) .

﴿ فصل ﴾

{ الطحال }

وأما الطحال : فبعضهم يقول :[1] لا نفع فيه وإنما شغل المكان به لئلا يبقى فارغاً فيميل أحد شقي البدن بثقل الكبد فجعل موازناً للكبد .

قلت : وهذا غلط من وجه ، وصواب من وجه .

فأما[2] الصواب : فمن الحكم العجيبة جعل الطحال في الجانب الأيسر على موازنة الكبد لئلا يميل الشق الأيمن بها . ولا يمكن أن تقوم المعدة بموازنة الكبد لئلا تميل[3] وتخلو فتارة تكون أخف من الكبد وتارة أرجح منها ، فيصير البدن مترجحا أويميل إلى شق الكبد وقتاً ، والى شق المعدة وقتاً آخر .

فجعل الخالق سبحانه الطحال يوازن الكبد وجعل المعدة بينهما في الوسط لئلا يميل[4] جانب ويشف[5] آخر عند امتلائها وخلوها . فلما جعلت وسطاً لم يختلف وضع البدن باختلافها .

وأما الغلط : فهو قوله : لا منفعة ، فيه ، وإنما يشغل المكان لئلا يبقى فارغاً فإنه لو لم يعلم فيه منفعة لم يكن له أن ينفيها فإن عدم العلم بالمنفعة لا يكون علماً بعدمها . كيف[6] ولا شئ في البدن خالٍ عن المنفعة البتة .

وفي الطحال من المنافع أنه يجذب الفضلة الغليظة الكريهة[7] السوداء من الكبد نوعا من جنس العروق كالعنق له فإذا حصل تلك الفضلة عنده أنضجها وأحالها .

---

(1) في المطبوع زيادة : (أنه) بعد : (يقول) .
(2) في غير الأصل : (أما) .
(3) في غير الأصل : (لأنها دائماً تمتلئ وتخلو) .
(4) هكذا أمكن قراءتها من الأصل وفي (م) و (ق) والمطبوع : (ليثقل) .
(5) في الأصل و (م) و (ق) : (يشف) ، وفي المطبوع : (يخف) .
(6) سقط من غير الأصل .
(7) في (م) و (ق) : (العكرية) ، وفي المطبوع : (العكرة) .

وهو ينضح غليظ الدم وعكره كما ينضح قولون غليظ الغذاء ويابسه ويستعمل في فعله العروق الضوارب الكثيرة الكبيرة المبثوثة فيه كله[١] فما نضج واستحال إلى طبيعته صار غذاء له وما لم يمكن أن ينقلب إلى الدم الموافق له قذفه إلى المعدة بعنق آخر من جنس العروق .

وإنما أمكنه جذب الفضل الأسود بقوة لحمه لأنه رخو متحلحل نحيف[٢] كالإسفنج وإنما / [١٣٣/أ] اتصلت به العروق الضوارب الكثيرة ليستعين بها على[٣] انضاج الفضول السود ، وليبقى لحمه خفيفاً ، متحلحلاً لأن دم الشرايين رقيق لطيف قريب طبيعتة البخار فما اغتذى به كان نحيفاً كالرئة ولكن الرئة تغتذي بما صفا ورق وأشرق وكان أحمر نارياً ولذلك كانت الرئة أخف وزناً منه واخف جرماً وممالة إلى البياض .

وأما الطحال فيغتذى بما لطف من الخلط الأسود وأنضج من الشرايين فيستريح منه البدن ويغتذى به الطحال ، فالطحال يتغذى بغذاء ألطف[٤] من غذاء الكبد لأنه يرشح إليه من الشرايين التي صفا فإيها يجيبه[٥] جداً ولأجل سواد تلك الفضلة وكونها عكرة في الأصل لم يكن لون الطحال أحمر ولا مشرقاً .

فأما الكبد فيغتذى بدم غليظ فاضل يرشح إليها من العروق غير الضوراب فلجودة غذائها كان لونها أحمر ولغلظه كانت كثيفة فالكبد يتغذى بدم أحمر غليظ والطحال بدم أسود لطيف والرئة بدم صاف مشرق في غاية النضج قريب من طبيعة الروح فجوهر كل عضو على ما هو عليه صير غذاؤه ملائما له فالغاذي شبيه بالمغتذي في طبعه وفعله .

وهذا كما أنه حكمة الله سبحانه في خلقه فيه جرت حكمته في شرعه وأمره حيث حرم الأغذية الخبيثة على عباده لأنهم إذا اغتذوا بها صارت جزءاً منهم فصارت أجزاؤهم مشابهه لأغذيتهم إذ الغاذي شبيه بالمتغذي[٦] بل يستحيل إلى جوهره . ولهذا كان نوع الإنسان أعدل

---

[١] في غير الأصل : (كلها) .
[٢] في المطبوع : (خفيف) .
[٣] في غير الأصل : (استغنى بها عن إنضاج) .
[٤] في غير الأصل : (لطيف) .
[٥] هكذا أمكن قراءتها ، وفي المطبوع : (يحبه) .
[٦] في غير الأصل : (بالمغتذي) .

أنواع الحيوان مزاجاً لاعتدال غذائه وكان الاغتذاء بالدم ولحوم السباع يورث المغتذي بها قوة شيطانية سبعية عادية على الناس فمن محاسن الشريعة تحريم هذه الأغذية وأشباهها إلا إذا عارضها مصلحة أرجح منها كحال / الضرورة ولهذا أكلت النصارى لحوم الخنازير فأورثها نوعاً من [١٣٣/ب] الغلظة والقسوة .

وكذلك من أكل لحوم السباع والكلاب صار فيهم منها[١] ولما كانت القوة الشيطانية السبعية[٢] ثابتة لازمة لذوات الأنياب من السباع حرمها الشارع ولما كانت القوة الشيطانية عارضة في الابل أمر بكسرها بالوضوء لمن أكل منها[٣] ولما كانت الطبيعة الحمارية لازمة للحمار حرم رسول الله ﷺ لحوم الحمر الأهلية[٤] . ولما كان الدم مركب الشيطان ومجراه حرمه الله تعالى تحريماً لازماً .

فمن تأمل حكمة الله سبحانه في خلقه وأمره وطابق[٥] بين هذا وهذا فتحاً له باباً عظيما في معرفة الرب سبحانه[٦] واسماءه وصفاته ، وهذا هو الذي حركنا لبسط النفس[٧] في هذا المقام الذي لا يكاد أن ترى فيه إلا أحد طريقين :

طريقة طبيب[١] معرض عن الوحي[٢] مقلد لبقراط وطائفة قد عبرت (وتحورت وعميت عمشت)[٣] عيناه عن الرسل وما جاءوا به وهو ممن قال تعالى فيه : ﴿ **فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُون(٨٣)** ﴾[٤] .

---

(1) في غير الأصل : (صار فيه قوتها) .

(2) سقط من غير الأصل ، وهناك كلمة بدلها وهي : (عارضة) .

(3) ورد النهي عن الوضوء من لحوم الإبل عند أكلها في أحاديث كثيرة .

منها ما أخرجه الترمذي في ( ) أبواب الطهارة ، ( ) باب ما جاء في الوضوء من لحوم الإبل ح (٨١) من حديث البراء بن عازب قال : سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الوضوء من لحوم الإبل فقال : " توضؤا منها . . . " الحديث ، وفي الباب عن جابر بن سمرة وأسيد بن حضير وغيرهما .

(4) ورد النهي عن أكل لحوم الحمر الأهلية في أحاديث عدة أحدها : ما أخرجه البخاري في ( ) المغازي . ( ) باب غزوة خيبر ح (٤٢١٦) ، ومسلم في ( ) النكاح . ( ) بابنكاح المتعة ح (١٤٠٧-٢٩ ٩) من حديث علي رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم : " نهى عن متعة النساء يوم خيبر ، وعن أكل لحوم الحمر الإنسية " .

(5) في غير الأصل : (وطبق) .

(6) في غير الأصل : (تعالى) .

(7) في المطبوع : (القول) .

وطريقة[٥] من يجحد ذلك كله ويكذب قائله ويظن منافاته للشريعة ، فيجحد حكمة الله في خلقه وإبداعه في صنعه جهلاً منه .

وكلا الطريقين مذموم ، وسالكه من الوصول إلى الغاية محروم فلا نكذب بشرع الله ولا نجحد حكمة الله .

وأكثر ما أفسد الناس أنهم لم يروا إلا طبائعيا زنديقاً منحلاً عن الشرائع أو متسننا[٦] قادحاً فيما جرت به حكمة الله تعالى ومشيئته في خلقه منكراً للقوى والطبائع والأسباب والحكم والتعليل ، فإذا أراد الأول أن يدخل في الإسلام (جبذه إلى زندقته)[٧] جهل هؤلاء ومكابرتهم للمعقول والحس ، وإذا أراد هذا[٨] أن يدخل في معرفة الحكم / والغايات وما أودع الله في مخلوقاته من [١٣٤/ أ] المنافع والحكم[٩] والقوى والأسباب ، (جبذه إلى جهله)[١٠] زندقة هؤلاء وكفرهم وإعراضهم عما جاءت به الرسل وفرحهم[١١] بما عندهم من العلم فيختار دينه على عقله ويختار ذلك عقله وما استقر عنده مما لا يكابر فيه حسه ولا عقله على الدين .

وهذا قد بلي به أكثر الخلق فما قرره أئمة الأطباء والطبائعيين[١٢] أحد أنواع أدلة التوحيد والمعاد ، وصفات الخالق وما أخبرت به الرسل بل[١٣] هو من أظهر ادلته فلا يزداد الباطن فيه إلا إيماناً .

---

(1) في المطبوع : (طريق) .

(2) في غير الأصل : (معترض للوحي) .

(3) سقط من غير الأصل .

(4) سورة غافر الآية : (٨٣) .

(5) في المطبوع : (طريق) .

(6) في غير الأصل : (ضده) .

(7) سقط من غير الأصل .

(8) سقط من غير الأصل .

(9) سقط من المطبوع .

(10) في غير الأصل : (ضده) .

(11) في غير الأصل : (وقدحهم) .

(12) في غير الأصل : (وهذا قد بلى خلق الأطباء والطبائعيين فهو عنده أحد أنواع . . .) .

(13) سقط من غير الأصل .

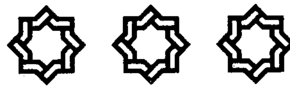
وما أخبرت به الرسل لا يناقض ما جرت به عادة الله تعالى وحكمته في خلقه من نصب الأسباب وترتيب مسبباتها عليها بعلمه وحكمه[١] فمصدر خلقه وأمره علمه تعالى وحكمته وأدلة[٢] الرب تعالى وآياته لا تتعارض ولا تتناقض ولا يبطل بعضها بعضاً . والله أعلم .



[1] في المطبوع : (وحكمته) .
[2] في غير الأصل : (والآء) .

﴿ فصل ﴾

والكبد والطحال متقابلان والمعدة بينهما والعروق الضوارب تتصل بهما[1] المعدة ، والقلب بمنزلة التنور أو بمنزلة اتون الحمام يسخن ماؤه وله إلى كل بيت منفذ ينفذ فيه[2] وهج النار إليه وكذلك الحار الغريزي الذي منبعه من القلب ينفذ في مسالك ومنافذ إلى جميع الأعضاء فيسخنها.



(1) في غير الأصل : (بها) .
(2) في المطبوع : (منه) .

فصل
{ الأمعاء }

وجعلت الأمعاء مسلكا مؤديا والمعدة هي الآلة لهضم[١]الغذاء واستمرائه والأمعاء تؤدي ذلك إلى الكبد .

ولما كانت الأمعاء آلة الاداء والإيصال كثرت لفائفها وطولها وكانت العروق التي تأتيها من الكبد لا تحصى كثرة لينفذ فيها الغذاء أول فأول ويستقضيه[٢] يسيراً يسيراً .

فلولا تطويل لفائف الأمعاء لكان الغذاء يخرج قبل أخذها خاصيته وكانت تعرض لهم شهوة[٣]الأكل دائماً . وكان الإنسان يعدم التفرغ لمصالحه وسائر اعماله وكان دائما مكباً على الغذاء ولهذا صار الحيوان الذي ليس[٤]لأمعائه استدارات بل له معاء واحد مستقيم مكباً على الغذاء عديم الصبر عنه / كالمسكر[٥]. [١٣٤/ب]

وأما ما لأمعائه استدارات فإنه إذا فاته الغذاء أو بعضه في الاستدارة الأولى صادفه في الثانية . فإن[٦]فاته في الثانية ، صادفه في الثالثة والرابعة والخامسة كذلك . فيمكن صبره على الغذاء حكمة بالغة .

وينفذ[٧]إلى الأمعاء شعب[٨]من العروق الضاربة تأخذ[٩]من الغذاء جزءاً يسيراً لطيفاً وأما العروق غير الضاربة هي[١٠]مجاري الغذاء بالحقيقة فأخذت أكثره .

---

(1) في غير الأصل : (تهضم) .
(2) في المطبوع : (وتفيضه) .
(3) في غير الأصل : (وكان يعرض إليهم بشهوة) .
(4) سقط من (م) و (ق) .
(5) هكذا في الأصل ، وفي غيره : (كالفيل) .
(6) زيادة : (هو) في غير الأصل .
(7) في المطبوع : (وما ينفذ) .
(8) في غير الأصل : (يبعث) .
(9) في المطبوع : (ويأخذ) .
(10) في المطبوع : (فهي).

وأما العروق الضاربة فجعلت مسلكاً للأرواح المنبعثة من القلب فاستغنت بقليل الغذاء وجعل للقلب وصلة بالأمعاء ليسخنها[١] أولا ويمدها بقوة الحياة[٢]بإذن خالقه ثم يأخذ منها الجزء الملائم من الغذاء المستغني عن فعل الكبد للطافة جوهره فإن هذا الجزء لو حصل في الكبد لم يؤمن إصرافه[٣]وفساده فلا ينتفع به القلب ثم يأخذ منها عند شدة الحاجة وصدق المجاعة فيتعجل ذلك من أدنى المواضع .

ولذلك نشاهد من أكل من[٤]مسغبة[٥]شديدة يحس بزيادة ونماء في كل أعضاءه حتى ما[٦]يمر الطعام بالمعدة (إلا وقد اخذت الأعضاء حاجتها منه)[٧]قبل استقراره فيها ، فسبحان من اتقن ما صنع .

ولما كانت المعدة آلة هضم الغذاء والأمعاء آلة دفعه جعل للأمعاءطبقتان ليقوى دفعها بهما جميعاً وليكون ذلك[٨] حرزاً لها وحفظاً ولذلك من تعرض له قرحة في[٩]الأمعاء بانحدار في أحد الصفاقين يبقى الآخر سليماً وجعلت الأمعاء الغلاظ لقذف الثقل والدقاق[١٠]لتأدية الغذاء والسبب في أن صار الإنسان لا يحتاج إلى تناول الغذاء دائما كثرة لفائف أمعائه والسبب المانع من قذف الفضول دائماً سعة الأمعاء الغلاظ التي تقوم له مقام وعاء آخر شبيه بالمعدة في السعة كما أن / [١٣٥/أ] المثانة وعاء للبول كذلك .



(1) في (م) و (ق) والمطبوع : (ليحسنها) .

(2) في غير الأصل : (الحار) .

(3) في المطبوع : (إحراقه) .

(4) سقط من غير الأصل .

(5) في المطبوع : (مسنبة) .

(6) سقط من المطبوع .

(7) سقط من غير الأصل .

(8) سقط من غير الأصل .

(9) سقط من غير الأصل .

(10) في المطبوع : (الرقاق) .

فصل

ونحن نذكر فصلاً مختصراً في هذا الباب يجمع لك شتاته[١]بأيضاح وإيجاز أن شاء الله تعالى وبه الحول والقوة فنقول :

المرئ موضوع خلف الحلقوم مما[٢]يلي فقار الظهر ، وينتهي في ذهابه إلى الحجاب ، وهو مشدود برباطات فإذا بعد الحجاب[٣]مال إلى الجانب الأيسر واتسع ، وذلك المتسع هو المعدة ، وأسفلها يعود مائلاً إلى اليمين ، والمعدة مفرطحة[٤]، وفمها هو المستدق[٥]منها ويسمونه الفؤاد وهذا من غلطهم إلا أن يكون ذلك اصطلاحاً خاصاً منهم فإن الفؤاد عند أهل اللغة هو القلب .

قال الجوهري : الفؤاد القلب[٦]، وقال الأصمعي : وفي الجوف الفؤاد هو القلب[٧].

وقد فرق بعض أهل اللغة بين القلب والفؤاد ، فقال الليث : القلب مضغة من الفؤاد معلقة بالنياط[٨]، وقالت طائفة : مستدق[٩]القلب ، وقال النبي ﷺ : " **أتاكم أهل اليمن أرق قلوباً ، وألين أفئدة** "[١٠] ففرق بينهما ووصف القلب بالرقة ، والأفئدة باللين ، وأما كون فم المعدة هو القلب فهذا لا نعلم أحداً من أهل اللغة قاله .

وتأمل وصف النبي ﷺ القلب بالرقة ، التي هي ضد القساوة والغلظة ، والفؤاد باللين الذي هو ضد اليبس والقسوة فإذا اجتمع لين الفؤاد إلى رقة القلب حصل من ذلك الرحمة والشفقة

---

(1) في المطبوع : (شتات ذلك) .

(2) في غير الأصل : (ومما) .

(3) في المطبوع : (فإذا أبعد مال . .) .

(4) في غير الأصل : (مقر طبخه) .

(5) في غير الأصل : (المسدف) .

(6) انظر : الصحاح : (٥١٧/٢) .

(7) انظر : اللسان (/) .

(8) انظر : تهذيب اللغة للأزهري (/) .

(9) في غير الأصل : (مسدف) .

(10) أخرجه البخاري في (٤٦) كتاب المغازي ، (٧٤) باب قدوم الأشعريين وأهل اليمن ح (٤٣٨٨) ، ومسلم في (١) كتاب الإيمان ، (٢١) باب تفاضل أهل الإيمان فيه . ورجحان أهل اليمن فيه ح (٥٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه

والإحسان ومعرفة الحق وقبوله ، فإن اللين أقبل[١] للقبول والفهم[٢] والرقة تقتضي [الرحمة] [٣] والشفقة ، وهذا هو حال كمال العلم والرحمة ، وبهما كمال الإنسان ، وربنا وسع كل شيء رحمة وعلماً .

فلنرجع إلى ما نحن بصدده فنقول :

المعدة مع المرئ ذات طبقتين لطيفتين ، واللحم في الطبقة الداخلة أقل ، ولهذا يغلب عليها البياض وهي عصبية حساسة ، وهو[٤] في الطبقة الخارجة أكثر ولهذا تغلب عليها الحمرة وهي مربوطة على[٥] الفقار / برباطات وثيقة ، وتنتهي من جهة مقرها إلى منفذ هو باب المعدة ، [١٣٥/ب] وبابها[٦] يغلق عند اشتماله على الغذاء مدة هضمه ، ويقال لباطن رحم المعدة حمل المعدة[٧] .

والأمعاء المصارين وهو جمع مصران بضم الميم ، وهو جمع مصير وسمي مصيراً لمصير الغذاء إليه ، والسفلى يقال لها : الأقتاب ، ومنه قوله ﷺ : " **فتندلق اقتاب بطنه** "[٨] ، والعليا أدق[٩] من السفلى لما تقدم من الحكمة ، فأعلى الدقاق يسمى الأثنى عشر لأن مساحته اثنى عشر إصبعاً .

ويليه المسمى بالصائم لقلة لبث الغذاء فيه ، لا أنه[١٠] يوجد أبداً خاليا كما ظنه بعضهم فإن هذا باطل حساً وشرعاً كما سنذكره والثالث المسمى بالدقيق[١١] واللفائف وهو أطول الأمعاء

---

(1) في غير الأصل : (موجب) .
(2) بياض بالأصل بين : (الفهم — الرقة) .
(3) بياض بالأصل وفي غيره : (الرحمة) .
(4) (وهي) : في غير الأصل .
(5) في غير الأصل : (مع) .
(6) في غير الأصل : (وبوابها) .
(7) في غير الأصل : (ويقال لباطن جرم المعدة ، خمل المعدة) .
(8) أخرجه البخاري في (٥٩) كتاب بدء الخلق ، (١٠) باب صفة النار وأنها مخلوقة ، ح (٣٢٦٧) ، ومسلم في (٥٣) كتاب الزهد والرقائق (٧) باب عقوبة من يأمر بالمعروف ولا يفعله ، وينهى عن المنكر ويفعله ح (٢٩٨٩) من حديث أسامة بن زيد رضي الله عنهما .
(9) في غير الأصل : (أرق) .
(10) في غير الأصل : (لا لأنه) .
(11) في المطبوع : (بالرقيق).

وأكثرها تلافيف ، ولبث الغذاء فيه أطول ، والعروق التي تأتيه من الكبد أقل وأما اللذان قبله فمنتصبان في طول البدن قصيران[١]، ويقل لبث الغذاء فيهما ، وهو في الصائم أقل لبثاً ، وهذه الثلاثة تسمى الأمعاء العليا ، والأمعاء[٢]الدقاق وهي كلها في سعة البواب .

وأما الرابع[٣]: وهو الأول من الثلاثة السفلى الغلاظ فيسمى الأعور لأنه لا منفذ له ، بل هو كالكيس يخرج منه ما دخل من حيث دخل ، وحكمته أن[٤]يتم فيه ما يعسر هضمه من الأشياء الصلبة ، كما يتم ذلك في قوانص الطيور ، ووضعه في الجانب الأيمن .

والخامس : المسمى بقولون[٥]: يبتدئ من الجانب الأيمن .

ويأخذ عرضاً إلى الأيسر ، ويحتبس فيه الثقل ريثما[٦]يستقضى ما فيه .

والسادس : هو الآخر وهو المعي المستقيم لأنه مستقيم الوضع في طول البدن وهو واسع جداً يجتمع فيه الثقل كما يجتمع البول في المثانة ، وعليه الفضلة المانعة لخروج الثقل بدون الإرادة وقد صح عن النبي ﷺ أنه قال : " **المؤمن يأكل في معي واحد ، والكافر يأكل في سبعة امعاء** "[٧] فأطلق على المعدة اسم المعي تغليباً ولمشابهتها بالأمعاء لكون كل واحد من الأمعاء والمعدة محلاً للغذاء ، وهذا لغة العرب كما يقولون : القمران والعمران والركنان اليمانيين والشاميين والعراقيين[٨]/ ونظائر ذلك ولا سيما[٩]فإن تركيب الأمعاء كتركيب المعدة إذ هي مركبة من [١٢٠/أ]

---

(1) في (م) و (ق) : (يصيران) .

(2) (الرقاق) : في المطبوع .

(3) (الدامع) : في غير الأصل .

(4) (أنه) : في غير الأصل ، وفي المطبوع : (وحكمته سبحانه) .

(5) في (ق) : (والخامس يقولون) .

(6) في غير الأصل : (ربما) .

(7) أخرجه البخاري في (٧٠) كتاب الأطعمة (١٢) باب المؤمن يأكل في معي واحد ح (٥٣٩٣) ، ومسلم في (٣٦) كتاب الأشربة ، (٣٤) باب المؤمن يأكل في معي واحد والكافر يأكل في سبعة أمعاء ح (٢٠١٦) من حديث عبدالله بن عمر رضي الله عنهما ، وفي الباب عن أبي هريرة وأبي موسى .

(8) في غير الأصل : (اليمانيان والشاميان والعراقيان) . وهو الأصح .

(9) في الأصل هنا بياض وفي غير الأصل الكلام متصل .

طبقتين لحمية خارجية ، وعصبيةداخلة ، والطبقة الداخلة منها لزوجات متصلة بها لتقيها من حلام البراز ، ولرداءته تخفيه ، ولزيفه فلا تمسكه[(١)] ولا يتعلق بها شئ منه .

ولما كان الكافر ليس في قلبه شيء من الإيمان والخير يغتذي به ، انصرفت قواه وهمته كلها إلى الغذاء الحيواني البهيمي لما فقد الغذاء الروحي القلبي . ما ستفرغت فتوفرت أمعاؤه وقواه على هذا الغذاء أمعاؤه على[(٢)]هذا الغذاء وامتلأت به بحسب استعداداً منها وقبولها كما امتلأت به العروق والمعدة .

وأما المؤمن فإنه إنما يأكل العلقة[(٣)]ليتقوى بها على ما أمر به فهمته وقواه مصروفة إلى أمر[(٤)]وراء الأكل فإذا أكل[(٥)]ما يغذيه ويقيم صلبه استغنى قلبه ونفسه وروحه بالغذاء الإيماني عن الاستكثار من الغذاء الحيواني فاستغل معاءها الواحد وهو قولون[(٦)]: بالغذاء فأمسكه حتى أخذت منه الأعضاء والقوى مقدار الحاجة فلم يحتج إلى امتلاء[(٧)]أمعاءه كلها من الطعام وهذا أمر معلوم بالتجربة وإذا قويت مواد الإيمان ومعرفة الله وأسماءه وصفاته ومحبته ورجائه والشوق إلى لقائه في القلب استغنى بها العبد عن كثير من الغذاء ووجد لها قوة تزيد على قوة الغذاء الحيواني فإن كثفت طباعك عن هذا وكنت عنه بمعزل لانشغالك بالغذاء الحيواني وامتلائك به[(٨)].

فتأمل حال الفرح المسرور[(٩)]بتجدد نعمة عظيمة واستغناؤه مدة عن الطعام والشراب مع وفور قوته وظهور الدموية على بشرته وتغذيه بالسرور والفرح ولا نسبة لذلك إلى فرح القلب ونعيمه وابتهاج الروح بقرب الرب تعالى ومحبته ومعرفته كما قيل :

لها أحاديث عن[(١)]ذكراك تشغلها عن الشراب وتلهيها عن الزاد/ [١٣٦/ب]

---

(1) هكذا في الأصل و (م) ، وفي (ق) : (حاكم البزار ، ورداة كثيفة ولزيفه فلا تمسكه) وفي المطبوع : . من حر ألم البراز ، ورداءته ، كثيفه فلا تمسكه) .

(2) سقط من غير الأصل ولعله أصح

(3) في المطبوع : (العلفة) .

(4) في غير الأصل : (أمور) .

(5) هكذا في المطبوع ، وفي الأصل : (أحل) وفي (م) و (ق) : (حل) .

(6) في المطبوع : (قولان) .

(7) في غير الأصل : (أن يملأ) .

(8) سقط من غير الأصل .

(9) في المطبوع : (والسرور) .

وقد قال ﷺ في الحديث المتفق على صحته : " **إني أظل عند ربي يطعمني ويسقيني** "[٢] وصدق الصادق المصدوق صلوات الله وسلامه عليه فإن المقصود من الطعام والشراب التغذية الممسكة فإذا حصل له أعلا الغذائين وأشرفهما وأنفعهما فيكف لا يغنيه ذلك عن الغذاء المشترك وإذا كنا نشاهد أن الغذاء الحيواني يغلب على الغذاء القلبي والروحي حتى يصير الحكم له ويضمحل غذاء القلب[٣] والروح بالكلية فكيف لا يضمحل غذاء البدن عن استيلاء غذاء القلب والروح ويصير الحكم له . وقد كان ﷺ يمكث الأيام لا يطعم شيئاً وله قوة ثلاثين رجلاً ويطوف مع ذلك على نسائه كلهن في ليلة واحدة وهن تسع نسوة وهذا المسيح بن مريم متى لم يمت وغذاؤه من جنس غذاء الملائكة وأنت تشاهد المريض يمكث الأيام العديدة لا يأكل ولا يشرب لاشتغال نفسه بمحاربة المرض ومدافعته واكتفاء الطبيعة ببقية الغذاء الذي في الأمعاء والمعدة مع شدة[٤] الحرب فإذا وضعت الحرب أوزارها رأيت شدة طلبه للغذاء فالخائف والمحب والفرح والحزين والمستولي عليه الفكر لا تطالبه نفسه من الغذاء (كما يطالب)[٥] به الخالي من ذلك .



---

[1] في غير الأصل : (من) .

[2] أخرجه البخاري في (٣٠) كتاب الصوم ، (٤٩) باب التنكيل لمن أكثر الوصال ح (١٩٦٥) ومسلم في (١٣) كتاب الصيام ، (١١) باب النهي عن الوصال في الصوم ح (١١٠٣) من حديث أبي هريرة وفيه : (إني أبيت يطعمني ربي ويسقين) ، وعند مسلم أيضاً من حديث أنس : (إني أظل) وفي الباب عن عائشة وعبدالله بن عمر وأبي سعيد الخدري رضي الله عنهم أجمعين .

[3] في غير الأصل : (هذا الغذاء) .

[4] (مدة) : في غير الأصل .

[5] سقط من غير الأصل .

فصل

والكبد عضو لحمي تتخلله عروق رقاق وغلاظ وعلى الكبد غشاء عصبي حساس يحيط بها ينتهي إلى غلافه والكبد هي الأصل في الغذاء وآلات الغذاء خدم لها ومعينات فإن الإنسان لما كان كالشجرة المنتقلة[1] جعل له ما يقوم مقام النهر الجاري في أصول الشجر يسقيها وهو الأمعاء والمعدة بمنزلة العين وتجري منها السواقي وعروق الكبد المتصلة بالأمعاء بمنزلة عروق الشجرة[2] المتصلة بأرض الساقية تمتص الماء[3] وتؤديه إلى الشجرة وأغصانها / وورقها وثمارها . [١٣٧/أ]

وهذه العروق تمتص الماء من الطين والثرى .

وكذلك عروق الكبد تمتص صفو الماء وخالصه من [كلوتيه][4] وتحيله إلى طبيعة الأعضاء كما تفعل عروق الشجرة .

وشكل الكبد شكل هلالي محدب من ظاهره مقعر من باطنه وهي تحت الأضلاع الخمس ولها خمس شعب يقال لها الزوائد تحتوي على المعدة كما تحتوي الكف بأصابعها على الشيء المقبوض ويقال للشعبة الصغيرة منها خاصة زائدة الكبد وفي الصحيح عن النبي ﷺ " **أن سبعين ألفاً من أهل الجنة يأكلون من زيادة كبد الحوت الذي هو أول طعامهم** " وهذا يدل على عظم قدر هذه الزيادة فما الظن بالكبد التي هي زيادته[5] فكيف الحوت الذي حواها ؟ ومقعرها يسمى المورد لأنه يورد الغذاء من المعدة والأمعاء ويسمى باب الكبد ثم تتشعب هذه العروق من جانبيه فشعب تتصل بالأمعاء وتسمى الجداول لشبهها بالسواقي الصغار تؤدي إلى مقره[6] عظيمة ولهذه الجداول أغشية من فوقها ومن تحتها فتستدير مع الأمعاء ومع[7] العروق المتصلة بها وتسمى هذه الأغشية وما تحتويه المرابط .



(1) في غير الأصل : (المستقلة) .
(2) في (م) و (ق) : (الشجر) .
(3) (منها) : في غير الأصل .
(4) كلمة غير واضحة في الأصل ، وفي (م) و (ق) : (كلوتيه) ، وفي المطبوع : (كلولتيه) .
(5) في (م) و المطبوع : (زائدته) .
(6) في المطبوع : (نقره) .
(7) في (ق) والمطبوع : (مع الأمعاء العروق) .

﴿ فصل ﴾

والعرق الثاني ينقسم في مجاذبها[(١)] إلى عروق صغار وأصغر منها حتى تبلغ غاية الدقة ثم تعود تجمع أولاً فأولاً[(٢)] على قياس ما تفرقت[(٣)] فتأخذ[(٤)] من كثرة إلى وحدة ومن رقة إلى غلظ حتى يجتمع منها العرق الخارج من الكبد المسمى بالأجوف ومنه يتأدى الدم إلى البدن كله وحين يخرج ينقسم قسمين فيأخذ أحدهما نافذاً في الحجاب نحو القلب ويسمى الوتين . قال أهل اللغة الوتين عرق يسقي القلب .

قال في الصحاح : الوتين عرق في القلب إذا انقطع / مات صاحبه ووتينه أصيبوتينه فهو موتون[(٥)] . [١٣٧/ب]

وقال الواحدي : الوتين نياط القلب وهو عرق يجري في الظهر حتى يتصل بالقلب إذا انقطع بطلت القوى ومات إذا صاحبه وهو قول جميع أهل اللغة وأنشدوا للشماخ[(٦)] :

إذا بلغتني وحملت رجلي ... عرابة فاشرقي بدم الوتين[(٧)]

وقال ابن عباس ، وجمهور المفسرين : هو حبل القلب ونياطه . وأما الأبهر الذي قال فيه النبي ﷺ " **هذا أوان انقطاع ابهري** " فقال الجوهري : الأبهر عرق إذا انقطع مات صاحبه وهما أبهران يخرجان من القلب ثم تتشعب منهما سائر الشرايين وأنشدوا للأصمعي :

وللفؤاد وجيب تحت[(٩)] ابهره ... لدم الغلام وراء الغيب بالحجر[(٨)]

---

(1) في (م) و (ق) : (مجاذبها) وفي المطبوع : (مجذبها).

(2) في (م) و (ق) : (ثم تعود وتجمع) ، وفي المطبوع : (ثم تعود تجتمع) .

(3) في غير الأصل : (ما تفرق) .

(4) في غير الأصل : (وأخذ) .

(5) انظر الصحاح : (٢٢١١/٦) .

(6) الشماخ : هو الشماخ بن ضرار بن حرملة بن سنان المازني الذبياني الغطفاني ، شاعر مخضرم ، أدرك الجاهلية والغسلام . قيل : اسمه معقل بن خراز والشماخ لقبه ، وقد كان أوجز الناس على البديهة ، توفي في غزوة موتان . انظر : الأعلام (١٧٥/٣) .

(7) البيت من الوافر ، وهو للشماخ في ديوانه ص (٣٢٣) وقد ورد ذكره أيضاً في مقاييس اللغة (٢٣٦/٢) وغيره . وانظر : البسيط (١١٣/١-١١٤) ت.الورثان

(8) الصحاح للجوهري (٥٩٨/٢) .

(9) في المطبوع : (عند) .



فصل
{ المرارة }

والمرارة موضوعة على الكبد ولها مجريان أحدهما متصل بتقعير الكبد يجتذب المرة الصفراء والآخر متصل بالأمعاء العليا يصب المرة ليغسلها ويجلوها ويتصل منه السير[1]بأسفل المعدة ليمتزج بالغذاء فيكون فيه معونة على هضمه .



(1) في غير الأصل : (السر) .

فصل
{ قوة البدن }

والقوة التي وكلها الله سبحانه بتدبير البدن من أعظم آياته الدالة عليه فإنها تفعل في الطعام والشراب الواردين عليه أفعالاً متنوعة من تقطيع وتفصيل وتمريخ وتحليل وتركيب فمبدأ ذاك في الفم وهو تقطيعه بالأسنان ومضغه واختلاطه بالرطوبات التي فيه وانهضامه فيه انهضاماً تاماً ثم بعد ذلك عند وروده إلى المعدة (فإن المعدة)[١] تهضمه هضماً آخر ويسمى الهضم الأول ويعينها على هضمه ما يجاورها من الأعضاء فالكبد عن يمينها والطحال عن يسارها والقلب من فوقها والشري[٢] أمامها والأمعاء السبل الموصلة إليها والعروق الطرق المؤدية منها والحرارة والنار الطابخة للطعام فيها والقوى الهاضمة والجاذبة والغاذية والدافعة / خدم لها فإذا انهضم الطعام فيها صار كيلوساً شبيهاً بماء الكشك الثخين . [١٣٨/أ]

ثم تنهر صفوه[٣] ولطيفه فتقذف[٤] في العروق الرقاق الشعرية التي هي برقة الشعر وينجذب إلى الكبد فإذا ورد هذا اللطيف إلى الكبد اشتملت عليه بجملته فطبخته وهضمته وأحالته إلى جوهرها وصيرته دماً ويسمى هذا الهضم الثاني ولما كان هذا الإنضاج والطبخ يشبه طبخ القدر علاه شئ كالرغوة والزبد وهو الصفراء ورسب منه شئ مثل العكر وهو السوداء و يتخلف على تمام النضج شئ بقي على مجوجته وهو البلغم والشئ الذي يصفى ويبقى من ذلك كله هو الدم فاندفع من الكبد في العرق الأعظم المعروف بالأجوف بعد أن تصفت عند المائية إلى آلة البول

---

(1) سقط من غير الأصل .

(2) هكذا في الأصل : وفي البقية : (المرئ) .

(3) في غير الأصل : (صوبه) .

(4) في غير الأصل : (فتقذفه العروق) .

فيسلك هذا الدم في الأوردة المتشعبة من الأجوف ثم في جداول منسقبة[١] من الأوردة ثم في سواقي متشعبة في الجداول ثم في رواضع مشتقة من السواقي ثم في عروق رقاق شعرية ثم يرشح من أفواهها في الأعضاء لتغتذي به فتحيله[٢] الأعضاء وتسير به لجواهرها فيصير في اللحم لحماً وفي العظم عظماً وفي العصب عصباً وفي الظفر ظفراً وفي الشعر شعراً وفي السمع والبصر وآلة الحس كذلك فتبارك من هذا صنعه في قطرة من ماء مهين .



---

(1) في غير الأصل : (منتقبة) .

(2) في (م) و (ق) : (فتجله) وفي المطبوع : (فتحله) .

فصل

والدم هوالخلط الأصلي والغذاء الحقيقي للبدن والمخلف عليه بدل ما ينقص ويتحلل منه والأخلاط الأخر كالأبازير والتوابل وهو صنفان لطيف وهو دم القلب وغليظ وهو دم الكبد ومثله مثل السلطان إذا كان وقوراً حليماً ساكناً عاشت به رعيته وإذا غضب واحتد قتل .



﴿ فصل ﴾

{ البلغم }

وأما البلغم فخلط فج مستعد لين يستكمل نضجه عند عوازل الغذاء إذا ما تولته الحرارة الغريزية فهضمته وصيرته دماً / فيكون في المعدة والأمعاء وفي الكبد عند قصور الهضم وفيه من [١٣٨/ب] المنفعة أنه يرطب البدن ويبل المفاصل ليسلس[١] حركاتها ويخالط الدم في تغذية الأعضاء البلغمية المزاج كالدماغ .

(فإن قيل : ما الحكمة أنه لم يجعل للبلغم عضواً مخصوصاً ينصب إليه كالمريء ؟)[٢]

قيل : لما كانت الأعضاء محتاجة أن يكون قريباً لترطيبها لم يجعل له عضواً[٣] يختص به لا سيما والأعضاء تتغذى به إذا أعوزها الغذاء .



(1) في غير الأصل : (لسلس) .

(2) سقط من غير الأصل .

(3) في (م) و (ق) : (عوضاً) .

﴿ فصل ﴾
{ الصفراء }

وأما الصفراء فخلط[1] لطيف حار وحاجة البدن اليها في أن تخالط الدم وترقه بلطفها وتنفذه في المسالك الضيقة ولتعينه في تغذية الأعضاء الحارة اليابسة وما ينفصل عنها مما يستغنى عنه يتصفى إلى المرارة لتأخذ نصيبها منه وما تستغني عنه المرارة تصبه إلى الأمعاء لتغسلها عن لطخة الأثفال[2] ولزوجتها ولتدع عضل المقعدة فيحس بالحاجة إلى التبرز .



(1) في المطبوع : (فخليط) .
(2) في (م) و (ق) : (أتفال) ، وفي المطبوع (الأثفال) .

فصل
{ المرارة السوداء }

وأما المرة[١] السوداء فخلط[٢] بارد يابس وفيه من المنافع أنه ينفذ مع الدم في العروق ليشده ويقويه ويكفيه ويمسكه ويمنعه من سهولة الحرمة عند الحاجة إلى ذلك ويعينه في[٣] تغذية الأعضاء المحتاجة أن يكون في غذائها شئ من السواد كالعظام ، وما انفصل منه واستغني عنه يصفى إلى الطحال فيصفيه الطحال جداً ويتغذى به ثم يجلب ما يستغنى عنه الطحال إلى فم المعدة فيدغده بالحموضة التي فيه فتتحرك الشهوة ويحس بالجوع فتطلب الأعضاء القصوى معلومها وراتبها من الأعضاء التي تليها وتطلبه الأعضاء التي تليها من التي تجاورها وهكذا حتى ينتهي الطلب إلى المعدة فالجوع طلب الأعضاء القصوى معلومها من الأعمال[٤] الدنيا .



(1) في غير الأصل : (المرارة) .
(2) في المطبوع : (فخليط) .
(3) في غير الأصل : (على) .
(4) في المطبوع : (الأعضاء) .

فصل

{ الأعضاء الرئيسية }

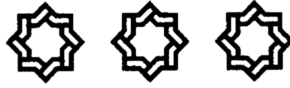
ولما اقتضت حكمة الرب جل جلاله وتقدست اسماؤه ولا إله غيره حيث كان بدن الإنسان مشبها / في أحواله بالمدينة أن يوجد فيها أعضاء رئيسية تقوم بمصالحه[١] كما يقوم رؤساء [١٣٩/أ] المدينة بمصالحها يكون لها بمنزلة الولاة والأمراء وأعضاء تكون خادمة لهذه الأعضاء الرئيسية فإن الرئيس لا يكون رئيساً إلا بمرؤس وهي بمنزلة[٢] الشرط والجلاوزة والنقباء وان يوجد فيه[٣] أعضاء كالرعية وهي قسمان : ماله اتصال بالرؤساء وإن لم يكن أيضاً[٤] له اتصال خدمة وما لا اتصال له بهم بل هو مستقل بنفسه فالأعضاء إذاً بهذا التقسيم أربعة :

أحدها : الأعضاء الرئيسية المخدومة .

الثاني : الأعضاء المرؤسة الخادمة .

الثالث : الأعضاء المرؤسة بلا خدمة .

الرابع : الأعضاء التي ليست رئيسة ولا مرؤسة .



(1) في المطبوع : (بمصالحها) .

(2) في (م) و (ق) : (منزلة) .

(3) في المطبوع : (فيها) .

(4) سقط من غير الأصل .

فصل

والأعضاء الرئيسية إنما استحقت الرئاسة لشرفها إذا كانت هي الأصول والمعادن والمبادئ للقوى الأولية في البدن المضطر إليها في بقاء الشخص والنوع وهي بحسب بقاء الشخص ثلاثة : القلب ، والكبد ، والدماغ . وبحسب بقاء النوع أربعة الثلاثة المذكورة والأنثيان .

فأما[1] القلب فهو العضو الذي جعله الخلاق العليم قائماً بأمر البدن كقيام الملك أمر الرعية[2] وهو أول عضو يتحرك في البدن وآخر عضو يسكن منه وهو مبدأ جميع القوى[3] وما يلحقه من صلاح أو فساد يتأدى منه إلى غيره من الأعضاء وأما الكبد فهو العضو الذي يقوم بحفظ[4] الحياة إذا كانت هي التي تملأ الأعضاء بالغذاء ليبقى البدن محفوظاً ما أمكن بقاؤه ، وأما الدماغ فهو العضو القائم بأمر الحس والإدراك وتكميل الحياة إذ فيه آلات الإحساس التي بها يعرف النافع من الضار والملائم من المنافر وبواسطته[5] صارت الحياة نافعة صالحة متجاوزة لزينة حياة النبات وأما الأنثيان فهما اللذان يقومان بحفظ / بقاء النوع . [١٣٩/أ]



(1) (وأما) : في غير الأصل .
(2) (بالرعية) : في المطبوع .
(3) في غير الأصل : (الخلق) .
(4) في غير الأصل : (لحفظ) .
(5) في غير الأصل : (وبه) .

﴿ فصل ﴾
{ الأعضاء الخادمة }

وأما الأعضاء الخادمة فالرئة والشرايين الحاملة المؤدية من القلب الحرارة الغريزيـــة والقـــوى والأرواح الحيوانية التي بها قوام البدن فهذان خادمان للقلب والمعدة ، والأوردة خادمـــان للكبـــد والاوردة تنفذ الدم الغاذي والأرواح والقوى الذي[1]جميع البدن والكبد خادمة للدماغ وكـــذلك الأعصاب التي بها يحصل الحس والحركة ، والأنثيان يخدمهما الأعضاء المولدة[2]للمـــني والمجـــاري المؤدية عنهما إلى موضع التوالد .



---

[1] في غير الأصل : (إلى) وهو الأصح .
[2] في المطبوع : (المؤدية).

فصل
{ الأعضاء المرؤسة }

وأما الأعضاء المرؤسة بلا خدمة فهي أعضاء مختصة [بقوى لها طبيعة بهائم تدبيرها وليستقيم أمرها ولا يدفع ذلك من أن] (١) يقبض (٢) عليها من الأعضاء الرئيسية قوى تمدها بإذن الله كالأذن والعين والأنف فإن كل واحد منها يقوم بأمر نفسه بما فيها من القوى الطبيعية التي اعطاها إياها الخالق سبحانه ولا يتم ذلك لها إلا بإن تأتيها قوة حساسة تنزل عليها من الدماغ بإذن الرب (٣) تعالى .



(1) زيادة من غير الأصل .
(2) في (ق) : (ينقبض) .
(3) في المطبوع : (الله) .

فصل

{ أعضاء ليست رئيسة ولا مرؤسة }

وأما الأعضاء التي ليست برئيسة ولا مرؤوسة فهي التي اختصت بقوى غريزية فيها من أصل الخلقة في أول التكوين ليتم بها قوام أمرها وتدبيرها في اجتلاب[1] المنافع ودفع المضار كالعظام والغضاريف وسائر الأعضاء المتشابهة الأجزاء مثل الرباطات والأعصاب والأوتار والشرايين والأوردة والأغشية واللحم والعظام كالأساس والأسطوانات لبناء كل[2] البدن فإن قيل هل في العظام قوة الإحساس وحياته أم [لا؟] [3] قيل هذا موضع اختلف فيه أرباب الشريعة فيما بينهم وأرباب الطبيعة فيما بنيهم .

فقالت طائفة : لاحياة في العظام وإن كان فيها قوة النمو والاغتذاء قالوا : أن الحياة إنما هي الروح الحيواني ولا حظ للعظام فيه .

قالوا : ولأن مركب الحياة فيه[4] إنما هو الدم المنبث في العروق والأعصاب واللحم ولهذا لم يكن للشعر ولا للظفر نصيب من ذلك ولهذا لم يألم الحيوان بأخذه قالوا : فحياة العظام والشعر / [١٤٠/أ] حياة نمو واغتذاء وحياة أعضاء البدن حياة نمو واحساس.

قالوا : ولهذا قلنا أن العظام لا تنجس بالموت لأنها لم تكن فيها حياة تزول بالموت .

قالوا : وزوال النمو لا يوجب نجاسة ما فارقه بدليل يبس الزرع والشجر .

قال آخرون : الدليل على أن العظام تحل فيها الحياة قوله تعالى : ﴿ **قَالَ مَنْ يُحْيِ الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ(٧٨)قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ** ﴾[5] والحس يدل على ذلك أيضا فإن العظم يألم ويضرب ويسكن وذلك نفس إحساسه .

قالوا : ولا يمكن إنكار كون العظام فيها قوة حساسة تحس بالبارد والحار .

قال آخرون[1]: الإحساس والألم ليس للعظم في نفسه وإنما هو لما جاوره من اللحم .

---

[1] في (م) و (ق) : (إجلاب) ، وفي المطبوع : (حلب) .
[2] في غير الأصل : (هيكل).
[3] سقط من الأصل .
[4] سقط من غير الأصل .
[5] سورة يس الآيتان : (٧٨-٧٩) .

قال المنازعون لهم : هذا مكابرة ظاهرة فإن العظم نفسه يألم ولا سيما إذا تصدع ثم أن الأسنان والأضراس تحس بالألم والحار والبارد بأنفسها لا لمجاورها من اللحم .

ولهذا توسطت طائفة ثالثة وقالت عظام الأسنان خاصة لها الإحساس بخلاف سائر العظام .

وهؤلاء قد سلموا المسألة من مكان قريب فإن الذي دل على إحساس الأسنان وحياتها هو الدال على حياة سائر العظام والشبهة التي ذكروها لو صحت لمنعت من إحساس الأسنان .

وأما حديث الطهارة والنجاسة فذاك لأمر آخر وراء الحياة ومن نجسها بالموت سوى بينها وبين اللحم ومن لم ينجسها وهو الراجح في الدليل فذاك لعدم علة التنجيس فيها فإن الموت ليس بعلة النجاسة وإنما هو دليل العلة وسببها والعلة هي احتقان الفضلات في اللحم والعظم برئ من ذلك والدليل على هذا أن الشارع لم يحكم بنجاسة الحيوان التام الذي لا نفس له سائلة لعدم احتقان الفضلات فيه فلئلا يحكم بنجاسة العظم أولى وأحرى فإن الرطوبات التي في الذباب والعقرب / والخنفساء أكثر من الرطوبات (التي في العظام[2] فهي أولى بعدم التنجيس من تلك [١٤٠/ب] الحيوان . والله أعلم)[3].



(1) في غير الأصل : (الآخرون) .

(2) في المطبوع : (العظم) ثم سقط منه ما بعده .

(3) سقط من (م) و (ق) .

﴿ فصل ﴾
{ العظام والمفاصل }

والذي أحصاه المشرحون من العظام في البدن مائتان وثمانية وأربعون عظماً سوى الصغار السمسميات التي أحكم بها مفاصل الأصابع والتي في الحنجرة وقد أخبر النبي ﷺ أن الإنسان خلق من ثلاثمائة وستين مفصلا[1] فإن كانت المفاصل هي العظام فقد اعترف جالينوس وغيره بأن في البدن عظاماً صغاراً لم تدخل تحت ضبطهم واحصائهم وإن كان المراد بالمفاصل المواضع التي تنفصل بها الأعضاء بعضها من بعض كما قال الجوهري وغيره المفصل واحد مفاصل الأعضاء فتلك أعم من العظام فتأمله وإن السلاميات المذكورة في الحديث الذي رواه مسلم في صحيحه من حديث أبي ذر : " **يصبح على كل سلامي من احدكم صدقة فكل تسبيحة صدقة وكل تحميده وكل تهليلة صدقة وكل تكبيرة صدقة** "[2] . الحديث

فالسلامي[3] العضو وجمعه سلاميات فهنا ثلاثة أمور أعضاء وعظام ومفاصل وجعل الله سبحانه العظام أصلب شئ في البدن لتكون أساساً وعمدة في البدن إذا كانت الأعضاء كلها موضوعة على العظام حتى القلب .

كما سيأتي في بيانه إن شاء الله تعالى ، وهي حاملة للأعضاء والحامل أقوى من المحمول وليكون وقاية وجنة أيضا كالقحف فإنه وقاية الدماغ ، وعظام الصدر وقاية له وجعل[4] العظام كثيرة الفوائد ومنافع عديدة .

---

[1] كما أخرج ذلك مسلم في صحيحه في ( ) كتاب الزكاة ، ( ) باب بين أن الصدقة يقع على كل نوع من المعروف ، ح (٥٤) من حديث عائشة رضي الله عنها وفيه (خلق كلإنسان من بني آدم على ستين وثلاثمائة مفصل . .) الحديث .

[2] أخرجه مسلم في (٦) كتاب صلاة المسافرين وقصرها ، (١٣) باب استحباب صلاة الضحى . . والحث على المحافظة عليها ح (٧٢٠) من حديث أبي ذر الغفاري رضي الله عنه .

[3] السلامى : قال النووي : أصله عظام الأصابع وسائر الكف ، ثم استعمل في جميع عظام البدن ومفاصله .

[4] في غير الأصل : (وجعلت) .

منها : الحركة فإن الإنسان قد يحتاج إلى حركة بعض أجزائه دون بعض وقد يحتاج إلى حركة جزء من عضو .

ومنها : أنه لوكان على عظم واحد لكان إذا أراد أن يتحرك تحرك بجملته .

ومنها أنه كان يتعذر عليه الصنايع والحل والربط .

ومنها : أنه كان[١]إذا أصابته[٢]آفة عمت جميع البدن / فجعلت العظام كثيرة ليكون متى [١٤١/أ] نال[٣]بعضها آفة لم تسر إلى غيره وقام غيره من العظام مقامه في تحصيل تلك المنفعة .

ومنها : تعذر المنافع ، التي تحصل بسبب تعدد العظام ولولا كثرتها وتعددها لفاتت تلك المنافع .

ومنها : أن من العظام ما[٤]يحتاج البدن إلى كبيره ومنها ما يحتاج إلى صغيره ومنها ما يحتاج إلى مستطيله ومنها ما يحتاج إلى (مستديرة ومنها ما يحتاج إلى عريضة ومنها ما يحتاج إلى)[٥]مصمته ومنها ما يحتاج إلى مجوفه ومنها ما يحتاج إلى منحنية ومنها ما يحتاج إلى مستقيمة ولا يحصل ذلك إلا بتعدد العظام .

ومنها بديع الصنعة[٦]وحسن التأليف والتركيب وغير ذلك من الفوائد .

ثم شد الخالق سبحانه بعضها إلى بعض بالرباطات والأسر المحكم ثم كساها لحماً حفظاً لها ووقاية ثم كسى اللحم جلداً صونا[٧]له ولما كانت الفضلات تنقسم إلى لطيفة وغليظة جعل سبحانه[٨]للغليظة منها مجاري تنجذب فيها إلى أسفل ويخرج منها خروجاً ظاهراً للحس وأما اللطيفة فهي الفضلات البخارية فإن من شأنها أن تصعد إلى فوق وتخرج من[٩]البدن بالتحليل

---

(1) سقط من غير الأصل .

(2) في غير الأصل : (أصابه) .

(3) في (م) و (ق) : (نالت) .

(4) في (م) و (ق) : (من) .

(5) سقط من غير الأصل .

(6) في المطبوع : (الصنع) .

(7) في الأصل : (صوانًا) .

(8) في غير الأصل : (جعل الله سبحانه) .

(9) في غير الأصل : (عن) .

بأن[1] جعل في العظام العليا منها مافذ يتحلل منها البخار المتصاعد و لم[2] تكن تلك المنافذ محسوسة لئلا يضعف صوان الدماغ ، وهو القحف بوصول الأجسام المؤذية إليه فجعل الدماغ مركباً[3] عن عظام كثيرة ووصل بعضها ببعض بوصل يقال لها الشؤون ومنه قولهم : فلان لم تجمع شؤون رأسه ويشتمل الرأس بجملة اجزائه على تسعة وخمسين عظما وجعل القحف مستديراً تاماً[4] في مقدمه ومؤخره وجانبيه بمنزلة غطاء القدر وعظامه ستة وهي عظم النافوخ وعظم الجبهة وعظم / مؤخر الرأس والعظمان اللذان فيهما ثقبا[5] السمع وفي كل واحد من الصدغين عظمان مصمتان وعظام اللحى الأعلى أربعة عشر عظماً ستة منها في محاجر العينين واثنان للأنف واثنان تحت الأنف وهما المثقوبان إلى الفم واثنان في الوجنتين واثنان تحت الشفة العليا وأما العظم الشبيهة بالوتد فهو واحد وهو كالقاعدة للرأس وعظام اللحى الأسفل اثنان وهما متصلان في وسط الذقن ويليهما الأضراس : خمسة من ههنا[6] وخمسة من ههنا والنواجذ أول الأضراس [وبينهما بنيان ، ويتصلان من فوق باللحي الأعلى اتصالاً مفصلياً[7] . والأسنان اثنان وثلاثون ، في كل لحي ستة عشر : (أربع)[8] ثنيات وتليها الرباعيات ، ويليلها النابان[9]][10] وهما ناجذان في كل ناحية ناجذ وربما نقصت النواجذ في بعض الافراد وكان في كل جانب أربعة اضراس وقد سلم الله (سبحانه) غذاء الإنسان إلى يده فتأخذه فيسلمه إلى شفتيه فتسلمه الشفتان[11] إلى الأنياب والثنايا فتفصله ثم تسلمه إلى الأضراس فتطحنه[12] ثم تسلمه إلى اللسان والفم فيعجنه ثم يسلمه إلى الحلقوم والمرئ

---

[1] سقط من غير الأصل .

[2] في غير الأصل : (فلم) .

[3] (مركبة) : في المطبوع .

[4] في الأصل : (نايناً) هكذا رسمت .

[5] في (م) و ق) : (نقباً) ، وفي المطبوع : (ثقباً).

[6] في المطبوع : (هنا) .

[7] في (ق) : (منفصلاً) .

[8] (أربع) : سقط من (م) و (ق) .

[9] في (ق) : (النابات) .

[10] سقط من الأصل .

[11] في (م) و (ق) : (منها متسلمة إلى أنياب) .

[12] في (م) و (ق) والمطبع : (فتسلمه وتطحنه) .

فيتسلمه[1] ويوصله إلى المعدة فتطبخه وتنضجه وتصلحه كما ينبغي ثم تسلمه إلى الكبد فيتسلمه منها ثم يرسل به[2] منه إلى كل[3] عضو راتبه ومعلومه ثم يصب قربه الصفراء في المرارة والسوداء في الطحال والثفل[4] يخرجه عنها كما تقدم بيانه .



(1) في المطبوع : (فيسلمه) .
(2) في المطبوع : (منه) .
(3) سقط من (م) و (ق) .
(4) في المطبوع : (الثفل) بدون واو .

﴿ فصل ﴾
{ الرأس وأجزاؤه }

والرأس يقال بالعموم على ما يقله العنق بجملته ويقال بالخصوص على الفروة وهي جلدة الرأس حيث منبت الشعر ، والجمجمة : العظم الذي يحوي الدماغ وهي مؤلفة من سبع قطع متقابلة تسمى القبائل وتسمى مواضع التآليف شؤونا ووسط الجمجمة يسمى الهامة وحد الهامة من الجانبين قرني[١]الرأس وحدا الهامة من المقدم اليافوخ ومن المؤخر (القمحدودة)[٢]وهي ما تصيب الأرض من رأس المستلقي على ظهره ولها ثلاث حدود نقرة (القفا) والقذالان فنقرة / [١٤٢/أ] (القفا)[٣] حدها من آخر الوسط والقذالان جانبا النقرة وقد تقدم تفصيل القبائل السبع ويستظهر[٤]الجمجمة (غشاء)[٥]يحيط بها (تسمى)[٦] السمحاق (ويستسطها)[٧] غشاوة[٨]أحدهما تلي الجمجمة وهو أثخنهما وأصلبهما والآخر يكتنف[٩]الدماغ ويحيط به ويخالطه ويقال لكل منهما أم الدماغ ويسميان الأمان ومنه الأمة والمأمومة التي فيها ثلث الدية وهي الجراحة التي تبلغ أم الدماغ ويقال لها تجويف في[١٠]الدماغ بطن وهي ثلاث بطون وبين بطني الدماغ اللذين في مؤخره ووسطه مجرى وفيه قطعة (قطعة)[١١]من الدماغ مستطيلة شبيهة بالدودة (ينسد)[١٢]ذلك المجرى وينفتح بها وتحت الدماغ شبلة[١٣] مبسوطة مؤلفة من عروق

---

(1) في المطبوع : (قرن) .
(2) في الأصل : (المقمحمدودة) .
(3) في (م) و (ق) : (القفار) .
(4) في (م) و (ق) : (وستظهر).
(5) في غير الأصل (عما) .
(6) سقط من المطبوع .
(7) هكذا رسمت في الأصل و (م) ، وفي (ق) : (وسضطها) وفي المطبوع : (وسطها) ولعلها ــ والله أعلم ــ (ويسوسطها)
(8) في المطبوع : (غشاوتان) ولعله هو الصحيح .
(9) في غير الأصل والمطبوع : (يكشف) .
(10) سقط من المطبوع .
(11) تكررت لفظة (قطعة) في الأصل فقط .
(12) في الأصل : (ينسل) .
(13) في غير الأصل : (سبلة) .

ضوارب يتولد فيها [1] روح نفساني ومنها[2] ينفذ إلى البطنين اللذين في مقدم الدماغ وفي الدماغ البركة والحوص والقمع والدودة والبطون والأغشية ومبادئ الأعصاب .

ويحتوي الدماغ على ثلاث خزائن نافذ بعضها إلى بعض وتسمى بطونا فالأولى : في مقدمه وينقسم إلى بطنين والثانية في [وسطه ، والثالثة في][3] مؤخره وجوهر الدماغ في متزرد الشكل كأنه زرد مجموع والروح النفساني مثبت في خلل الزرد والدماغ مقسوم في طوله بنصفين[4] متضامين والتنصيف في مقدمة[5] أظهر والغشاءان يدخلان في فصول الدماغ وتزريده والصلب منهما يدخل بطوناً بين جزئي البطن المقدم فيحجز بينهما وتحته عصا كالبركة تسمى العصرة تصب في العروق من الدم المنطبخ وتنبعث في جداول تسقي البطن المقدم وتجتمع إلى عرقين كبيرين يحملان الدم إلى البطن الأوسط والمؤخر والبطن الأوسط / كدهليز [١٤٢/أ] ومنفذين[6] المقدم والمؤخر وسقفه معقود كالأزج والدماغ موضوع طولا على زائد بين الفخذين متقاربان[7] فيها فيمتازان ويتباعدان[8] إلى الانفراج فينفتح[9] الدهليز ويتراءى البطنان[10] المقدم والمؤخر والجزء المؤخر أخفى تدويراً[11] من المقدم وأصغر زرداً وهو كري إلى[12] الاستطالة ويستدق على التدريج حتى يسيل منه النخاع كالجدول[13] من العين وفي الدماغ جدولان[14] مجريان أحدهما في آخر المقدم والآخر[15] في الأوسط لدفع فضوله ويجتمعان عند منفذ واحد عميق

---

(1) في المطبوع : (منها) .

(2) سقط من المطبوع .

(3) سقط من الأصل .

(4) في غير الأصل : (لنصفين) .

(5) في غير الأصل : (مقدم) وفي المطبوع : زيادة (الدماغ) .

(6) في غير الأصل : (ومنفذ بين) .

(7) في المطبوع : (على زائدتين متقاربتين فيتماسان) .

(8) هكذا أمكن قراءتها في الأصل ، وفي غيره : (فيتماسان ويتباعدان) .

(9) في المطبوع : (فيفتح) .

(10) في الأصل : (البطنا) .

(11) في غير المطبوع : (تزويداً) .

(12) سقط من غير الأصل .

(13) في (م) و (ق) : (كالجودل) .

(14) سقط من غير الأصل .

(15) في غير الأصل : (والمؤخر) .

أوله[1] في الغشاء الرقيق والآخر في الغشاء الصلب ويأخذ إلى مضيق[2] كالقمع ولما كان الدماغ مبدأ حركات البدن إلى ارادته لم[3] يكن به حاجة إلى الحركة القوية فحوط[4] عليه بسور من عظام بخلاف المعدة والكبد والرحم وسائر الات الغذاء فإنها لما احتاجت أن تتسع وتمتلئ بالغذاء والحمل[5] مرة بعد أخرى وأن تعصر[6] الفضول فتخرجها والعظم يمنع من ذلك ويكفي فيه الفصل[7] وحده فأحيط عليه بسور من عضل[8] وأما الصدر فإنه لما احتاج إلى الوقاية[9] بالعظام والى الحركة بالعضل[10] ألف الصدر منهما وكان البطن أوسع من الصدر لما يحويه[11] من آلات الغذاء والتنفس والطحال والمريء وغيرها .



[1] في المطبوع : (أولهما) .

[2] في (م) و (ق) والمطبوع : (ضيق) .

[3] في المطبوع : (ولم) .

[4] في (م) و (ق) : (محوط) .

[5] في المطبوع : (فتحمل) .

[6] في (م) و (ق) : (تقصر) .

[7] في (م) و (ق) : (العضل) .

[8] في (م) و (ق) : (عقل) ، وفي المطبوع : (عظم) .

[9] في (م) و (ق) والمطبوع : (الوثاقة) .

[10] في (م) و (ق) والمطبوع : (بالفصل) .

[11] في (م) و (ق) : (يحق به) وفي المطبوع (يحل بها) .

فصل

[ ]

فاستقبل الآن النظر في نفسك (من رأس) [1] وانظر إلى المبدأ الأول وهو النطفة التي هي قطرة مهينة ضعيفة لو تركت ساعة لبطلت وفسدت كيف أخرجها رب الأرباب من بين الصلب والترائب وكيف اوقع المحبة والألف بين الذكر والأنثى [2] ثم قادهما بسلسلة المحبة والشهوة إلى الاجتماع ثم استخرج [3] النطفة من الذكر بحركة الوقاع من أعماق العروق وجمعها في الرحم في قرار / مكين لا تناله يد ولا تطلع عليه شمس ولا يصيبه [هواء] [4] ثم صرف تلك النطفة طوراً بعد طور ، طبقاً [5] بعد طبق وغذاها بماء الحيض وكيف جعل سبحانه النطفة وهي بيضاء مشرقة علقة حمراء ثم جعلها مضغة ثم قسم أجزاء المضغة إلى العظام والأعصاب والعروق والأوتار واللحم في داخل الرحم في الظلمات الثلاث ولو كشف الغطاء [6] لرأيت التخطيط والتصوير يظهر في [7] النطفة شيئاً بعد شيئ من غير أن ترى المصور ولا آلته ولا قلمه فهل رأيت مصوراً لا تمس [8] آلته (الصورة) [9] ولا يلاقيها ثم تأمل هذه القبة العظيمة التي قد ركبت على المنكبين وما أودع فيها من العجائب وما ركب فيها من الخزائن وما أودع في تلك الخزائن من المنافع وما اشتملت عليه هذه القبة من العظام المختلفة الأشكال والصفات والمنافع ومن [10] الرطوبات والأعصاب والطرق والمجاري والدماغ والمنافذ والقوى الباطنة من الذكر والفكر والتخيل وقوة

[١٤٣/أ]

---

(1) سقط من المطبوع .
(2) في المطبوع : (والألفة بين الذكور والإناث) .
(3) في (ق) : (أخرج) .
(4) في الأصل : (هولاً) .
(5) في المطبوع : (وطبقاً) .
(6) في (م) والمطبوع : (ولو كشف لك الغطاء) ، وفي (ق) (ذلك الغطاء) .
(7) في المطبوع : زيادة (تلك) .
(8) في المطبوع : (لاتمس) .
(9) سقط من (م) و (ق) والمطبوع .
(10) في (ق) : (من) .

الحفظ ففيه القوة المفكرة[1] والمذكرة[2] والمخيلة والمحافظة[3] وهذه القوى مودعة في خزائن هذه القبة[4] مسخرة لمصالحها[5] يستعملها ويستخدمها كيف أراد .

فتأمل كيف دور سبحانه الرأس وشق سمعه وبصره وأنفه وفمه وكيف ركب كرية[6] في بطن الأم من ثلاثة وعشرين عظماً وخلق تلك العظام على كيفيات مختلفة وتأمل كيف انقلبت تلك النطفة اللينة الضعيفة إلى العظام الصلبة الشديدة ثم تأمل كيف قدر سبحانه كل واحد من تلك العظام بشكل مخصوص لو وضع بخلاف ذلك لبطلت المنفعة وفات الغرض[7] ثم ركب بعضها من بعض بحيث حصل من مجموعها كرة الرأس على هذه الخلقة المخصوصة ولما كان الرأس أشرف الأعضاء / الإنسانية وأجمعها للقوى والمنافع والآلات والخزائن أقتضت العناية الإلهية [١٤٣/ب] أن[8] صين بأنواع من الصيانات[9] وذلك أن الدماغ يحيط به غشاء رقيق وفوق ذلك الغشاء غشاء آخر يقال له السمحاق ثم فوق ذلك الغشاء طبقة لحمية وفوق تلك الطبقة اللحمية الجلد-ثم فوق الجلد الشعر فخلق سبحانه فوق دماغك سبع طبقات كما خلق فوق الأرض سبع سماوات طباقا والمقصود من تخليقها الإحفاض[10] في صون الدماغ من الآفات والدماغ من الرأس بمنزلة القلب من البدن وهو سبحانه قسمه في طوله ثلاثة أقسام وجعل القسم المقدم محل الحفظ والتخيل والبطن الأوسط محل التأمل والتفكر والبطن الأخير محل التذكر والاسترجاع لما كان قد نسيه ولكل واحد من هذه الأمور الثلاثة أمر مهم للإنسان لابد له منه وأنه محتاج إلى التفهم والتفهيم ولو لم يكن حافظاً المعاني المتصورات[11] وصورها بعد غيبتها لكان إذا سمع كلمة وفهمها شدت عنه عند مجيئ

---

(1) في (ق) : (والمفكرة) .
(2) في (م) و (ق) والمطبوع : (والحافظة) .
(3) في (م) و (ق) والمطبوع : (والذاكرة) .
(4) في (م) و (ق) والمطبوع : (في خزانتها مسخرة) .
(5) في (م) و (ق) : (لمصالحه) .
(6) في المطبوع : (كرته) .
(7) في (م) و (ق) : (بشكل مخصوص بحيث حصل من مجموعها لبطلت المنفعة) وفي المطبوع : (بحيث حصل من مجموعها ما لو كان خلافه لبلطت) .
(8) في المطبوع : (بأن) .
(9) في (م) و (ق) : (المصانات) .
(10) في (م) و (ق) : (الإحافظ) ، وفي المطبوع : (الاحتياط) .
(11) في (م) و (ق) والمطبوع : (حافظاً لمعاني التصورات) .

الأخرى فلم يحصل المقصود من التفهم[1] والإفهام وجعل له ربه سبحانه[2] خزانة تحفظ له صور المعلومات حتى يجتمع له وتسمى القوة التي فيها القوة الحافظة ولا تتم مصلحة الإنسان إلا بها[3] فإنه إذا رأى شيئاً ثم غاب عنه ثم رآه مرة أخرى عرف أن هذا الذي رآه الآن هو الذي رآه قبل ذلك لأنه في المرة الأولى ثبتت صورته في الحفظ ثم توارى عنه بالحجاب فلما رآه مرة ثانية صارت هذه الصورة المحسوسة ثانياً مطابقة للصورة المعنوية التي في الذهن فحصل الجزم بأن هذا ذاك ولولا القوة الحافظة لما حصل ذلك ولما عرف أحد أحداً بعد غيبته عنه ولذلك إذا طالت الغيبة جداً وانمحت تلك الصورة الأولى من الذهن بالكلية لم يحصل / له العلم بأن هذا هو الذي رآه أولا إلا بعد تفكر وتأمل وقد قال قوم أن محل هذه الصور النفس وقال قوم محلها القلب وقال قوم محلها العقل ولكل فريق منهم حجج وأدلة وكل منهم أدرك شيئاً وغابت عنه أشياء[4] إذ الإدراك المذكور مفتقر إلى مجموع ذلك لا يتم إلا به والتحقيق أن منشأ ذلك ومبدأه من القلب ونهايته ومستقره في الرأس وهي المسألة التي اختلف فيها الفقهاء هل العقل في القلب أو الدماغ على قولين حكيا روايتين عن الإمام أحمد والتحقيق أن أصله ومادته من القلب وينتهي إلى الدماغ قال تعالى : ﴿ **أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا** ﴾[5] فجعل العقل بالقلب[6] كما جعل السمع بالأذن والبصر بالعين وقال تعالى : ﴿ **إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ (أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ)** ﴾[7] قال غير واحد من السلف : لمن كان له عقل ، واحتج الآخرون[8] بأن الرجل يضرب في رأسه فيزول عقله ولولا أن العقل في الرأس لما زال فإن السمع والبصر لا يزولان بضرب اليد ولا الرجل[9] ولا غيرهما من الأعضاء لعدم تعلقهما

---

[1] في (م) و (ق) والمطبوع : (من الفهم) .

[2] في (م) و (ق) والمطبوع : زيادة (وفاطره) .

[3] في (م) و (ق) : (بهما) .

[4] في (م) و (ق) والمطبوع : (وغاب عنه شيء) .

[5] سورة الحج الآية (٤٦) .

[6] في (م) و (ق) والمطبوع : (في القلب) .

[7] ما بين القوسين سقط من غير الأصل . سورة ق الآية (٣٧) .

[8] في المطبوع : آخرون .

[9] في المطبوع : (أو الرجل) .

بها[1] وأجاب أرباب القلب عن هذا [بأنه][2] لا يمتنع زواله بفساد الدماغ وإن كان في القلب لما بين القلب والرأس من الارتباط وهذا كما يمتنع شعر اللحية بقطع الأنثيين ففساد القوة بفساد العضو قد يكون لأنه محلها وارتباطه بها[3] والله أعلم .

وعلى كل تقدير فذلك من أعظم آيات الله وأدلته وقدرته وحكمته كيف قد رسم[4] صورة [١٤٤/ب] السماوات والأرض والبحار والشمس والقمر والأقاليم والممالك والأمم في هذا المحل الصغير والإنسان / يحفظ كتباً كثيرة جداً وعلوماً شتى متعددة وصنايع مختلفة فترتسم كلها في هذا الجزء الصغير من غير أن تختلط بعض هذه الصورة[5] ببعض بل كل صورة منهن بنفسها محصلة في هذا المحل وأنت لو ذهبت تنقش صوراً وأشكالاً كثيرة في محل صغير لاختلط[6] ببعض وطمس بعضها بعضاً وهذا الجزء الصغير تنتقش فيه الصور الكثيرة المختلفة والمتطاردة[7] ولا تبطل منها صورة (صورة)[8] ومن أعجب الأشياء أن هذه القوة العاقلة تقبل ما تؤديه إليها الحواس فتجتمع فيها ثم تفيد[9] كل حاسة فيها فائدة الحاسة الأخرى مثاله أنك ترى الشخص فتعلم أنه فلان وتسمع صوته فتعلم أنه هو وتلمس الشيء فتعرفه وتشمه فتعرف أنه هو ثم تستدل بما تسمعه من صوته على أنه هو الذي رأيته فيغنيك سماع صوته على رؤيته ويقوم لك كل مقام مشاهدته ولهذا جوز أكثر الفقهاء شهادة الأعمى وبيعه وشرائه وأجمعوا على جواز وطئه امرأته وهو لما يراها قط اعتماداً منه على الصوت بل لو كانت خرساء أيضاً وهو أطرش جاز له الوطء وقد جعل الله سبحانه بين السمع والبصر والفؤاد علاقة وارتباطاً ونفوذاً يقوم به بعضها مقام بعض ولهذا يقرن سبحانه بينهما

---

(1) في المطبوع : (بهما) .
(2) زيادة من غير الأصل .
(3) في (م) و (ق) : (به) .
(4) في (م) و (ق) والمطبوع : (ترتسم) .
(5) في (م) و (ق) والمطبوع : (الصور) .
(6) في (م) و (ق) والمطبوع : (لاختلط بعضها ببعض) .
(7) في (م) و (ق) : (المضادة) ، وفي المطبوع : (المتضادة) .
(8) سقط من (م) و (ق) .
(9) هكذا في الأصل و (ق) وفي (م) والمطبوع : (تعيد).

كثيراً في كتابه كقوله : ﴿ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا(٣٦) ﴾[١] وقولـــه تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَارًا وَأَفْئِدَةً ﴾[٢] وقوله : ﴿ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا ﴾[٣] وهذا من عناية الخـــالق ســـبحانه بكمال هذه الصورة البشرية ليقوم كل حاسة منها مقام الحاسة الأخرى وتفيد فائدتها في الجملة لا في كل شئ ثم أودع سبحانه قوة التفكر (فيه)[٤] وأمره باستعمالها / فيما يجدي عليه النفـــع في الدنيا والآخرة فركب القوة المفكرة[٥] شيئين من الأشياء الحاضرة عند القوة الحافظة تركيباً خاصاً فيتولد من بين ذينك[٦] الشيئين شيئ ثالث جديد لم يكن للعقل شعور به وكانت مواده عنده لكن بسبب التركيب حصل له الأمر الثالث ومن ههنا حصل استخراج الصنائع والحرف والعلوم وبناء المدن والمساكن وأمور الزراعة[٧] والفلاحة وغير ذلك فلما اســتخرجت القـــوة المفكـــرة ذلـــك واستحسنته سلمته إلى القوة الإرادية العلمية فنقلته من ديوان الأذهان إلى ديوان الأعيان فكان أمراً ذهنياً فصار وجوداً[٨] خارجياً .

ولولا الفكر[٩] لما اهتدى الإنسان إلى تحصيل المصالح ودفع المفاسد وذلك من أعظم النعم ، وتمام العناية الإلهية ولهذا لما فقد البهائم والمجانين ونحوهم هذه القوة لم يتمكنوا مما تمكن منه أرباب الفكر ولما كان استخراج المطلوب بهذه الطريق يتضمن تفكراً وتقديراً[١٠] فيفكر في استخراج المادة أولاً ثم يقدرها ويفصلها ثانياً كما يصنع الخياط يحصل على الثوب ثم يقدره ويفصله ثانيا : قـــال تعالى عن الوحيد :[١١] ﴿ إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ(١٨)فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ(١٩) ﴾[١] فكرر سبحانه التقدير [١٤٥/أ]

---

(1) سورة الإسراء الآية (٣٦) .

(2) سورة الأحقاف الآية (٢٦) .

(3) سورة الأعراف الآية (١٧٩) .

(4) سقط من (م) و (ق) والمطبوع .

(5) في المطبوع : زيادة (من) قبل (شيئين).

(6) في المطبوع : (هذين) .

(7) في (م) و (ق) : (المزارعة) .

(8) في (م) و (ق) والمطبوع : (وجودياً) .

(9) في (م) و (ق) والمطبوع : (الفكرة) .

(10) في المطبوع : (فكراً وتقديراً) .

(11) بياض بالأصل وفي (م) و (ق) : (إنه فكر) مباشرة ، وفي المطبوع ذكر الآيات من قوله : (ذرني ومن خلقت وحيداً).

دون التفكير وذمه عليه دونه وهذا متزل على مقتضى الحال[٢]سواء فإنه بالفكر طالب لاستخراج المجهول وذلك غير مذموم فلما استخرجه قدر له تقديرين تقديراً كلياً (وتقديراً)[٣]جزئياً فالتقدير الكلي أن الساحر هو الذي يفرق بين المرء وزوجه والتقدير الجزئي (أن هذا الساحر هو)[٤]الذي يفرق بين المرء وزوجه[٥]فهنا تقدير بعد تقدير فلهذا كرره سبحانه وذمه عليه بخلاف التفكير[٦]فإن الفكر طالب لمعرفة الشئ فلا يذم بخلاف من قدر بعد تفكيره ما يوصله إلى تحقيق الباطل وإبطال الحق فتأمله .



(1)سورة المدثر الآيتان (١٨-١٩) .

(2)في المطبوع : (حال) .

(3)سقط من (م) و (ق) .

(4)سقط من غير الأصل .

(5)في المطبوع : زيادة (مذموم) .

(6)في (م) و (ق) والمطبوع : (وأما التفكير فإن الفكر).

فصل

ثم انزل إلى / العينين [(١)] وتأمل عجائبها وشكلها وخلقها وإيداع النور الباصر فيها [١٤٥/ب] وتركيبها من عشر طبقات وثلاث رطوبات ولكل واحد من هذه الطبقات والرطوبات شكل مخصوص ومقدار [(٢)] مخصوص لو لم يكن عليه لا اختلت المصلحة المقصودة [٣] وجعل سبحانه موضع الإبصار في قدر العدسة ثم أظهر في تلك العدسة قدر السماء والأرض والجبال والبحار والشمس والقمر فكيف [(٤)] اتسعت .

تلك العدسة أن يرسم [(٥)] فيها ما لا نسبة لها إليه البتة وجعل تلك القوة الباصرة في جزء أسود فتأمل كيف قام هذا النور الباهر بهذا الجزء الأسود وجعل سبحانه الحدقة مصونة بالأجفان لتسترها وتحفظها وتصقلها وتدفع الأقذار عنها وجعل شعر الأجفان أسود .ليكون سواده سبباً لاجتماع النور الذي به الإبصار ويكون مانعاً من تفرقه ويكون أبلغ في الحسن والجمال وخلق سبحانه لتحريك [(٦)] الحدقة أربعة وعشرين عضلة لو نقصت واحدة منهن لأخل [(٧)] أمر العين ولما كانت العين شبها [(٨)] بالمرآة التي إنما ينتفع بها إذا كانت في غاية الصقالة والصفاء وجعل سبحانه الأجفان متحركة إلى الانطباق والانفتاح [(٩)] أبداً باختيار الإنسان وغير اختيار [(١٠)] لتبقى الحدقة نقية

---

(1) في غير الأصل : (العين) .

(2) في الأصل : (ومقدر) .

(3) في الأصل : (لأخل المصلح المقصود) ، وفي (م) (لأخل المصلحة المقصودة) .

(4) في المطبوع : (فانظر كيف) .

(5) في المطبوع : (يرتسم) .

(6) في (م) و (ق) والمطوبع : (لتحرك) .

(7) في المطبوع : (لاختل) .

(8) في (م) و (ق) : (شبيهاً) وفي المطبوع : (شبيهه) .

(9) في (م) و (ق) : (متحركة إلى الأطباق أبداً) وفي المطبوع : (متحركة إلى الانتفاح والانطباق) .

(10) في غير الأصل : (اختياره) .

صافية عن جميع الكدورات وجعل العينين بمنزلة المرآتين الصقيلتين اللتين تنطبع فيها[1]صور الأشياء الخارجية فيتأثر القلب بذلك .

ثم يظهر ما فيه عليهما فيتأثران به فهما مرآه لما في القلب يظهر فيهما ومرآة لما في الخارج تنطبع صورته فيهما فالعينان على القلب كالزجاجتين الموضوعتين في المرآة ولذلك يستدل بأحوال العين على أحوال القلب من رضاه وغضبه وحبه وبغضه ونفرته وقرته[2]ومن أعجب الأشـــياء أن ماء[3]العين من ألطف أعضاء البدن وهي لا تتأثر بالحر والبرد كتأثر غيرها من الأعضاء الكثيفة ولو كان الأمر عائداً إلى مجرد الطبيعة لكان ينبغي أن يكون الأمر بالعكس لأن الألطف أسرع تـــأثيراً فعلم أن حصول هذه المصالح ليس هو بمجرد الطبع .



(1) في غير الأصل : (فيهما) .
(2) سقط من غير الأصل .
(3) سقط من المطبوع .

فصل

ثم اعدل إلى الأذنين وتأمل شقهما وخلقهما وإيداع الرطوبة فيها ليكون ذلك عوناً على إدراك السمع وجعل ماءهما مرا[1] لتمتنع الهوام عن الدخول في الأذن وحفظهما سبحانه بصدفتين يجمعان الصوت ويؤديانه إلى الصماخ وجعل في الصدفتين تعوجات لتطول المسافة فتنكسر حدة الصوت ولا تلج الهوام دفعة بل تكثر حركاتها فينتبه لها فيخرجها وجعل العينين مقدمتين والأذنين مؤخرتين لأن العينين بمنزلة الطليعة والكاشف والرائد الذي يتقدم القوم يكشف لهم وبمنزلة السراج الذي يتقدم القوم يكشف لهم وبمنزلة السراج الذي يضئ للسائق ما أمامه وأما الأذنان فيدركان المعاني الغائبة التي ترد على العبد من أمامه وخلفه وعن جانبه فكان جعلهما في الجانبين أعدل الأمور فسبحان من بهرت بحكمته العقول وجعل للعينين غطاءً (ولم يجعل للأذنين غطاءً)[2] لأن مدرك الأذن الأصوات ولا بقاء لها فلو جعل عليها غطاءً لزال الصوت فزالت المنفعة المقصوده وأمامدرك العين فأمر ثابت والعين محتاجة إلى غطاء يقيها وحصول الغطاء لا يؤثر في بعض[3] الإدراك وقال بعض أهل العلم : عينا الإنسان هاديان وأذناه رسولان إلى قلبه ولسانه ترجمان ويداه جناحان ورجلاه بريدان فالقلب ملك فإذا طاب الملك طابت جنوده وإذا خبث خبثت جنوده .



---

[1] في (م) و (ق) والمطبوع : (وجعلها مرة) .

[2] سقط من غير الأصل .

[3] سقط من المطبوع .

﴿ فصل ﴾

ثم انزل إلى الأنف وتأمل شكله وخلقه[1]وكيف وضعه[2]سبحانه في وسط الوجه[3]بأحسن شكل وفتح فيه بابين وأودع فيهما حاسة الشم وجعله آلة لاستنشاق / الهواء وإدراك الروائح على [١٤٦/أ] اختلافها ، فيستنشق بهما الهواء البارد الطيب . يستغنى بالمنخرين عن فتح الفم أبداً ولولاهما لاحتاج إلى فتح فمه دائماً ، وجعل سبحانه تجويفه واسعاً لينحصر فيه الهواء وينكسر برده قبل الوصول إلى الدماغ فإن الهواء المستنشق ينقسم قسمين :

شطراً منه وهو أكثره ينفذ إلى الرئة .

وشطراً ينفذ إلى الدماغ ولذلك يضر المزكوم استنشاق الهواء البارد .

وجعل في الأنف أيضا إعانه على تقطيع الحروف وجعل بين المنخرين حاجزاً وذلك أبلغ لحصول المنفعة المقصودة حتى كأنهما اثنان[4]بمترلة العينين والأذنين واليدين والرجلين .

وقد يصيب أحد المنخرين آفة فيبقى الآخر سالماً وجعل تجويفه نازلاً إلى أسفل ليكون مصباً للفضلات النازلة من الدماغ وستره بساتر[5]لئلا تبدو تلك الفضلات في عين الرائي .

وتأمل منفعة النفس الذي لو قطع عن الإنسان لهلك وهو أربعة وعشرون ألف نفس في اليوم والليلة ، قسط كل ساعة ألف نفس وتأمل كيف يدخل الهواء في المنخرين فيكسر برده هناك . ثم يصل إلى الحلقوم فيعتدل مزاجه (هناك)[6]ثم يصل إلى الرئة فيتصفى فيهما[7]من الغلط والكدرة ثم يصل إلى القلب أصفى ما كان وأعدل[8] فيروح عنه ثم ينفذ منه إلى العروق المتحركة

---

[1]في (م) و (ق) والمطبوع : (وخلقته) .

[2]في (م) و (ق) والمطبوع : (رفعه) .

[3]في (م) و (ق) والمطبوع : (الوجنة) .

[4]في غير الأصل (أنفان) .

[5]في (م) و (ق) والمطبوع : زيادة (أبدي) .

[6]سقط من غير الأصل .

[7]في غير الأصل : (فيها) .

[8]في المطبوع : (وأعدله) .

ويتقدم إلى أقاصي أطراف البدن ثم إذا سخن جداً وخرج عن حد الانتفاع[1] عـــاد عـــن تلـــك الأقاصي إلى البدن ثم إلى الرئة ثم إلى الحلقوم ثم إلى المنخرين ثم يخرج ويعود مثله هكذا[2] أبداً .

فمجموع ذلك هو النفس الواحد وقد أحصى الرب عدد هذه الأنفاس وجعل مقابل كل نفس منها ما شاء الله من الأحقاب في الجحيم أو النعيم فما أسفه من أضاع ما هذا قيمته في غـــير شئ .



(1) في المطبوع : زيادة (به) .

(2) في المطبوع : (وهكذا) .

فصل

وهو سبحانه جعل القلب أمير البدن ومعدنا للحرارة الغريزية فإذا استنشق الهواء البارد وصل إلى القلب واعتدلت حرارته فيبقى هناك مدة فسخن واحتد[١]، واحتاج إلى إخراجه ودفعه معه[٢]. فلم يضيع أحكم الحاكمين ذلك النفس ويخرجه بغير فائدة بل جعل إخراجه سبباً لحدوث الصوت .

ثم جعل سبحانه[٣]الحنجرة واللسان والحنك (آلات وأسباباً مختلفة الأشكال)[٤]فباختلافهما يكون الصوت[٥]فيحدث الحرف ثم ألهم الإنسان أن ركب[٦]ذلك الحرف إلى مثله ونظيره فتحدث الكلمة ثم ألهمه تركيب تلك الكلمة إلى مثلها فيحدث الكلام.

فتأمل هذه الحكمة[٧]الباهرة في إيصال النفس إلى القلب لحفظ حياته ثم عند الحاجة إلى إخراجه والاستغناء عنه جعله سببا لهذه المنفعة العظيمة فتبارك الله أحسن الخالقين .

وخلق سبحانه هذه المقاطع والحناجر مختلفة الأشكال ، (والضيق[٨] والسعة والخشونة والملاسة لتختلف الأصوات باختلافها)[٩]فكما لا تتشابه صورتان من كل وجه فلا يتشابه صوتان بل كما يحصل الامتياز بين الأشخاص بالقوة الباصرة فكذلك يحصل بالقوة السامعة فيحصل الامتياز للأعمى والبصير .



---

(1) في (م) و (ق) : (فسخن وأحرق) ، وفي المطبوع : (فلما سخن واحترق) .
(2) في المطبوع : (ودفعه منه) .
(3) في (م) و (ق) والمطبوع : زيادة (في) .
(4) سقط من غير الأصل .
(5) في (م) و (ق) : (بإخلافها الصوت) وفي المطبوع : (بإختلافها الصوت) .
(6) في المطبوع : (يركب) .
(7) في غير الأصل : (الحكم) .
(8) في (م) و (ق) : (في) .
(9) سقط من المطبوع .

﴿ فصل ﴾
{ الصدر وما يحويه }

ثم انزل إلى الصدر : ترى معدن العلم والحلم والوقار والسكينة والبر وأضدادها فتجد صدور العلماء[١]تغلي[٢]بالبر والخير والعلم والإحسان وصدور السفلة تغلي بالفجور والشر[٣]والاساءة والحسد وا لمكر .

ثم انفذ من ساحة الصدر إلى مشاهدة القلب : تجد ملكاً عظيماً جالساً على سرير مملكته يأمر وينهى ويولي ويعزل وقد حف بالأمراء والوزراء والجند وكلهم[٤]في خدمته أن استقام استقاموا وإن زاغ زاغوا فإن صح صحوا وإن فسد فسدوا فعليه المعول وهو محل نظر الرب تعالى ومحل معرفته ومحبته وخشيته والتوكل عليه والانابة إليه والرضا به . وعنه والعبودية عليه أولا وعلى رعيته وجنده تبعاً .

فأشرف ما في الإنسان قلبه فهو العالم بالله العامل له الساعي إليه المحب له فهو محل ا لايمان والعرفان وهو المخاطب المبعوث إليه المرسل المخصوص بأشرف العطايا وهو الإيمان والعقل .

وإنما الجوارح أتباع وتبع للقلب يستخدمها استخدام الملوك للعبيد والراعي للرعية والذي يسري إلى الجوارح من الطاعات والمعاصي إنما هي آثاره فإن أظلم أظلمت وإن استنار استنارت ومع هذا فهو بين اصبعين من أصابع الرحمن عز وجل .

فسبحان مقلب القلوب ومودعها ما يشاء من أسرار الغيوب الذي يحول بين المرء وقلبه ويعلم ما ينطوي عليه من طاعته وذنبه[٥]مصرف القلوب كيف أراد وحيث اراد أوحى إلى قلوب

---

[1] في غير الأصل : (العلية) .

[2] في المطبوع : (تعلو) .

[3] في المطبوع : (والشرور والإساءة) .

[4] في (م) و (ق) والمطبوع : (كلهم) .

[5] في (م) والمطبوع (ودينه) .

أولياءه أن أقبلي إلي فبادرت وباتت[١] وقالت[٢] بين يدي رب العالمين . وكره انبعاث آخرين فثبطهم وقيل اقعدوا مع القاعدين .

كانت أكثر يمين رسول الله صلى الله عليه وسلم : " **لا ومقلب القلوب** "[٣] وكان من دعائه : " **اللهم يا مقلب القلوب ثبت قلوبنا على طاعتك** "[٤] قال بعض السلف : (للقلب أشد تقلباً من القدر إذا استجمعت غلياها وقال آخر)[٥] للقلب أشد تقلبا من الريشة بأرض فلاة في يوم ريح عاصف .

ويطلق القلب على معنيين أحدهما أمر حسي وهو العضو اللحمي الصنوبري الشكل المودع في الجانب الأيسر من الصدر وفي باطنه تجويف وفي التجويف دم أسود وهو منبع الروح والثاني أمر معنوي وهو لطيفة ربانية رحمانية روحانية لها بهذا العضو تعلق اختصاص وتلك اللطيفة هي حقيقة الإنسانية .

وللقلب جندان ، جند يرى بالأبصار وجند يرى بالبصائر فأما جنده المشاهدة فالأعضاء الظاهرة والباطنة خلقت خادمة له لا تستطيع له خلافا فإذا أمر العين بالانفتاح انفتحت وإذا أمر اللسان بالكلام تكلم وإذا أمر اليد بالبطش[٦] بطشت وإذا أمر الرجل بالسعي سعت وكذا جميع الأعضاء ذللت له تذليلاً .

ولما خلق القلب للسفر إلى الله والدار الآخرة وجعل في هذا العالم ليتزود منه افتقر إلى المركب والزاد لسفره الذي خلق لأجله فأعين بالأعضاء والقوى وسخرت له وأقيمت في خدمته ليجلب له ما يوافقه من الغذاء والمنافع ويدفع عنه ما يضره ويهلكه فافتقر إلى جندين :

---

(1) في (م) و (ق) : (إلى قلوب الأولياء بأن أقبلي) .

(2) في المطبوع : (وقامت) .

(3) تقدم تخريجه

(4) ثبت عنه صلى الله عليه وسلم : " يا مقلب القلوب ثبت قلوبنا على دينك " . كما أخرج ذلك أحمد في مسنده (١٨٢/٤) ، والأجري في الشريعة . وابن ماجة في (١) المقدمة ، ( ) باب فيما أنكرت الجهمية ح (١٩٩) ، وابن حبان في صحيحه كما في الإحسان (٩) باب الأدعية ح (٩٤٣) ، وابن أبي عاصم في السنة ح (٢١٩) وغيرهم .

(5) سقط من الأصل .

(6) سقط من (م) و (ق) .

باطل : وهو الإرادة للشهوة[١]، والقوى وظاهر وهو الأعضاء فخلق في القلب من الإرادات والشهوات ما احتاج إليه وخلقت له الأعضاء التي هي آلة الإرادة واحتاج لدفع المضار إلى جند باطن وهو الغضب الذي يدفع المهلكات وينتقم[٢]من الأعداء وظاهر وهو الأعضاء التي ينفذ بها غضبه كالأسلحة للمقاتل[٣]ولا يتم له[٤]ذلك إلا بمعرفة ما يجلب وما يدفع فأعين بجند من العلم[٥]يكشف له حقائق ما ينفعه وما يضره . ولما سلطت عليه الشهوة والغضب والشيطان أعين بجند من الملائكة وجعل له محلاً من الحلال ينفذ فيه شهواته وجعلت بإزائه أعداء له ينفذ فيهن غضبه . فما ابتلي بصفة من الصفات إلا وجعل له نصر ومحل ينفذها فيه فجعل لقوة الحسد فيه مصرف المنافسة في فعل الخير والغبطة عليه والمسابقة إليه ولقوة الكبر التكبر على أعداء الله تعالى وإهانتهم وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم لمن رآه يختال بين الصفين في الحرب : " **إنها مشية يبغضها الله إلا في هذا الموطن** "[٦] .

وقد أمر الله بالغلظة على اعدائه .

وجعل لقوة الحرص مصرفاً وهو الحرص على ما ينفع كما قال رسول الله[٧]صلى الله عليه وسلم : " **احرص على ما ينفعك** "[٨] ولقوة الشهوة مصرفاً وهو الزواج بأربع والتسري بما شاء .

---

[1]في غير الأصل : (والشهوة) .

[2]في المطبوع : (وينتقم به) .

[3]يف (م) و (ق) والمطبوع : (للقتال) .

[4]سقط من المطبوع .

[5]في المطبوع : (من العلم بما يكشف) .

[6]أخرجه ابن هشام في السيرة بسنده عن ابن إسحاق (١٣/٤) ، وفيه راو لم يسم ، وكذا الطبراني في المعجم الكبير (١٢٣/٧) ح (٦٥٠٨) ، وقال الهيثمي في المجمع (٨١٠٩/٦) : وفيه من لم أعرفهم ، وأصل القصة أخرجها أحمد في مسنده (١٢٣/٣) ، ومسلم في صحيحه في ( ) فضائل الصحابة ، ( ) باب من فضائل أبي دجانة ح (٢٤٧٠)من طريق حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس : " أن رسول الله صلى الله عليه وسلم . أخذ سيفاً يوم أحد فقال : من يأخذ مني هذا ؟ ، فبسطوا أيديهم . كل إنسان منهم يقول : أنا ، أنا . قال : فمن يأخذه بحقه ؟ قال : فأحجم القوم : فقال سماك بن خرشة ، أبو دجانة : أنا آخذه بحقه . قال : فأخذه ففلق به هام المشركين

[7]في (م) و (ق) والمطبوع : (النبي) .

[8]أخرجه مسلم في (٤٦) كتاب القدر ، (٨) باب ف الأمر بالقوة وترك العجز ، والاستعانة بالله ، وتفويض المقادير لله ، ح (٢٦٦٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

ولقوة حب المال مصرفاً وهو إنفاقه في مرضاته والتزود منه لمعاده فمحبة المال . على هذا الوجه لا تذم ولمحبة الجاه مصرفاً وهو استعماله في تنفيذ أوامره وإقامة دينه ونصر المظلوم وإغاثة الملهوف وإعانة الضعيف وقمع أعداء الله . فمحبة الرئاسة والجاه على هذا الوجه عبادة .

وجعل لقوة اللعب واللهو مصرفاً وهو لهوه مع امرأته أو بقوسه وسهمه ، أو تاديبه فرسه وكل ما اعان على الحق فهو من الحق ، وكل ما اعان على الباطل فهو من الباطل والضلال .

وجعل لقوة التحيل والمكر فيه مصرفاً ، وهو لهوه مع امرأته أو بقوسه وسهمه ، أو تأديبه فرسه وكل ما أعان على الحق (فهو من الحق ، وكل ما أعان على الباطل فهو من الباطل والضلال)[1].

وجعل لقوة التحيل والمكر فيه مصرفاً ، وهو التحيل على عدوه وعدو الله بأنواع التحيل حتى يراغمه ويره خاسئاً ، ويستعمل معه من أنواع المكر ما يستعمله عدوه معه .

وهكذا جميع القوى التي ركبت فيه (فإنها لا تزول ولا يطلب)[2]إعدامها وقد ركبها الله فيه لمصالح اقتضتها حكمته ، فلا يطلب تعطيلها ، وإنما تصرف مجاريها من محل إلى محل ، ومن موضع إلى موضع ، ومن تأمل هذا الموضع وتفقه فيه علم شدة الحاجة إليه وعظم الانتفاع به .



(1) سقط من غير الأصل .
(2) سقط من غير الأصل .

فصل
{ جنود القلب وأبوابه }

وجماع الطرق والأبواب التي يصاب[١]منها القلب وجنوده أربعة فمن ضبطها وعدلها وأصلح مجاريها ، وصرفها في محالها اللائقة بها ضبطت وحفظت جوارحه[٢]ولم يشمت به عدوه وهي : **الحرص والشهوة والغضب والحسد** .

فهذه الأربعة هي أصول مجامع طرق الشر والخير ، وكما هي طرق إلى العذاب السرمدي فهي طرق إلى النعيم الأبدي .

فآدم أبو البشر[٣]أخرج من الجنة بالحرص ، ثم أدخل إليها بالحرص ولكن فرق بين حرصه الأول وحرصه الثاني .

وأبو الجن أخرج منها بالحسد ثم لم يوفق لمنافسة وحسد يعيده إليها . وقد قال النبي ﷺ : " **لا حسد إلا في اثنتين : رجل آتاه الله مالاً فسلطه على هلكته في الحق ، ورجل آتاه الله القرآن فهو يقوم به آناء الليل وأطراف النهار** "[٤] .

وأما الغضب فهو غول العقل يغتاله كما يغتال الذئب الشاة وأعظم ما يفترسه الشيطان عند غضبه وشهوته .

فإذا[٥]كان حرصه على ماينفعه، وحسده منافسة في الخير، وغضبه له وعلى اعدائه ،وشهوته مستعملة فيما أبيح له، كان ذلك عوناً له على ما أمر به، و لم تضره هذه الأربعة بل ينتفع بها أعظم الانتفاع .



---

(1) في غير الأصل : (يصان) .
(2) في غير الأصل : (استفاد منها قلبه وجوارحه) .
(3) في غير الأصل : زيادة (صلى الله عليه وسلم) .
(4) أخرجه البخاري في (٦٦) كتاب فضائل القرآ، ، (٢٠) باب اغتباط صاحب القرآن ح (٥٠٢٥) من حديث سالم بن عبدالله عن أبيه ولفظه : (لا حسد إلا على اثنتين : رجل آتاه الله الكتاب وقام به آناء الله ، ورجل أعطاه الله مالاً فهو يتصدق به آناء الليل وآناء النهار) ، وبمثله أخرجه مسلم في (٦) كتاب صلاة المسافرين وقصرها (٤٧) باب فضل من يقوم بالقرآن ويعلمه . . ح (٨١٥) .
(5) في غير الأصل (وإذا) .

فصل

{ حال القلب مع الملك والشيطان }

وإذا تأملت حال القلب مع الملك والشيطان . رأيت أعجب العجائب ، فهذا يلم به مرة ، وهذا يلم به مرة فإذا ألم به الملك حدث من لمته الانفساح والانشراح والنور والرحمة والإخلاص والإنابة ومحبة الله وإيثاره على ما سواه وقصر الأمل والتجافي عن دار البلاء والامتحان والغرور . فلو دامت له تلك الحالة لكان أ عيش وألذه وأطيبه . ولكن تأتيه لمة الشيطان فتحدث له من الضيق والظلمة والهم والغم والخوف والسخط على المقدور والشك في الحق والحرص على الدنيا وعأجلها والغفلة عن الله ما هو من اعظم عذاب القلب

ثم للناس في هذه المحنة مراتب لا يحصيها إلا الله (عز وجل) :

فمنهم من تكون لمة الملك اغلب عليه من لمة الشيطان واقوى فإذا ألم به الشيطان وجد من الألم والضيق والحصر وسوء الحال بحسب ما عنده من حياة القلب ، فيبادر إلى (محو)[1] تلك اللمة ولا يدعها تستحكم فيصعب تداركها فهو دائم بين اللمتين يدال له مرة ، ويدال عليه مرة والعاقبة للتقوى .

ومنهم من تكون لمة الشيطان اغلب عليه (من لمة الملك)[2] واقوى فلا تزال تغلب لمة الملك حتى تستحكم ويصير الحكم لها فيموت القلب فلا يحس بما ناله الشيطان مع أنه في غاية العذاب والألم والضيق والحصر ، ولكن سكر الشهوة والغفلة حجب عنه الإحساس بذلك المؤلم ، فإذا كشف عنه بعض غطائه أدرك سوء حاله ، وعلم ما هو فيه ، فإن استمر له كشف الغطاء[3]

---

[1] سقط من غير الأصل .

[2] سقط من غير الأصل .

[3] في (م) و (ق) : (فإذا كشف أمكنه) ، وفي المطبوع : (فإذا كشف أمكنه تداركه بالدواء) .

أمكنه تدارك هذا الداء وحسمه ، وإن عاد الغطاء عاد الأمر كما كان حتى يكشف[١] عنه وقت المفارقة فتظهر حينئذ تلك الآلام والهموم والعموم والأحزان ، وهي لم تتجدد له وإنما كانت كامنة (فيه)[٢] تواريها الشواغل فلما زالت الشواغل ظهر ما كان كامنا وتجدد له أضعافه .



[1] في المطبوع : (ينكشف) .
[2] سقط من غير الأصل .

فصل

{ لمة الشيطان }

والشيطان يلم بالقلب لما له هناك من جواذب تجذبه وهى نوعان : صفات وإرادات ، فإذا كانت الجواذب صفات قوى سلطانه هناك واستفحل أمرهووجد موطناً ومقراً فتبقى[١]الأذكار والدعوات والتعوذات (التي يأتي بها الإنسان)[٢]حديث نفس فلا[٣]تدفع سلطان الشيطان لأن مركبه صفة لازمة فإذا قلع العبد تلك الصفات (من قلبه)[٤]وعمل على التطهير منها والاغتسال بقي للشيطان بالقلب خطرات ووساوس ولمات من غير استقرار وذلك يضعفه ويقوي لمة الملك فتأتي الأذكار والدعوات والتعوذات فتد فعه باسهل شئ .

وإذا أردت لذلك مثالاً مطابقاً : فمثله مثل كلب جائع شديد الجوع وبينك وبينه لحم أو خبز وهو يتأملك فيراك لا تقاومه وهو قد اقترب[٥]منك ، فأنت تزجره وتصيح عليه وهو يأبى إلا الهجوم عليك ، والغارة على ما بين يديك . فالأذكار بمترلة الصياح عليه والزجر له ، ولكن معلومه ومراده عندك وقد قويته[٦]عليك فإذا لم يكن بين يديك شئ يصلح له وقد تأملك فرآك أقوى منه ، فإنك تزجره فيترجر وتصيح عليه فيذهب وكذلك القلب الخالي عن قرة الشيطان يترجر بمجرد الذكر .

---

(1) في الأصل : (فتأتي) .

(2) ما بين القوسين سقط من غير الأصل .

(3) في غير الأصل : (لا تدفع) .

(4) ما بين القوسين سقط من غير الأصل .

(5) في (م) و ق) والمطبوع : (وهو أقرب منك) .

(6) في غير الأصل : (وقد قربته عليك) .

وأما القلب التي(١)فيه تلك الصفات التي هى مركبه وموطنه فيقع الذكر في حواشيها وجوانبها(٢)ولا يقوى على إخراج العدو ، ومصداق ذلك تجده في الصلاة فتأمل الحال وانظر هل تخرج الصلاة وأذكارها وقرآنها الشيطان من قلبك ، وتفرغه كله لله وتقيمه بين يديه مقبلاً بكليته / عليه . يصلي لله(٣)كأنه يراه . قد اجتمع همه كله على الله وصار ذكره ومراقبته ومحبته والأنس [١٤٦/ب] به في محل الخواطر والوساوس(٤)أم لا ؟ فالله المستعان .

وها هنا نكتة ينبغي التفطن لها وهى أن القلوب ممتلئة(٥)بالأخلاط الردية ،والعبادات والأذكار والتعوذات ادوية لتلك الأخلاط كما يثير الدواء أخلاط البدن ، فإن كان قبل الدواء وبعده حمية نفع ذلك الدواء وبلغ الداء أو أكثر ، وإن لم يكن قبله ولا بعده حمية لم يزد الدواء على إثارته وإن أزال منه شيئاً ما فدار الأمر على شيئين الحمية واستعمال الأدوية .



(1) في غير الأصل : (الذي) .
(2) في (م) و (ق) : (حراسها وجوابنها) ، وفي المطبوع : (حواشيه وجوانبه) .
(3) في غير الأصل : زيادة (تعالى) .
(4) في غير الأصل : (والوسواس) .
(5) في (م) و (ق) والمطبوع : (الممتلئة) .

فصل
{ الخطرات ودفعها }

وأول ما يطرق القلب الخطرة ، فإن دفعها استراح مما بعدها ، وإن لم يدفعها قويت فصارت وسوسة ،فكان دفعها أصعب ، فإن بادر ودفعها وإلا قويت فصارت شهوة فإن عالجها وإلا صارت إرادة ، فإن عالجها وإلا صارت عزيمة ، ومتى وصلت إلى هذا[١] الحال لم يمكنه[٢] دفعها واقترن بها الفعل ولابد وما يقدر عليه من مقدماته وحينئذ ينتقل العلاج من مقدماته إلى أقوى الأدوية . وهو الاستفراغ التام بالتوبة النصوح ، ولا ريب أن دفع مبادئ هذا الداء أولا أسهل بكثير من طلب الدواء وإذا وازن العبد بين دفع هذا الداء من أوله وبين استفراغه بعد حصوله وساعد القدر وأعان التوفيق رأى أن الدفع أولى به .

وإن تألمت النفس بمفارقة المحبوب فليوازن بين فوات هذا المحبوب الأخس المنقطع النكد المنشوب بالآلام والهموم وبين فوات المحبوب الأعظم الدائم الذي لا نسبة لهذا المحبوب إليه البتة لافي قدره ولا في دوامه وبقائه ، وليوازن بين ألم فوته ، وبين ألم فوت المحبوب الأخس / وليوازن بين لذة الإنابة والإقبال على الله[٣] والتنعم بحبه وذكره وطاعته ولذة الإقبال على الرذائل والأنتان والقبائح ، وليوازن بين لذة الظفر بالذنب ولذة الظفر بالعدو وبين لذة الذنب ولذة العفة ، ولذة الذنب ولذة القوة وقهر الهوى ، وبين لذة الذنب ولذة إرغام عدوه ورده خاسئاً ذليلاً ، وبين لذة الذنب ولذة الطاعة التي تحول بينه (وبين مراده وبين فوته مراده وفوت ثناء الله وملائكته عليه)[٤] ، وفوت حسن جزاية وجزيل ثوابه ، وبين فرحة إدراكه وفرحة تركه لله[٥] عاجلاً ، وفرحة ما يثيبه عليه في دنياه وأخرته . والله المستعان .

---

[1] في غير الأصل : (هذه) .

[2] في المطبوع : (يمكن) .

[3] في غير الأصل : زيادة (تعالى) .

[4] اضطراب هنا في النص في النسخ المخطوطة ، ولذلك أثبت ما في المطبوع .

[5] في غير الأصل : زيادة (تعالى) .

وهذا فصل جره الكلام في قوله تعالى ﴿ **وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ** (٢١) ﴾[١] أشـــرنا إليه[٢] لو استقصيناه لاستدعى عدة أسفار ، ولكن فيما ذكرناه تنبيه على ما تركناه وبالله التوفيق .



---

[1] سورة الذاريات الآية (٢١) .

[2] في غير الأصل : (أشرنا إليه إشارة ، ولو استقصيناه . .) .

﴿ فصل ﴾

ولنرجع إلى المقصود ، ثم قال تعالى : ﴿ وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ(٢٢) ﴾[1] .

أما الرزق ففسر بالمطر وفسر بالجنة ، ففسر برزق الدنيا والآخرة[2]ولا ريب أن المطر من الرحمة ، وأن الجنة ، مستقر الرحمة ، فرزق الدارين في السماء التي هى العلو .

وقوله تعالى : ﴿ وَمَا تُوعَدُونَ ﴾ :

قال عطاء[3]: من الثواب والعقاب[4].

قال الكلبي : من الخير والشر [5]،

وقال مجاهد : [6]الجنة والنار[7]،

وقال ابن سيرين : من أمر الساعة[8].

قلت : كون الجنة والخير في السماء فلا أشكال فيه ، وكون النار في السماء وما يوعدون به أهلها يحتاج (إلى)[9]تبيين ، فإذا نظرت إلى أسباب الخير والشر وأسباب دخول الجنة والنار ، وافتراق[10]الناس وانقسامهم إلى شقي وسعيد ، وجدت ذلك كله بقضاء الله وقدره النازل من السماء ، وذلك كله مثبت في السماء في صحف / الملائكة ، وفي اللوح المحفوظ قبل العمل وبعده فالأمر كله من السماء ، وقول من قال : أمر الساعة يكشف عن هذا المعنى فإن أمر الساعة يأتي من السماء . وهو الموعود بها ، والجنة والنار الغاية التي لأجلها قامت الساعة فصح كل ما قال السلف في ذلك والله أعلم .



---

(1) سورة الذاريات الآية (٢٢) .
(2) انظر هذه الأقوال في : جامع البيان (٢٠٥/٢٦) ، معاني الزجاج (٥٤/٥) ، البسيط (١٢٨/١) ت/محوي ، معالم التنزيل (٣٧٥/٧) ، زاد المسير (٣٤/٨) .
(3) في غير الأصل : زيادة (رضي الله عنه) .
(4) انظر : البسيط (١٢٨/١) ، معالم التنزيل (٧/ ٣٧٥) .
(5) انظر البسيط (١٢٨/١) .
(6) في المطبوع : (من الجنة والنار) .
(7) انظر : تفسير مجاهد (٦١٨/٢) ، وقد أخرجه الطبري في تفسيره (٢٠٦/٢٦) وإسناده صحيح كما قال صاحب التفسير الصحيح (٣٨٩/٤) ، وذكره البغوي في تفسيره (٣٧٥/٧) .
(8) انظر : البسيط (١٢٨/١) ت/محوي ، فتح القدير (٩٩/٥) .
(9) سقط من الأصل .
(10) في الأصل : (واقتران) .

فصل

{ أعظم قسم في القرآن }

ثم أقسم سبحانه أعظم قسم بأعظم مقسم به على أجل مقسم عليه وأكد الأخبار به هـذا القسم ثم أكده سبحانه بشبهه[١] بالأمر المحقق الذي لا يشك فيه ذو حاسة سليمة ،قال (تعالى) : ﴿ فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ(٢٣) ﴾[٢] .

قال ابن عباس[٣]: يريد أنه لحق واقع كما أنكم تنطقون[٤].

قال الفراء : إنه لحق كما أن الآدمي ناطق[٥].

قال الزجاج : هذا كما تقول في الكلام أن هذا لحق كما أنك ههنا[٦].

قلت : وفي الحديث : ﴿ إنه لحق كما أنك ههنا ﴾[٧] .

فشبه[٨] سبحانه تحقيق ما أخبر به بتحقيق نطق الآدمي ووجوده ، والواحد منا يعرف أنه ناطق ضرورة ولا يحتاج نطقه إلى استدلال على وجوده ولا يخالجه شك في أنه ناطق فكذلك ما أخبر الله سبحانه عنه من أمر التوحيد والنبوة والمعاد وأسمائه وصفاته حق ثابت في نفس الأمر يشبه ثبوت[٩] نطقكم ووجوده . وهذا باب يعرفه الناس في كلامهم يقول أحدهم :هـذا حـق مثـل الشمس ، وأفصح الشاعر عن هذا بقوله :

وليس يصح في الأذهان شئ إذا احتاج النهار إلى دليل

---

(1) في (م) و (ق) : (بشبيهه) ، وفي المطبوع : (تشبيهه) .

(2) سورة الذاريات الآية (٢٣) .

(3) في غير الأصل و (ب) : زيادة : (رضي الله عنه) .

(4) انظر : البسيط (١٣٣/١) ت/ المحوي .

(5) معاني القرآن للفراء (٨٥/٣) .

(6) معاني القرآن وإعرابه (٥٤/٥) وفيه : (كما أنك متكلم) بدل (ههنا) .

(7) تقدم تخريجه .

(8) في المطبوع : (فتشبهه) .

(9) في غير الأصل و (ب) : (يشبه ثبوت) .

وها هنا أمر ينبغي التفطن له وهو : أن الرب تعالى شهد بصحة ما أخبر به وهو اصدق الصادقين ، وأقسم عليه وهو أبر المقسمين . وأكده بتشبيهه بالواقع الذي لا يقبل الشك بوجه ،و أقام عليه من الأدلة العيانية والبرهانية ما جعله معايناً مشاهداً بالبصائر وإن لم يعاين بالأبصار . ومع ذلك فإن أكثر النفوس في غفلة عنه لا تستعد له ولا تأخذ له أهبته والمستعد له الأخذ له اهبته لآ يعطيه حقه منهم إلا الفرد بعد الفرد .

فأكثر هذا الخلق لا ينظرون في المراد من إيجادهم وإخراجهم إلى هذه الدار ولا يتفكرون في قلة مقامهم في دار الغرور، ولا في رحيلهم وانتقالهم عنها ولا إلى أين يرحلون وأين يستقرون ، قد ملكهم الحس ، وقل نصيبهم من العقل ، وشملتهم الغفلة ، وغرتهم الأماني التي هي كالسراب وخدعهم طول الأمل . فكأن المقيم لا يرحل ، وكأن أحدهم لايبعث ولا يسأل . وكأن مع كل مقيم توقيع من الله لفلان بن فلان بالأمان من عذابه والفوز بجزيل ثوابه .

فأما همهم[١]ففي اللذات الحسية والشهوات النفسية كيفما حصلت حصلوها ، ومن أي وجه لاحت أخذوها ، غافلين عن المطالبة آمنين من العاقبة ، يسعون لما لايدركون ويتركون ما هم به يطالبون ، ويعمرون ما هم عنه منتقلون ، ويخربون ما هم إليه صائرون ، : ﴿ (**يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا**) [٢]**وَهُمْ عَنْ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ(٧)** ﴾[٣] ألسنتهم[٤] (لا تنطق إلا)[٥] بشهوات نفوسهم فلا ينظرون في مصالحها ولا يأخذون في جمع زادها في سفرها : ﴿ **نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُوْلَئِكَ هُمْ الْفَاسِقُونَ(١٩)** ﴾[٦]

والعجب كل العجب من غفلة من تعد[٧]لحظاته وتحصى عليه أنفاسه ومطايا الليل والنهار تسرع به ولا يتفكر إلى أين يحمل ولا إلى أي مترل ينقل ؟

وكيف تنام العين وهي قريرة ... ولم تدر في أي المحلين تنزل

---

(1) سقط من غير الأصل و (ب) .

(2) ما بين القوسين سقط من الأصل و (ب) .

(3) سورة الروم الآية (٧) .

(4) في (م) و (ق) والمطبوع : (آلهتهم) .

(5) سقط من غير الأصل .

(6) سورة الحشر الآية (١٩) .

(7) في المطبوع : (تعد عليه) .

فإذا نزل بأحدهم الموت قلق لخراب ذاته ، وذهاب لذاته . لا لما سبق من جناياته ، ولا لسوء منقلبه بعد مماته ، فإن خطرت على قلب أحدهم خطرة من ذلك اعتمد على العفو والرحمة كأنه يتيقن أن ذلك نصيبه ولا بد .

فلو أن العأقل أحضر ذهنه ، وأستحضر عقله وسار بفكره وأمعن[1]/ النظر وتأمل الآيات [١٤٦/ب] لفهم المراد من إيجاده ولنظرت عين الراحل إلى الطريق ، ولأخذ المسافر في التزود والمريض في التداوي . والحازم يعد ما يجوز أن يأتي ، فما الظن بأمر متيقن ، كما أنه لصدق إيمانهم ، وقوة إيقانهم ، وكأنهم معاينون الأمر ، فأضحت ربوع الإيمان من أهلها خالية ، ومعالمه على عروشها خاوية .

قال ابن وهب : أخبرني مسلم ابن علي عن الأوزاعي قال : كان السلف إذا صدع الفجر أو قبله كأنما على رؤوسهم الطير ، مقبلين على أنفسهم حتى لو أن حبيباً لأحدهم غاب عنه حيناً ثم قدم لما ألتفت إليه، فلا يزالون كذلك إلى طلوع الشمس . ثم يقوم بعضهم إلى بعض فيتخلفون فأول ما يفيضون[2] فيه أمر معادهم وما هم صائرون إليه ، ثم يأخذون[3] في الفقه .



[1] في غير الأصل : (وأنعم) .

[2] هذه الكلمة تحتمل (يقتصون ـــ يقتضون) .

[3] في غير الأصل : (ثم يأخذونه) .

فصل

{ القسم في سورة ق }

ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ(١)بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ(٢) ﴾[١]

الصحيح أن "ق ، ، ص "بمترلة "حم ، الم ، طس " تلك حروف مفردة وهذه متعددة . وقد تقدمت الإشارة إلى بعض ما قيل فيها . وههنا قد اتحد المقسم به والمقسم عليه ، وهو القرأن فأقسم بالقرأن على ثبوته وصدقه ، وأنه حق من عنده وكذلك حذف الجواب و لم يصرح به لما في القسم من الدلالة عليه ، ولأن المقصود نفس المقسم به كما تقدم بيانه .

ثم أخذ سبحانه في بيان عجب الكفار من غير عجب[٢]، بل بما لا ينبغي أن يقع سواه . كما قال سبحانه : ﴿ الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ(١)أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ أَنْ أَنْذِرْ النَّاسَ وَبَشِّرْ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ ﴾[٣] فأي عجب من هذا حتى يقول الكافرون أن هذا لسحر مبين ، وكيف تتعجب من رحمة الخالق عباده وهدايته وإنعامه عليهم بتعريفهم على لسان رسوله بطريق الخير والشر وما هم صائرون إليه بعد الموت ، وأمرهم ونهيهم ؟ حتى يقابل ذلك بالتعجب ونسبه ما[٤]جاء به إلى السحر ، ولولا غاية الجهل والظلم ، بل العجب كل العجب قولهم وتكذيبهم كما قال تعالى : ﴿ وَإِنْ تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ ﴾[٥] .



[1] سورة ق الآيتان (١-٢) .
[2] في غير الأصل و (ب) : (عجيب) .
[3] سورة يونس الآيتان (١-٢) .
[4] في (م) : (من) بدل : (ما) .
[5] سورة الرعد الآية (٥) .

فصل
{ القسم بالقرآن العظيم }

ومن ذلك (قوله تعالى) : ﴿ حم(١)وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ(٢) ﴾[1] وقوله : ﴿ ص وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ(١) ﴾[2] وقوله : ﴿ يس(١)وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ(٢)إِنَّكَ لَمِنْ الْمُرْسَلِينَ(٣) ﴾[3] .

والصحيح أن يس بمنزلة "حم ،ألم " ليست من أسماء النبي ﷺ .

وأقسم سبحانه بكتابة على صدق رسوله وصحة نبوته ورسالته ، فتأمل قدر (المقسم)[4] والمقسم به والمقسم عليه .

وقوله[5]: ﴿ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ(٤) ﴾[6] جوز فيه ثلاثة أوجه :

أن يكون خبراً بعد خبر ، فأخبر عنه بأنه رسول الله ، وأنه على صراط مستقيم .

وأن يكون متعلقاً بالخبر نفسه ، تعلق المعمول به بعامله . أي : ارسلت على صراط وهذا يحتاج إلى بيان وتقديره : المجعولين على صراط مستقيم ، وكونه من المرسلين مستلزم لذلك فاستغنى عن ذكره .



(1) سورة الزخرف الآيتان (١-٢) .
(2) سورة (ص) الآية (١) .
(3) سورة يس الآيات (١-٣) .
(4) سقط من غير الأصل و (ب) .
(5) في غير الأصل و (ب) : زيادة (تعالى) .
(6) سورة يس الآية (٤) .

﴿ فصل ﴾

{ القسم في سورة الصافات }

ومن ذلك قوله (عز وجل)[1]: ﴿ **وَالصَّافَّاتِ صَفًّا(١)** ﴾[2] .

أقسم سبحانه بملائكته الصافات للعبودية بين يديه ،كما قال النبي ﷺ لأصحابه:" **ألا تصفون كما تصف الملائكة عند ربها ؟ يتمون الأول فالأول ، ويتراصون في الصف** "[3] .

وكما قالوا عن نفوسهم : ﴿ **وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ(١٦٥)** ﴾[4] والملائكة الصافات اجنحتها في الهواء .

والزاجرات : الملائكة الذي[5]تزجر السحاب وغيره بأمر الله ،

فالتاليات : الذي[6]تتلوا كلام الله .

وقيل : الصافات : الطير كما قال تعالى ﴿ **أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَافَّاتٍ وَيَقْبِضْنَ** ﴾[7] وقال تعالى : ﴿ **وَالطَّيْرُ صَافَّاتٍ** ﴾[8].

والزاجرات : الآيات والكلمات الزاجرات عن معاصي الله ، والتاليات / الجامعات كتاب[9]الله .

وقيل : الصافات للقتال في سبيل الله ، فالزاجرات الخيل للحمل على أعدائه ،فالتاليات الذاكرين له عند ملاقاة عدوهم

---

(1) في غير الأصل و (ب) : (تعالى) .

(2) سورة الصافات الآية (١) . وفي (م) : (والصافات) فقط .

(3) أخرجه مسلم في (٤) كتاب الصلاة (٢٧) باب الأمر بالسكوت في الصلاة ، والنهي عن الإشارة باليد ورفعها عند السلام ، وإتمام الصفوف الأول ، والتراص فيها والأمر بالاجتماع ح (٤٣٠) من حديث جابر بن سمرة رضي الله عنه .

(4) سورة الصافات الآية (١٦٥) .

(5) في غير الأصل و (ب) : (التي) .

(6) في غير الأصل و (ب) : (التي) .

(7) سورة الملك الآية (١٩) .

(8) سورة النور الآية (٤١) .

(9) في (ب) : (الجامعات التاليات كتاب الله) وفي (م) و (ق) والمطبوع : (الجامعات لكتب الله تعالى) .

وقيل: الجامعات الصافات أبدانها في الصلاة ،الزاجرات أنفسها عن معاصي الله ، فالتاليات أيات الله .

واللفظ يحتمل ذلك كله ، وإن كان أحق من دخل فيه ، وأولى الملائكة ، فإن الإقسام كالدليل ، والآية على صحة ما أقسم عليه من التوحيد وما ذكر غير الملائكة فهو من آثار الملائكة و بواسطها كان .

وأقسم سبحانه بذلك علي توحيد ربو بيته وإلاهيته وقرر بتوحيد إلاهيته بتوحيد ربوبيته فقال : ﴿ **إِنَّ إِلَٰهَكُمْ لَوَاحِدٌ(٤)رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشَارِقِ(٥)** ﴾[١] من أعظم الأدلة على أنه إله واحد ولو كان معه آله اخر لكان ذلك الإله مشاركاً له في ربو بيته كما شاركه في إلهيته ، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً .

وهذه قاعدة القرآن : يقرر توحيد إلهيته بتوحيد الربوبية فتقرر كونه معبوداً وحده بكونه خالقاً رازقاً وحده .

وخص المشارق ههنا بالذكر إما لدلالتها على المغارب إذ الأمران المتضايقان كل منهما يستلزم الآخر ، إما لكون المشارق مطالع الكواكب ، ومظاهر الأنوار . وإما توطئه لما ذكره[٢]بعدها من تزيين السماء بزينة الكواكب ، وجعلها حفظاً من كل شيطان (مارد)[٣] فذكر المشارق أنسب في هذا المعنى وأليق . والله أعلم .

(1) سورة الصافات الآيتان (٤-٥) .

(2) في (ب) والمطبوع : (لما ذكر) .

(3) سقط من غير الأصل و (ب) .

فصل

{ القسم بحياة النبي ﷺ }

ومن ذلك قوله تعالى في قصة لوط[1] ومراجعة[2] قومه له : ﴿ قَالُوا أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ الْعَالَمِينَ(٧٠)قَالَ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ(٧١)لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾[3]

أكثر المفسرين من السلف والخلف بل لا يعرف في السلف فيه نزاع أن هذا قسم من الله بحياة رسوله ﷺ . وهذا من أعظم فضائله أن يقسم الرب بحياته . وهذه مزية لا تعرف لغيره .

ولم يوفق الزمخشري / لذلك . فصرف القسم إلى أنه بحياة لوط عليه السلام ، وأنه من قول الملائكة له فقال : هو على (إرادة)[4] القول . أي : قالت الملائكة للوط : لعمرك إنهم لفي سكرتهم ، وليس في اللفظ ما يدل على واحد من الأمرين ، بل ظاهر اللفظ وسياقه ، إنما يدل على ما فهمه السلف الطيب لا أهل التعطيل والإعتزال[5].

قال ابن عباس[6]: لعمرك . أي وحياتك . قال : وما أقسم الله بحياة نبي غيره ، والعمر والعمر واحد إلا أنهم خصوا القسم بالمفتوح لإثيات الأخف لكثرة الدور[7] الحلف على السنتهم وأيضا فإن العمر حياته خصوصه[8] فهو عمر شريف عظيم أهل أن يقسم به لمزيته على كل عمر من أعمار بني آدم . ولا ريب أن عمره ﷺ له مزية على عمر كل من سواه ، والآيات التي كانت

---

(1) في (م) و (ق) والمطبوع : زيادة (عليه السلام) .

(2) في المطبوع : (ومراجعته) .

(3) سورة الحجر الآيات (٧٠-٧٢) .

(4) سقط من (ب) .

(5) كلام الزمخشري في الكشاف (٣١٧/٢) .

(6) في (م) و (ق) والمطبوع : زيادة (رضي الله عنهما) .

(7) في (م) و (ق) : (دور الحلف) وفي المطبوع : (دوران الحلف) .

(8) في (م) و (ق) والمطبوع : (حياة مخصوصة) .

في عمره وحياته من أعظم الآيات ، بل عمره وحياته من أعظم النعم والآيات فهو أهل أن يقسم به والقسم به أولى من القسم بغيره من المخلوقات .

وقوله : " يعمهون " أي : يتحيرون[1]. وإنما وصف الله سبحانه اللوطيـة بالسـكرة لأن العشق له سكرة مثل سكرة الخمر وأشد كما قال القائل :

سكران : سكر هوى ، وسكر مدامة ومتـى إفاقـة مـن بـه سـكران ؟



(1) في (م) و (ق) : (يحيرون) .

﴿ فصل ﴾

{ إقسام الرب سبحانه بنفسه }

ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا(٦٥) ﴾[1] .

أقسم سبحانه بنفسه المقدسة قسماً مؤكداً بالنفي قبله على عدم إيمان الخلق حتى يحكموك فيما شجر[2] بينهم من الأصول والفروع وأحكام الشرع وأحكام المعاد ومسائل الصفات وغيرها .

و لم يثبت لهم الإيمان بمجرد هذا التحكيم حتى ينتفي عنهم الحرج وهو ضيق الصدر ، فتنشرح صدورهم بحكمه كل الانشراح ، وتنفسح له كل الانفساح ، وتقبله كل القبول .

و لم يثبت لهم الإيمان بذلك أيضا حتى ينضاف إليه مقابلة حكمه بالرضا والتسليم وعدم المنازعة وانتفاء المعارضة والاعتراض .

فهاهنا ثلاثة أمور : التحكيم ، وانتفاء الحرج ، والتسليم ، فلا يلزم من التحكيم انتفاء الحرج إذ قد يحكم الرجل غيره ، وعنده حرج من حكمه ولا يلزم من انتفاء الحرج الرضا والتسليم والإنقياد إذ قد يحكمه وينتفي الحرج عنه في تحكيمه ولكن لا ينقاد لقلبه ولا يرضى كل الرضى بحكمه فالتسليم[3] أخص من انتفاء الحرج فالحرج مانع ، والتسليم أمر وجودي لا يلزم[4] من انتفاء الحرج حصوله بمجرد انتفائه ، إذ قد ينتفي الحرج ، ويبقى القلب فارغاً منه ، ومن الرضا[5] والتسليم . فتأمله .

---

[1] سورة النساء الآية (٦٥) .

[2] في (م) و (ق) والمطبوع : (حتى يحكموا رسوله في كل ما شجر) .

[3] في غير الأصل و (ب) : (والتسليم) .

[4] في (م) و (ق) و (ط) : (ولا يلزم).

[5] في المطبوع : (الرضا به) .

وعند هذا تعلم أن الرب تبارك وتعالى أقسم على انتفاء إيمان أكثر الخلق ، وعند الامتحان يعلم مثل هذه الأمور الثلاثة هل هي موجودة في قلب أكثر من يدعي الإسلام أم لا ؟

والله (سبحانه)[1] المستعان وعليه التكلان . ولا حول ولا قوة إلا بالله العلـــي العظـــيم وحسبنا الله ونعم الوكيل .

آخره والحمد لله رب العالمين . وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصـــحبه وســـلم تسليماً دائماً إلى يوم الدين *.



تمت بحمد الله ، والله أسأله كما أنعم أن يزيد
وله الشكر والحمد تبارك وتقدس

---

[1] سقط من غير الأصل و (ب) .

* علقه لنفسه الفقير المسكين المعترف بالتقصير أحمد بن عيسى القاسمي المقدسي المحل الشهير بالدمشقي غفر الله ذنوبه وســـتر عيوبـــه ونفع بالعلم ووفق للعمل إنه سميع قريب .

الفهارس

- فهرس الآيات .
- فهرس أطراف الحديث .
- فهرس الآثار .
- فهرس الأعلام .
- فهرس القوافي والشعر .
- فهرس الفرق والأمم والكتب والأماكن .
- فهرس المصادر والمراجع .
- فهرس الموضوعات .

فهرس الآيات

سورة البقرة

سورة آل عمران

سورة النساء

سورة الأعراف

الآية	رقم الآية	الصفحة

الإسراء

سورة النور

سورة الفرقان

سورة النمل

سورة الشعراء

سورة الأحزاب

سورة سبأ

سورة يس

سورة الصافات

سورة ص

سورة الشورى

سورة الزخرف

سورة الدخان

سورة الجاثية

سورة الأحقاف

سورة الذاريات

سورة الطور

سورة النجم

سورة الرحمن

سورة الواقعة

سورة الحاقة

جزء عم

الآية	اسم السورة	رقم الآية	رقم الصفحة
أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ(٨)	التين	٨	١٤٥
ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ(٥)إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ(٦)	التين	٥-٦	٨٩-١٧٨-١٧٩-٢٠٧
أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى(٩)عَبْدًا إِذَا صَلَّى(١٠)أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَى الْهُدَى(١١)أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَى(١٢)أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى(١٣)أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى(١٤)	العلق	٩-١٤	١٢٩
أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى(١٤)	العلق	١٤	١٢٩-٣١٢
وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا(١)فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا(٢)فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا(٣)فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعًا(٤)فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا(٥)إِنَّ الْإِنسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ(٦)	العاديات	١-٦	٨٩-١٦٧
فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا(٢)	العاديات	٢	١٦٨-١٧١
وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا(١)فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا(٢)فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا(٣)	العاديات	١-٣	
وَطُورِ سِينِينَ(٢)	التين	٢	٣٥٩
إِنَّ الْإِنسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ(٦)	العاديات	٦	٩٧
وَإِنَّهُ عَلَى ذَلِكَ لَشَهِيدٌ(٧)	العاديات	٧	
وَإِنَّهُ عَلَى ذَلِكَ لَشَهِيدٌ(٧)	العاديات	٧	١٧٣
وَإِنَّهُ عَلَى ذَلِكَ لَشَهِيدٌ(٧)	العاديات	٧	١٧٣
وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ(٨)	العاديات	٨	
كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ(٥)	التكاثر	٥	٨٢
كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ(٥)لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ(٦)ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ(٧)	التكاثر	٥-٧	٨٩-٢٧٩
ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ(٧)	التكاثر	٧	٢٨٠
وَالْعَصْرِ(١)إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ(٢)إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ(٣)	العصر	١-٣	

فهرست أطراف الحديث

طرف الحديث	رقم الصفحة

الزاي

السين

الصاد

العين

الفاء

طرف الحديث	رقم الصفحة

الكاف

اللام

طرف الحديث	رقم الصفحة

الميم

النون

طرف الحديث	رقم الصفحة
ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمته	١٤٠
ولا الجهاد في سبيل الله إلا رجل خرج بنفسه وماله	١١٢
وهذا عسى أن يكون نزعة عرق	٤٢٥
وهل يكون الشبه إلا من ذلك	٤٣٠
الياء	
يا رب أذكر أم أنثى فيقضي الله	
يا رب فهل من خلقك أشد من الريح	٣٨٧
يا رب فهل من خلقك أشد من النار؟	٣٨٧
يا رب ما رزقه، وما أجله	
يا رب نطفة ، يا رب علقة	
يا عثمان أرغبت عن سنتي؟	388
يدخل الملك على النطفة بعدما تستقر في الرحم	٤٤١
يصبح على كل سلامى من أحدكم	٤٩٤
يمسه حين يولد فيستهل صارخا	٤٥٥
ينحر لهم ثور الجنة لاذي يأكل من أطرافها	٤٣٧

فهرس الآثار

فهرس الأعلام

الألف

الباء

التاء والثاء

الجيم

الحاء والخاء

الدال والذال

الراء والزاء

السين

الشين

الصاد والضاد

الطاء

العين

الفاء والقاف

الكاف

اللام

الميم

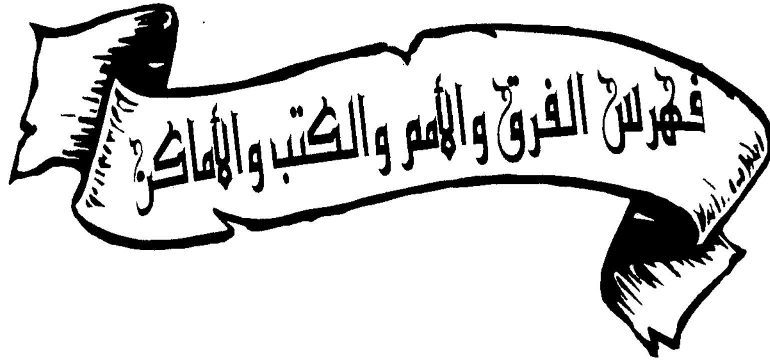
النون

الهاء

الواو

الياء

فهرس القوافي والشعر


فهرس الفرق والأمم والكتب والأماكن

المصادر والمراجع

– إرواء الغليل، لمحمد ناصر الدين الألباني. ط٢.بيروت: المكتب الإسلامي. ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م.

– الإصابة في تميز الصحابة، لأبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت٨٥٢هـ). بيروت: دار الكتب العملية. (مصورة عن النسخة الهندسية سنة ١٨٥٣م)

– إعلام الموقعين عن رب العالمين، لأبي عبدالله محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية (ت٧٥١هـ).تعليق: طه عبدالرؤوف. بيروت: دار الجيل.

– .أنباه الرواة على أنباه النحاة، للوزير أبي الحسن علي بن يوسف القفطي.

٥.الأم، لأبي عبدالله محمد بن إدريس الشافعي(ت٢٠٤هـ) بيروت دار الفكر، ١٤١٠هـ ١٩٩٠م.

٦.الأعلام، لخير الدين الزركلي. ط٦.بيروت: درا العلم للملايين، ١٩٨٤م.

٧.أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، لمحمد الأمين بن محمد الشنقيطي (ت١٣٩٣هـ)الرياض : المطابع الأهلية، ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣.

٨.الاستيعاب في أسماء الأصحاب، لأبي عمر يوسف بن عبدالله بن عبدالبر القرطبي (ت ٤٦٣هـ). بيروت: دار الكتاب العربي، ١٣٥٩هـ (مطبوع مع الإصابة).

٩.إشارة التعيين في تراجم النحاة واللغويين، لبعدالباقي بن عبدالمجيد اليماني (ت٧٤٣هـ) تحقيق : د.عبدالمجيد دياب . ط، الرياض : مركز الملك فيصل للبحوث الإسلامية، ١٤٠٦هـ.

١٠. الأغاني، لأبي الفرج الأصفهاني (علي بن الحسين). نشر : مؤسسة جمال، دار الكتاب.

- إرشاد الميزي وتذكرة المنتهي في القراءات العشر،لأبي العز محمد بن الحسين الواسطي القلاني تحقيق عمر حمدان الكتيبي. ط١. جامعة أم القرى.

- إبطال التأويلات لأخبار الصفات، لأبي يعلى محمد بن الحسين ابن محمد بن الفراء (ت٤٥٨هـ). تحقيق : أبي عبدالله محمد بن حمد الحمود النجدي. الكويت: دار إيلاف الدولية.

- الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ومجانية الفرق المذمومة، للإمام أبو عبدالله عبد الله بن محمد بن بطه العكبري الحنبلي (ت ٣٨٧هـ). تحقيق : د.يوسف بن عبدالله الوابل. دار الراية. وأيضا الكتاب الثاني بتحقيق: د. عثمان عبدالله آدم الأثيوبي.

- كتاب الإقناع في القراءات السبع، لأبي عفر أحمد بن علي الأنصاري ابن الباذ ش(ت.٥٤٠هـ). تحقيق : د. عبدالمجيد قطامش. ط١ـ ١٤٠٣هـ.

ب

- البحر المحيط (التفسير الكبير)، لأبي عبدالله محمد بن حيان الأندلسي (ت٧٥٤هـ) الرياض: مكتبة النصر الحديثة(تاريخ النشر : بدون) طبعة أخرى: ط١. مصر مطبعة السعادة ، ١٣٢٨هـ ـ ١٩٨٥م.

- البداية والنهاية، لأبي الفداء ابن كثير القرشي (ت ٧٧٤هـ). تحقيق : د. أحمد أبو ملحم وغيره. ط١. بيروت: درا الكتب العلمية، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م. وطبعة أخرى:ط٢. بيروت: مكتبة المعارف، ١٩٧٧م.

- البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة، لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز أيادي (ت ٨١٧هـ) تحقيق : محمد المصري. ط١.الكويت: جمعية إحياء التراث، ١٤٠٧هـ . ١٩٨٧م.

- بدائع الفوائد، لابن القيم. تحقيق : محمد بن إبراهيم الزغلي . ط ١دار المعاني.

- بغية الوعاة في طبقات اللغويين.والنحاة، للحافظ جلال الدين عبدالرحمن السيوطي. تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم. المكتبة العصرية ـ بيروت.

ت

– تاج العروس من جواهر القاموس، لأبي الفيض محمد مرتضى الزبيدي (ت١٢٠٥هـ). ط١. بيروت: دار مكتبة الحياة، ١٣٠٦هـ.

– تاريخ بغداد، لأبي بكر احمد بن علي الخطيب البغدادي (ت٤٦٣هـ). بيروت درا الكتب العلمية.

– تفسير عبدالرزاق، للإمام عبدالرزاق بن همام الصفاني (١٢٦ـ ٢١١هـ) تحقيق الدكتور. مصطفى مسلم محمد . ط١. الرياض : مكتبة الرشد.

– تفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن)، لأبي عبدالله محمد بن أحمد القرطبي (ت٦٧١هـ) ط٣ الهيئة المصرية العامة للكتاب.

– تفسير أبن كثير (تفسير القرآن العظيم)، لأين كثير (ت٧٧٤هـ) بيروت: جار المعرفة، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٤م.

– تفسير مجاهد ، لمجاهد بن جبر المخومي (ت١٠٤هـ) تحقيق: عبدالرحمن الطاهر السورتي. ط١. قطر : مطابع الدوحة الحديثة، ١٣٩٦هـ ١٩٧٦م.

– تقريب التهذيب ن لأبن حجر العسقلاني (ت٨٥٢هـ) ، تحقيق محمد عوامة. ط١ بيروت وحلب: دار البشائر الإسلامية ودار الرشيد، ١٤٠٦هـ ١٩٨٦م.

– تهذيب اللغة، لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهري (ت٣٧٠ه). تحقيق : أحمد عبدالعليم البردوني. مصر: الدار المصرية للتأليف والترجمة.

– تهذيب الكمال في اسماء الرجال، لجمال الدين أبي الحجاج يوسف المزي (ت٧٤٢هـ). تحقيق ك د. بشار عواد معروف. ط٢. بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٥هـ -١٩٨٥.

– التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، للإمام الحافظ ابن عبدالبر النمري القرطبي. تحقيق سعيد أحمد أعراب. مكتبة المؤيد.

– تأويل مشكل القرآن، لأبن تيمية ط. دار التراث.

- تفسير غريب القرآن، للإمام أبي محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة. ط١. بيروت: دار مكتبة الهلال.
- تفسير الحسن البصري، لمحمد عبدالرحيم. مصر: دار الحديث.
- تفسير الحسن البصري، لمحمد عبدالرحيم . مصر : دار الحديث.
- التفسير الكبير، للغمام فخر الدين الرازي (ت ٦٠٤هـ) ط ١. بيروت : دار الكتب العلمية.
- كتاب التوحيد وإثبات صفات الرب عز وجل، للإمام أبي بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة (ت٣١١هـ). تحقيق: د. عبدالعزيز بن إبراهيم الشهوان. ط١ الرياض: دار الرشد.
- تفسير الضحاك (ت ١٠٥هـ). تحقيق : د. محمد شكري احمد الزاويتي. ط١. القاهرة: دار السلام.
- تفسير ابن عباس ومروياته في التفسير من كتب السنة. تأليف: د. عبالعزيز الحميدي. جامعة أم القرى: (مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي).
- تغليف التعليق على صحيح البخاري، للحافظ بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ) تحقيق : سعيد عبدالرحمن القرني . ط١. دار عمار.
- تفسير مقاتل. مخطوط . مكتبة أحمد باشا . تركيا .
- التذكرة في القراءات الثمان، للإمام أبي الحسن طاهر بن عبدالمنعم المقري الحلي (ت٣٩٩هـ)ز تحقيق: أرمن رشدي سويد.
- تفسير بحر العلوم: لأبي الليث السمرقندي.
- تفسير البسيط ، لأبي الحسن الواحدي.

أ. من سورة : المائدة إلى سورة : الأعراف .

تحقيق محمد عبدالله الطيار .

ب.من سورة : الأنفال إلى سورة : يونس .

تحقيق : إبراهيم صالح الحسن .

ج.من سورة : ق إلى سورة : القلم

تحقيق : فاضل الحوي.

د.من سورة : الحاقة على نهاية القرآن.

تحقيق : نورة ورثان.

رسائل دكتوراه جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

- تذكرة الحافظ، لمحمد بن أحمد بن عثمان الذهبي. نشر: دار إحياء التراث العربي.
- التفسير الصحيح موسوعة الصحيح الميسور من التفسير بالمأثور ، د. خالد بن بشير بن ياسين. المدينة المنورة : دار المآثر.

(ث + ج)

- الثقات ، لمحمد بن حبان البستي (ت ٣٥٤هـ). بيروت: مؤسسة الكتب الثقافية، ١٤٠٠هـ ــ ١٩٨٠م.
- الجامع لأحكام القرآن ، لمحمد بن أحمد الأنصاري القرطبي. ط٢. نشر : دار إحياء التراث العربي. بيروت.
- جامع التفسير من كتب الأحاديث، خالد بن عبدالقادر آل عقدة. ط١. دار الطيبة.
- جامعة البيان عن تأويل أي القرآن، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ) . ٣. مصر: مطبعة: مصطفي البابي.
- الجرح والتعديل، لأبي محمد عبدالرحمن بن أبي حاتم الرازي (ت٣٢٧هـ). بيروت: دار الكتب العلمية.

(د)

- الدر المنثور في التفسير بالمأثور، لجلا الدين عبدالرحمن السيوطي (ت٩١١هـ). ط١. بيروت : دار الفكر ، ١٤٠٣هـ ــ ١٩٨٣م.
- الدر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني. تحقيق: محمد سيد جاد الحق. مصر ك دار الكتب الحديثة.

- الدر المصون في علوم الكتاب الكمون ن لأحمد بن يوسف المعروف بالسمين الحلبي. تحقيق: د. أحمد بن محمد الخراط. ط١(١٤٠٦هـ). دمشق : دار القلم.
- دلائل النبوة، للإمام الحافظ أبي بكر احمد بن الحسين البيهقي تحقيق : عبدالرحمن محمد عثمان. ط١. المدينة المنورة: المكتبة السلفية.
- ديوان زهير بن أبي سلمى. بيروت : دار بيروت ١٤٠٢هـ

(ذ)

- الذيل على طبقات الحنابلة، لأبي الفرج عبدالرحمن بن احمد بن رجب الحنبلي. بيروت : دار المعرفة.

(ر)

- روضة المحبين ونزهة المشتاقين، للإمام شمس الدين أبي عبدالله محمد بن أبي بكر الزرعي الدمشقي (ت ٧٥١هـ).
تحقيق : محي الدين ديب مستو. ط١. دار ابن كثير.
- الرسالة ، لمحمد بن إدريس الشافعي (ت٢٠٤هـ). تحقيق أحمد محمد شاكر. دار الفكر . بيروت.

(ز)

- زاد المسير في علم التفسير ، لأبي الفرج عبدالرحمن بن علي بن محمد الجوزي. ط٤. بيروت: المكتب الإسلامي.
- زاد المعاد في هدي خير العباد، للإمام ابن قيم الجوزية. تحقيق شعيب الأرنؤوط، وعبدالقادر الارنؤوط. ط. بيروت : مؤسسة الرسالة ـ الكويت: مكتبة المنار الإسلامية.

(س)

- سنن النسائي، للحافظ جلال الدين السيوطي. القاهرة : دار الريان للتراث.
- السنن الكبرى، للإمام الحافظ أبيس بكر أحمد بن الحسن بن علي البيهقي (ت٤٥٨هـ). دار المعرفة، بيروت . لبنان.

- سنن ابن ماجة، للحافظ أبي عبدالله محمد بن يزيد القزويني (ت٢٧٥هـ). تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي. القاهرة: دار الحديث.
- سنن الترمزي، لأبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة تحقيق كمال يوسف الحوت. ط١. دار الكتب العلمية.
- سنن أبي داوود، للإمام أبي داوود سليمان أبن الأشعث الأزدي السجستاني (٢٧٥هـ). تحقيق محمد عوامة. دار القبلة للثقافة الإسلامية ـ جدة.
- سنن الدرامي ، للإمام الحافظ عبدالله بن عبدالرحمن الدرامي السمرقندي (ت ٧٩٧هـ). تحقيق فواز أحمد وآخرون . ط١ز القاهرة : دار الريان للتراث .
- كتاب السنة، للحافظ أبي بكر عمر بن أبي عاصم الشيباني (ت ٢٨٧هـ). تخريج محمد ناصر الألباني. بيروت المكتب الإسلامي ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م.
- كتاب السنة، لعبدالله بن أحمد بن حنبل (ت ٢٩٠هـ). تحقيق: د. محمد سعيد القحطاني . ط١. الدمام : دار بن القيم ١٤٠٦هـ -١٩٨٦م.
- سنن الدار قطني، لعلي بن عمر الدار قطني (ت٣٨٥هـ). ط٤. بيروت: عالم الكتب ، ١٤٠٦هـ -١٩٦٨م.
- السنن الكبرى، لأحمد بن الحسن البيهقي (ت٤٥٨هـ). بيروت: دار المعرفة.
- سير أعلام النبلاء ن للذهبي (ت٧٤٨هـ). تحقيق : مجموعة من الباحثين. ط١. بيروت: دار الملايين ، ١٣٨٧هـ ـ ١٩٦٧م.
- سلسلة الأحاديث الصحيحة ، لمحمد ناصر الدين الألباني ط٢. الرياض ك مكتبة المعارف.
- سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة لمحمد ناصر الدين الألباني. ط٤. الرياض : مكتبة المعارف.
- شذرات الذهب في أخبار من ذهب، لأبي الفلاح عبدالحي بن العماد الحنبلي (ت ١٠٨٩هـ). بيروت: المكتب التجاري.

- شرح السنة، لأبي محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوي (ت٥١٦هـ). ط. بيروت:المكتب الإسلامي ن ١٣٩٠هـ ت ١٩٧١م.
- شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة لأبي القاسم هبة الله بن الحسن الكسائي (ت ٤١٨هـ). تحقيق د. أحمد سعد حمدان. الرياض:دار طيبة.
- شرح العقيدة الطحاوية، للقاضي در الدين بن أبي العز الحنفي . تخريج: محمد ناصر الألباني . لاهور : المكتبة السلفية ن ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م.
- كتاب الشريعة ن للإمام المحدث أبي بكر محمد بن الحسين الاجري (ت ٣٦٠هـ). تحقيق : د. عبدالله بن عمر الدميجي. ط٢ز دار الوطن.
- شفاء العليل ن للإمام شمس الدين محمد بن ابي بكر ابن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ). تحقيق : عمر بن سليمان الحفيان . ط١. مكتبة العبيكان.
- الشعر والشعراء ن لأبي محمد عبدالله بن مسلم ابن قتيبة . ط٤. بيروت : دار إحياء العلوم.

(ص)

- صحيح مسلم بشرح النووي. دار الكتب العلمية بيروت ـ لبنان ١٤٠١ هـ ـ ١٩٨١م.
- صحيح البخاري ، لابي عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق: محب الدين الخطيب. ط١. المطبعة السلفية.
- صحيح مسلم، للإمام ابي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوريز تحقيقك محمد فؤاد عبدالباقي. ط١. القاهرة : دار الحديث.
- صحيح ابن حبان مع نقدية الإحسان، للأمير علاء الدين الفارسي (ت ٧٣٩هـ). تحقيق: شعيب الارنؤوط ط١. مؤسسة الرسالة.
- الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة، للشيخ الإمام شمس الدين الشهير بابن قيم الجوزية . تحقيق: د. على بن محمد الدخيل الله. ط١. الرياض : دار العاصمة.

- الصحاح، لإسماعيل بن بن حماد الجوهري. تحقيق ك احمد عبدالغفور عطار. ط٢. بيروت: دار العلم للملايين، ١٣٩٩هـ ــ ١٩٧٩م.

(ط)

- طبقات فحول الشعراء، لمحمد بن سلام الجمحي (ت ١٠١٤هـ). تحقيق، عادل نويهض . بيروت. دار الآفاق الجديدة.
- الطبقات الكبرى، لمحمد بن سعد البصري. نشر: دار صادر ـ بيروت.
- طبقات المفسرين لمحمد بن علي الداوودي. (ت٩٤٥هـ). ط.ز دار الكتب العلمية.
- طبقات المفسرين، لأحمد بن محمد الأدنه وي، تحقيق: سليمان بن صالح . ط١. المدينة المنورة : مكتبة العلوم والحكم.
- طبقات الحنابلة ن للقاضي أبي الحسين محمد بن أبي يعلى الفراء . نشر : دار المعرفة : بيروت

(ع)

- كتاب العظمة ، لأبي الشيخ عبدالله بن محمد بن جعفر الأصبهاني ، دارسة وتحقيق : رضاء الله بن محمد المباركفوري نشر : دار العاصمة ت الرياض، ط١ت ١٤٠٨هـ.
- كتاب العلو للعلي العظيم وإيضاح صحيح الأخبار من سقيمها ، لمحمد بن احمد الذهبي (ت ٧٤٨هـ). تحقيق: عبدالله صالح البراك . ط١ دار الوطن.
- العرش وماروي فيه، لمحمد بن عثمان بن أبي شيبة. تحقيق : محمد بن حمد الحمود. مكتبة المعلا: الكويت.
- العبر في خبر من غبرن لابي عبدالله الذهبي وتحقيق ز صلاح الدين المنجد، وفؤاد السيد. نشرها بسيوني زغلول. طبع دار الكتب العملية.

- غاية النهاية في تراجم القراء، لأبي الخير محمد الجزري. تحقيق ك ج. براجشقرار. طبع دار الكتب العلمية ، بيروت. ط٢. ١٤٠٠هـ.

(ف)

- فتح الباري بشرح صحيح البخاري، لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني. تحقيق: الشيخ عبدالعزيز بن باز. ط٣. المكتبة السلفية. دار الريان للتراثز
- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم الفقه لمحمد بن علي الشوكاني. ط١. (١٤٢١هـ ـ ١٩٩١م). دار الخير
- الفرق بين الفرق لعبدالقاهر بن طاهر البغدادي نشر: دار الكتب العملية . بيروت.

(ق)

- القول المفيد على كتاب الوحيد، لمحمد بن صالح العثيمين اعتنى به : د. سليمان أبا الخيل ود.خالد المشيقح. ط١. (١٤١٥هـ). الرياض : دار العاصمة.
- كتاب القدر، للإمام الحافظ ابي بكر جعفر بن محمد الغريابي (ت٣٠١هـ). تحقيق : عبدالله بن حمد المنصور، ط١(١٤٢٨هـ). أصول السلف.
- القطع والائتلاف، للإمام أبوجعفر أحمد بن محمد النحاس . تحقيق: د. عبدالرحمن المطرودي.

(ك)

- الكشاف عن حقائق التزيل وعيون الأقاويل في وجه التأويل، لجار الله محمود بن عمر الزمخشري (٥٢٨هـ) ط٣ ـ ١٤٠٧هـ . دار الريان للتراث.
- الكشف عن وجوه القراءات السبع، لمكي بن ابي طالب القيس. تحقيق: محي الدين رمضان. نشر ك مؤسسة الرسالة ـ بيروت ن ط٣ ت ١٤٠٤هـ.

- كشف الأستار عن زوائد البزار، لحافظ نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي (ت٨٠٧هـ). تحقيق: العلامة : حبيب الرحمن ألا عظمي. ط. ١ (١٤٠٤هـ. مؤسسة الرسالة).
- الكامل في التاريخ ، لعلي بن محمد عبدالكريم الشيباني (ابن الاثير). غني بمراجعة أصوله نخبة من العلماء. نشر: دار الكتاب العربي ــ بيروت ، ط٤. ١٤٠٣هـ.

(ل)

- لسان العرب، لأبن منظور. اعتنى بها. أمين عبدالوهاب ومحمد العبيدي. دار احياء التراث العربي. بيروت، لبنان ــ ط٢ ــ ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.

(م)

- مجاز القرآن : لابي عبيدة محمد بن الثنى ت/د. محمد فؤاد سزكين مكتبة الخانجي بمصر.
- مجمع الزوائد وضبع الفوائد: لنور الدين الهيثمي. دار الريان للتراث القاهرة ١٤٠٧هـ.
- المجموع شرح المهذب: للإمام النووي.
- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: لابن عطية الأندلسي ، ت/ المجلس العلمي تبار وادنت. المغرب
- المستدرك على الصحيحين: لابي عبدالله الحاكم ومعه تلخيص المستدرك أعتني به عبدالسلام محمد علوش. دار المعرفة للطباعة والنشر ط. ١ /١٤١٨هـ
- المسند للإمام أحمد بن حنبل .
- مسند أبي يعلي الموصلي للإمام أبي يعلي الموصلي تحقيق و إرشاد الحق الأثري . دار القبلة بجدة ومؤسسة علوم القرآن سوريا دمشق . ط.١٤٠٨هـ
- المسائل العقدية من كتاب الروايتين والوجهين: للقاضي ابي يعلي البغدادي ت/ سعود بن عبدالرحمن الخلف. أضواء السلف الرياض ط١/ ١٤١٩هـ.

- مشكاة المصابيح : الخطيب التبريزي. تحقيق / الألباني المكتب الإسلامي بـيروت لبنان ط ٣/١٤٠٥هـ.
- المراسيل: لأبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني.
- معالم التنزيل : للحسين بن سعود البغوي، ت/ محمد النمر ـ عثمان جمعة سليمان الحرش، دار طيبة الرياض ط١/١٤١١هـ.
- معاني القرآن : للفراء تحقيق/ د. عبدالفتاح إسماعيل شلبي مراجعة الأستاذ علي النجدي ناصف ، دار السرور.
- معاني القرآن : للأخفش (سعيد بن سعدة) تحقيق/ د. هدى محمود قراعة. مكتبة الخانجي بالقاهرة ط١/ ١٤١١هـ.
- معاني القرآن وإعرابه: لأبي اسحاق الزجاج ، تحقيق/ د. عبدالجليل عبده شلبي. عالم الكتب. بيروت لبنان. ط١/ ١٤٠٨هـ
- معاني القرآن الكريم: لأبي جعفر النحاس، تحقيق/ الشيخ محمد علي الصابوني، جامعة أم القرى ط١/١٤٠٨هـ.
- معجم البلدان: لياقوت الحموي ، دار إحياء التراث العربي بيروت لبنان ط ١٣٩٩هـ.
- معجم الأدباء : لياقوت الحموي. مكتبة دار الفكر بيروت لبنان. ط٣.
- معجم المؤلفين: لعمر رضا كحالة ، أعتنى به : مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة . بيروت لبنان ط١/ ١٤١٤هـ.
- المعجم الكبير: للطبراني ، تحقيق / حمدي عبدالمجيد السلفي.
- المفردات في غريب القرآن: لراغب الأصفهاني تحقيق/ محمد سيد كيلاني دار المعرفة بيروت لبنان.
- الملل والنحل : لمحمد بن عبدالكريم الشهرستاني مطبوع بهامش الفصل لابن حزم، نشر مكتبة الخانجي القاهرة.

- المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي : ليوسف بن تغري بردي . تحقيق/ د. محمد محمد أمين ، و د. سعيد عاشور. الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- موطا مالك بن أنس برواية يحي بن يحي الليثي تحقيق/ د. بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي بيروت لبنان ط٢/ ١٤١٧هـ
- الموضح في وجوه القراءات وعللها: للإمام ابن ابي مريم. تحقيق ودراسة/ د. عمران حمدان الكبيسي. جمعية تحفيظ القرآن الكريم بجدة ط١/١٤١٤هـ.
- ميزان الاعتدال في نقد الرجال: للإمام الذهبي ، تحقيق / علي البجاوي ، وفتحية البجاوي، نشر دار الفكر العربي.

(ن)

- النكت والعيون (تفسير الماوردي): لابي الحسن الماوردي، راجعه وعلق عليه/ السيد بن عبدالمقصود، دار الكتب العملية بيروت لبنان ط١/ ١٤١٢هـ.
- نفح الطيب
- نقض الإمام أبي سعيد عثمان بن سيعد علي المريسي الجهمي العنيد: للإمام عثمان بن سعيد الدرامي تحقيق / د. رشيد الألمعي. مكتبة الرشد، شركة الرياض للنشر، ط١/ ١٤١٨هـ.
- نونية ابن القيم. مع شرحها للعلام ابن عيسى

(هـ)

- هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى: للإمام ابن قيم الجوزية، تحقيق ودراسة/ د. محمد أحمد الحاج. دار القلم دمشق.
- هدية العارفين في أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، لإسماعيل باشا البغدادي، طبع درا العلوم ط١/ ١٤١٦هـ.

(و)

- الوسيط في تفسير القرآن المجيد: لأبي الحسن الواحدي، تحقيق د. أحمد محمد صبرة وآخرين، دار الكتب العلمية بيروت لبنان ط١/١٤١٥هـ.
- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، لابن خلكان ، حققه احسان عباس ، دار صادر بيروت لبنان ط/ ١٣٩٧هـ.

فهرس الموضوعات

الموضـــــــــوع	رقم الصفحة

الموضــــــــــــوع	رقم الصفحة

الموضوع	رقم الصفحة

الموضــــــــــــوع	رقم الصفحة

الموضوع	رقم الصفحة

الموضـــــــوع	رقم الصفحة

الموضــــــــــوع	رقم الصفحة

الموضـــــــوع	رقم الصفحة